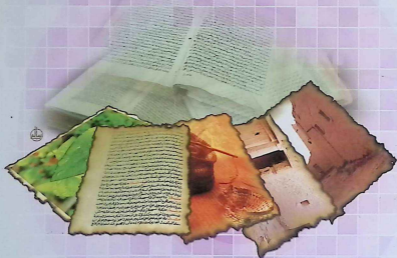


إضاءات حضارية من تراث الإباضية

الجزء الأول



مهنا بن راشد بن حمد السعدي

مكتبة الغبراء

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م

إضاءات حضارية

من

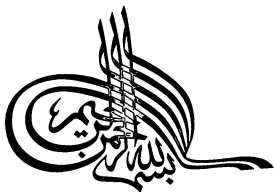
تراث الـإباضيـة

الجزء الأول

مهنا بن راشد بن محمد السعدي

إضاءات حضارته من
تأليف : مهنا بن راشد
الطبعة الأولى : ٤٢٦
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الغبراء
سلطنة عمان - مملا
ص.ب : ١٥٥
الرمز البريدي : ٦١٢

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٣٣٢م



فهرس

٧	الإهداء
٨	١ - شكر وتقدير
٩	٢ - تقديم الكتاب
١١	٣ - المقدمة
٢٥	٤ - الرموز المستخدمة في الكتاب
٢٧	٥ - الإمام أبو حاتم المَلْزُوزِي المرفوف إلى الموت
٥٥	٦ - العلامة مهدي الثفوسِي إمام المناظرين
٦٥	٧ - العلامة مُحَكِّم بن هُود المُوَارِي قاضي (تَهْرَت)
٧٥	٨ - العلامة هُود بن مُحَكِّم المُوَارِي مفسر القرآن العزيز
٨٧	٩ - العلامة عَمْرُوسُ بن فَتْح الثفوسِي (قصة إمام)
١٠١	١٠ - الشيخ سالم بن يعقوب مؤرخ في سطور
١٠٧	١١ - المحدث بكر بن حماد شاعر (تَهْرَت)
١١٩	١٢ - الدولة الرُستَمِيَّة دولة إسلامية تجاهلها التاريخ
١٤٣	١٣ - حركة التأليف عند العُمانيين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى
١٥٧	١٤ - (الوَهْبِيَّة) و(الوَهَابِيَّة) النشأة والنسب
١٨٣	١٥ - الخوارج ورُتَبُ التاريخ
١٩٩	١٦ - الخاتمة
٢٠٥	١٧ - المصادر والمراجع

الإهداء

إلى من علمه بالحد من الحقيقة المغيبة تحت رجم
التاريخ .. أهدي هذا المختار ...

شكر وتقدير

ما كان لهذا الكتاب أن يخرج إلى النور بهذه الحلة البهية وهذا الثوب القشيب لولا فضل الله تعالى ، ثم تلك الأيادي الخفية التي قَدَّمت لي النصح والإرشاد ، والمعلومة المفيدة ، والكلمة الطيبة ، والتشجيع والموازرة ، فإلى كل من ساهم في هذا الكتاب وقَدَّم يد المساعدة ولو بالكلمة الطيبة أُنقِذتُم بمخالص الشكر والامتنان ، وأخصُّ بالشكر الجزيل د/ إبراهيم بكر بنحاز والشيخ حميس بن راشد العدوي والأستاذ خالد بن مبارك الوهبي ، الذين لم ييخلوا عليَّ بوقتهم الثمين ، فخصصوا لي من وقتهم جزءاً لمراجعة كتابي هذا ، فوضعوا النقاط على الحروف ، فجزاهم الله عن جهودهم خير الجزاء وجعل عملهم المبارك لي ميزان حسناهم ...

تقديم الكتاب

المحتور : إبراهيم بكير بحاز

أستاذ محاضر جامعة قسنطينة / الجزائر حاليا .

مدير وحدة الدراسات العُمانية جامعة آل البيت / الأردن سابقا .

عضو هيئة التدريس قسم التاريخ جامعة آل البيت / الأردن سابقا .

عضو هيئة التدريس كلية الرستاق/ الرستاق . سلطنة عُمان سابقا .

مفيدة جدا هي مباحث هذا الكتاب الذي يقدمه لنا الباحث الشاب الواعد مهنا بن راشد السعدي ، خريج معهد العلوم الشرعية بروي مسقط سلطنة عُمان .
لقد أتقن استيعاب تقنيات البحث العلمي الأكاديمي عموما ، و البحث التاريخي بوجه خاص ، فمن خلال قراءتي للكتاب وجدت الباحث مهنا ، يستقصي الحقائق ، يضبط التواريخ والأسماء ، يقدم الحجج المقنعة يرتبها ترتيبا منهجيا مقبولا .

لفي هذا الكتاب ، يتناول الباحث مواضيع متعددة متفرقة إباضية وغير إباضية وإن غلبت عليها المواضيع الإباضية وهي مجموعة بحوث منشورة في الصحف أو في الإنترنت وبعضها غير منشور ، رأى الباحث جمعها ونشرها في كتاب وقد وفق في ذلك . ومن أهم تلك البحوث :
" الإمام عمرو بن فتح النفوسي " وقصة لقائه بالإمام أبي غانم بشر بن غانم الحرساني ، فهل تم اللقاء فعلا ؟ ومتى كان ذلك ؟ وما هي الاحتمالات التي تستبعد أن يكون الإمامان التقيا فعلا ؟ .
من المواضيع كذلك ، بحث " الدولة الرسمية دولة إسلامية تجاهلها التاريخ " وأراد به التعريف بهذه الدولة المستقلة الإسلامية الأولى بالجزائر في المغرب العربي ، يجلي بعض الجوانب من تاريخها الحافل بالإجازات الحضارية ، يقدمها لإخوانه العمانيين وغيرهم في المشرق العربي بخاصة .

موضوع آخر جميل وهو " حركة التأليف عند العمانيين في القرون الثلاثة المحجوبة الأولى " ،
 كتب الباحث ليطلع به قراءه ما للعمانيين من مساهمة حضارية في التأليف في تلك القرون الأولى من
 حضارة الإسلام .

وتصدى الباحث في موضوع دقيق وخطر قديم وجديد ، لمن أراد الخلط بين " الوهبيّة
 والوهابية " ، فقدم بجنا جيلا راعا استقصى فيه جذور مصطلح الوهية عند الإباضية وتاريخ
 إطلاقه ونسبته ، ثم عرج برد على من يريد أن يجعل الإباضية الوهية وهي ذاتها إباضية اليوم ؛ يريد
 أن يصرلها إلى الوهابية السلفية من حيث يدري أو لا يدري وفي كلتا الحالتين تعامى عن الحقيقة
 الناصعة وأرجف وحاول أن يجعل البريء مجرما وانجزم برينا ، و التسامح اللين شديدا منتظعا .
 فكان الباحث مهنا نغمَ اشفق والمدقق في تفاصيل المصطلحين وهبه ووهابية : مصطلحين اتفقا
 وصفاً أو كادا ، واختلفا صفاً وحقيقة وانتماء وسلوكا .

إن الإباضية بقدر الباحث ، لم يخالفوا في عصر من العصور ما سطره في كتبهم من أقوال
 وأحكام ، ورغم أن هذه الفرقة ينسبها غيرهم إلى فرق الخوارج ، من حيث لا يعرفون إلا كونها في
 المعارضة منذ البداية ، فإن الباحث كتب مقالا يتحدث فيه عن " الخوارج وزيف التاريخ " يأتي
 بمعاني الخروج من مظاهرها ويناقشها ثم يتساءل : لِمَ حُصِّصَت هذه الطائفة بالتسمية وقد خرج
 غيرهم كثير على الأحكام قبل التحكيم عصر الصحابة الكرام وبعد التحكيم عصر الصحابة
 والتابعين وتابعهم ...

فهذا باحث عُمانِي واعد هو أول العُمانيين المعاصرين اهتماما بالتاريخ الإباضي في بلاد
 المغرب ، وهو يسلك أغواره بقدرة ثابتة تنمى له كل التوفيق وتدعو له بالسؤدد والنجاح .
 أهني الباحث على هذا الجهود الموفقة ، وهذه البحوث النيرة التي تنم عن عقل نير هو في بداية
 الطريق ينتظره الكثير ، ونحن نأمل منه الكثير ، ونرجو منه المزيد وهو لذلك أهل . كما أتمنى أن
 يجد القراء الأفاضل في هذه المقالات ما يفيدهم ، وأن يكتشف فيها المخفى خطأه ، والمتنازرون
 بالألقاب إنهم ، ليعودوا إلى الصواب من العلم تائبين ، لعل الله يجمع أمة الإسلام بعد تمزق
 وتشتت ، ويغير ما بالمسلمين من هوان ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهذا عين ما هدف إليه
 الباحث عند كتابته لهذه الباحث ، وعند نشره لها بين دفتي هذا الكتاب ، والله من وراء القصد .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي جعل في سير الأولين عبرة وعظة وسلوى للمتأخرين ﴿لَقَدْ كَانَ لِمِ قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) ، أحده تعالى بما هو له أهل من الحمد وأني عليه ، وأستغفره من جميع الذنوب والخطايا وأتوب إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أخي القارئ الكريم إن علم التاريخ هو من الأهمية بمكان ، والعناية بتدوين التاريخ والسير والحوادث مطلب سام لا يففل عنه أصحاب الفهم والأذهان ، كيف لا ١٢

فتدوين الأحداث لحفظ للأجيال القادمة ما يعرفهم بواقعنا وما وقع من أحداث في عصرنا ، فأخذون المفيد من تجاربنا ويعرضون عن الطالح من أفعالنا ، كما أننا باطلاعنا على تاريخ من سبقنا نستفيد من تجاربهم ونعرف على أوضاعهم وبيئاتهم وحياتهم ، ونطلع على إنجازاتهم ولا نكرر أخطاءهم ، ونبدأ من حيث وصلوا ، ونبني على ما بنوا ...

ولقد أدركت الأمم والحضارات القديمة أهمية التاريخ وحفظ المعلومات عن حضاراتهم وأنماط معيشتهم ليتعرف عليهم من يأتي بعدهم ، فنجد تلك الحضارات القديمة تسجل أنماط معيشتها والأحداث التي مرت بها على جدران الكهوف والقبور والحجارة ، ولولا قيام تلك الحضارات برسم تلك النقوشات على الحجارة والقبور لما عرفنا عليها وعلى غط حياتها وما مرت به من حروب وغيرها ، والأسباب التي أدت إلى انقراضها وزوالها .

ولقد أدركت الحضارة الغربية المتقدمة في عصرنا هذا أهمية علم التاريخ ، فاهتمت به إيما اهتمام ، فأنشأت الجامعات والكليات ومراكز البحث المتخصصة في دراسة التاريخ ، وأعدت على الباحثين ليتفرغوا للدراسة والكتابة ، واعتت بجمع المخطوطات والآثار المتعلقة بمختلف الأمم

(١) سورة يوسف ، آية : ١١١ .

والحضارات ، وعكفت على دراستها والاستفادة من تجارها حتى وصلت الحضارة الغربية إلى ما وصلت إليه اليوم .

ولم تكف بذلك بل تعدت نطاق الكرة الأرضية إلى الفضاء الخارجي ، فحاولت وتحاول الاتصال بالفضاء الخارجي للتعرف عليه ومحاولة اكتشاف إمكانية وجود حياة به غير الحياة على كوكب الأرض ، ومحاولة تعريف الكائنات الحية الفضائية - إن وجدت - على كوكب الأرض وسكانه ، فمن ضمن تلك المحاولات إرسال مركبة (لويجيرو) إلى الفضاء في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م ، ثم تلها المركبة الفضائية (لويجيرو) في عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، وكل منهما كانت تحمل معلومات عن المجموعة الشمسية وعن كوكبنا الأرض ومعلومات كبيرة عن سكان الأرض ، فضلا عن إرسال الإشارات المحملة بمختلف المعلومات إلى الفضاء من على سطح الأرض^(١) .

هذا وإن حضارتنا الإسلامية اكتشفت مدى أهمية علم التاريخ قبل الحضارة الغربية الحالية بقرون عديدة ، فسابق المؤرخون المسلمون لتقيد مختلف الأحداث التي وقعت في عصرهم وقبلهم لتعريف من يأتي بعدهم بها ، ولربط الماضي بالحاضر ، ولأخذ العبرة والعظة من الأمم السابقة ، فالفوا المطولات والمختصرات في التاريخ والسور .

ولقد تبه علماء المسلمين إلى أهمية علم التاريخ وضرورة العناية به ، وأهم المواصفات التي يجب أن تتوفر في المؤرخ ، والأخطاء التي يقع فيها بعض من يحاول العناية بالتاريخ والكتابة فيه ، فنجده ابن خلدون يقول : " أما بعد فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال ، وتشهد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال ، وتتالس فيه الملوك والأقبال ، ويتساورى في فهمه العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال ، وتؤدي إليها شان الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق وأنجال وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحن منهم الزوال ، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل

(١) الاتصال بالمعلم الخارجي ، انظر هذا الرابط :

<http://www.the4thspace.20m.com/phone.htm>

للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلمه بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجددير بأن يعد في علومها وخليق * (١) .

نلاحظ من خلال النص السابق أن ابن خلدون قسم التاريخ إلى ظاهر وباطن ، ولعمري إنه أصاب كبد الحقيقة ، فالظاهر هو الذي يتسارى في فهمه العالم والجاهل ، إلا أن الفوس في أعماق التاريخ لا يتأني إلا للباحث الدارس المتمرس وليس للهاوي ، فالتاريخ ليس مجرد قصص تسرد ، بل حقيقة التاريخ تكمن في استبطاء الحقائق من خلال الأحداث ومن خلال الربط بين مختلف النصوص ومن خلال استنطاق الحروف ، فالمؤرخ الحقيقي يرى في الحادثة ما لا يسراه القسارى العادي ، فربما من خلال حادثة واحدة يسطر لك الصفحات الطوال من الحقائق والاستبطات ، وهنا تكمن اللذة في علم التاريخ والتي لا يمكن أن يصل إليها القارى العادي الذي لا يمتلك آلة سبر أعماق النصوص .

ثم نجد ابن خلدون يقول : " وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطها المتطفلون بدساتس من الباطل وهو فيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضغفة لفقوها ووضعوها ، واقضى تلك الآثار الكثير ممن بعندهم واتبعوها . وأدوها إلنا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ، ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها ، فالتحقيق قليل وطرف التقيح في الغالب كليل ، والفلط والوهم نسب للأخبار وخليل ، والتقليد عريق في الآدمين وسليل ، والتطفل على الفنون عريض وطويل ، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل " (٢) .

نجد ابن خلدون وضع لنا هنا أهم قاعدة ينبغي أن يضعها نصب عينيه كل من أراد التصدي لعلم التاريخ ، ألا وهي التحقيق وترك التقليد ، وإعمال العقل في النص ، وعدم تلقية على علاته وهنائه ، وكذلك - وهذه نقطة مهمة - عدم إخراجها من إطاره الزمني .

فكثير من النصوص خاصة التاريخية لها الفث والسمين ممزوجان معا ، فيجب على الباحث اللبيب تجريد الفث من السمين ، والتمييز بينهما ، إذ النصوص التاريخية لم تسلم من أيدي العابدين

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تلخيص ابن خلدون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ١/٢ .

(٢) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ١/٢ .

والوضاعين - كما ذكر ابن خلدون - وكما هو الواقع ، وأنا لها أن تسلم إذا كان كلام غير البرية ﷺ لم يسلم من الوضع والكذب لما بالنا بكلام غيره وروايته ١٢
نعم هذه هي الحقيقة المرة والمؤلمة ، فالتاريخ بصفة عامة لم يسلم من التزوير والتحرير والكذب ، والتاريخ الإسلامي كذلك ابتلي هؤلاء المتطفلين والوضاعين ، الذين جنوا على تاريخنا الإسلامي ، يقول جيس العدوي : * ونحدث هنا عن خطورة اتجاه المتطفلين على التاريخ وهم موجودون - للأسف الشديد - مع عمق التاريخ نفسه ، وفي الأمة الإسلامية وجد التزييف التاريخي لرؤيتها الحضارية منذ قدم الزمان ، منذ أن اختلقت الأمة فيما بينها ، وأخذ كل يضع الأقوال في صالحه والروايات التي تؤيد مذهبه وتتصر له ... * (١)

وهناك أسباب عديدة تدفع هؤلاء إلى تحريف التاريخ وتزويره ، فمن ضمن تلك الأسباب الصراعات السياسية ، والانتصار للمذاهب والآراء ، والعصية القومية ، والأطماع المادية وغيرها (٢) ؛ فعلى المتصدي لعلم التاريخ والقارئ للنصوص التاريخية أن لا تفوته هذه الأسباب عند تناوله للنصوص والروايات التاريخية بالتحليل .

ومن الضروري أن أنه إلى أهم ضابطين ينبغي الحرص على تفعيلهما عند التعامل مع الرواية التاريخية ومن خلالهما يمكن الحكم بقبول الرواية التاريخية من عدمه ، وهذان الضابطان هما :

أ- قبول العقل لها .

ب- مطابقتها للواقع (٣)

ولن أطيل المقام بتفصيل الحديث عن هذين الضابطين فقد أجاد في عرضهما وشرحهما جيس العدوي في كتابه (رؤية تاريخية) ، فأحث القارئ الكريم على العودة إلى هذا الكتاب القيم للاستفادة منه ، إذ إن مؤلفه خصص مبحثا كاملا للحديث عن الرواية التاريخية فجاء بما لا مزيد عليه (٤) .

(١) خميس بن راشد العدوي ، رؤية تاريخية ، الأجل للتصديق ، روي ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ١٦ .

(٢) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ١/٢ - العدوي ، مصدر سابق ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) العدوي ، مصدر سابق ، ص ٢٢ .

(٤) العدوي ، مصدر سابق ، ص ٧ - ٤٠ .

وإن مما يؤسف له أن مذهباً إسلامياً عربياً ناله ما ناله من الفراء وتهميم وتطفل العديد من الكُتّاب - من المتقدمين أو المتأخرين - سواء في التاريخ أو غيره ، الذين لم يهتموا القارئ الكريم وعقله ، فقدموا له مادة ملؤها التزوير والتشويه والتحريف حول هذا المذهب ونشأته وتاريخه وعقيدته ومبادئه التي قام عليها ورجاله !

وهذا المذهب أخى القارئ الكريم هو المذهب الإباضي ، هذا المذهب الإسلامي العريق الذي نشأ منذ القرن الهجري الأول ، وارتبط أئمه ومؤسسه بكار الصحابة ، فمؤسس المذهب الإباضي الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد (ت : ٩٣هـ / ٧١١م) أخذ العلم عن كبار الصحابة كابن عباس وابن عمر وعائشة أم المؤمنين وغيرهم كثير ، حتى أنه يقول : " أدركت سبعين من أهل بدر فحوت ما عندهم إلا البحر " ^(١) ويقصد بالبحر ابن عباس ، وقال فيه ابن عباس : " أسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه " ^(٢) .

إلا أننا نفاجاً بعد ذلك ببعض الكُتّاب يحاول بتر الصلة والعلاقة بين الإمام جابر والإباضية ، ونفاجاً ببعض الكُتّاب لا يقر بوجود أئمة أجلاء من أئمة الإباضية كالإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة والإمام الربيع بن حبيب صاحب المسند وغيرهم ، بالرغم من أن شهرتهم قد طُبِّقت الآفاق !؟

ونفاجاً بآخرين يخلطون بين الإباضية والخوانسار ويزجون بالإباضية في صفوف الخوانسار ، بالرغم من أن الإباضية ومن القرن الهجري الأول بينوا موقفهم صراحة من الخوانسار كالأزارقة والجدات والصفارية ، وتبرأوا منهم ، ووضعوا المصنفات في ذلك !؟

ونجد آخرين ينسبون إلى الإباضية معتقدات وأقوالاً لم يقل بها أحد من الإباضية ، وينسبون إليهم فرقاً وطوائف لا تمت إلى الإباضية بأي صلة ، وهذا من العجب بمكان !؟

وللأسف الشديد أن كُتّاب المقالات كالأشعري والبغدادي والشهرستاني وابن حزم وغيرهم كان لهم دور كبير في تشويه حقيقة الإباضية والعديد من المدارس الإسلامية الأخرى ، عن طريق

^(١) البرادي ، الجواهر المنتقاة (مخ) ، ص ١٥١ - مسلي صقر أبو داود ، الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ٢٠٠٠م ، ص ٧٨ .

^(٢) أحمد بن سعيد الدرجيني ، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، ج ٢ ، تح : إبراهيم طلاي ، جهة النشر غير مسجلة ، ص ٢٠٥ .

الصواب ، وما خالفه رمى به عرض الحائط ، فقدم ما يقوله كُتّاب المقالات على ما يقوله الإباضية عن أنفسهم ١٩

وبعض الكُتّاب المعاصرين عاد إلى المصادر الإباضية باحثا فيها متقبا بين أسطرها عن بعض الفلتات والمئات التي ربما يستطيع من خلالها الإيفال أكثر وأكثر في تشويه حقيقة هذا المذهب في نظر القارئ موها إياه أنه يستقي معلوماته من صميم المصادر الإباضية ، بالرغم أنه ربما يكون اعتمد على بعض الأقوال المهجورة الضعيفة لدى الإباضية ، أو بتر بعض النصوص وحوار وحرف ليصل إلى مبتغاه (١)

ولئن اعتدنا للمتقدمين بعدم توفر وسائل الاتصال والطباعة كما هي في عصرنا هذا ، فبماذا نعتز لباحثي هذا العصر ومؤلفات الفرق الإسلامية تزخر بها أرفف المكتبات وتفص ما مواقع الشبكة العالمية (الإنترنت) ١٩

يقول الشيخ أحمد السايي : * بيد أنه من العجيب حقا - مع كل هذا - أن تكون تلك الكتب مصادر علمية أساسية معتمدة يرجع إليها كل من يريد القول أو الحوض عن الفرق أو المذاهب الإسلامية . حتى أننا لنجد كتابا وباحثين معاصرين تكاد تكون كتاباتهم ومقالاتهم - بل هي كذلك - اجترارا لما في تلك الكتب ذات التعصب المذهبي البغيض ، والافتراء الواضح ، ونحن في هذا العصر الذي توفرت فيه وسائل المواصلات وتوفرت فيه وسائل الاتصالات ، وأصبح العالم قرية صغيرة * (٢) ، ويقول الشيخ ناصر السابعي : * ولئن حاولنا الاعتذار عن الأقدمين بعد الشقة

(١) يمكن للقارئ الكريم أن يعود إلى بعض المؤلفات - سواء المتقدمة أو المعاصرة - للتأكد من صحة ما نكرت أعلاه ، وليرى مدى التشويه الذي لحق بالمذهب الإباضي والإباضية على يد هؤلاء الكُتّاب إما عن قصد أو غير قصد ، فمن المتقدمين على سبيل المثال لا الحصر : (مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري ، (و التفرقة بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي ، (و الفصل في الملل والنحل) لابن حزم الظاهري ، (و التبصير) لأبي المنصور الأسفراييني ، (و الملل والنحل) لأبي فتح الشهرستاني ، هذا بالنسبة للمتقدمين ، وأما المعاصرون فهم أكثر تأخذاً منهم على سبيل المثال : (تاريخ الفرق الإسلامية) للأستاذ علي مصطفى الغواني ، (و المذاهب الإسلامية) للأستاذ محمد أحمد أبي زهرة ، (و تاريخ لفظة الإسلام في القارة الإفريقية) للدكتور يحيى هويدي ، (و الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام) للدكتور ناصر عبد الكريم العتل ، (و الخوارج دراسة ونقد لمذهبهم) للدكتور ناصر بن عبد الله السعوي ، (و نشأة الحركة الإباضية في البصرة ومناقشة دعوى تلموس جابر بن زيد لها وعلاقتها بالخوارج) للدكتور محمد عبد الفتاح طرابان ، (و الإباضية عقيدة ومذاهب) للدكتور صابر طعيمة ، (و أدوار التاريخ الحضري) لمحمد بن أحمد الشاطري ، (و تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي) لأحمد بن محمد الشامي ، (و الاتجاهات المذهبية في اليمن) للدكتور محمد عيسى الحريري ، (و تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي) للدكتور عبد الرحمن عثمان حجازي ، (و تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية) للدكتور محمد بن سعد الشويرح .

(٢) الحجري ، الإباضية ومنهجية البحث ، ص ١٢ .

وطول المهدي وعدم الاطلاع على مؤلفات هذا المذهب ومصنفات علمائه ، فإن العذر يتضاءل في هذا الوقت الراهن الذي تملو فيه شعارات الوحدة والموضوعية والمنهجية ، والتي ما إن تعرض على انكح حتى يهاوى عدد منها على تراب الأرض " (١) .

وإن أصدق وصف يمكن أن نصف به هؤلاء الكُتّاب هي تلكم العبارات الذهبية التي سطرها أنامل الشيخ علي يحيى معمر واصفا هؤلاء الكُتّاب الدخيلين المنطفلين على العلم وأهله فيقول واصفا تعاملهم مع المذهب الإباضي : " فهم يضعون هذا المذهب وأتباعه في قفص الاتهام أولا ، ويمكثون عليهم بأهم مخطئون لأهم خوارج ، وبعد ذلك قد يبحثون عن الأدلة ، ولكن لإثبات هذه التهمة لا لمعرفة الحقيقة . وعندما يتقدم الإباضية بعرض عقائدهم وآرائهم والأدلة الشرعية التي استدوا إليها ، ويبينون سرقم وسلوكهم ، يعتبر كل ذلك منهم كلاما في موقف الدفاع ، لا يجوز على القاضي الذكي ، فهو لا يسمعه ، ولا ينظر فيه ، وإذا استمع إليه فلنكتف منه جملا تعزز التهمة ، وقد يجربها قليلا حتى تكون صالحة كدليل للإثبات . وقد يعرض الإباضية عقيدة أو رأيا لم يبادله وبراهينه وهو في نفس الأمر يوافق عقيدة القاضي ، ولكن القاضي يصبر مع ذلك أن يقوم مخطئون وأن ما يقولونه إنما هو كلام للدفاع ، ثم يحكم برفض الدفاع ، وإلجاب الدعوى ، لا لشيء إلا لأنهم حسبما بلغ إلى علمه (خوارج) ، وحتى عندما يقول الإباضية عن عقيدة أو رأي أنه عندهم كفر وخروج من الملة ، فإن هذا القول لا يقبل منهم ، ويستمر إلباته لهم ومحاسبتهم عليه ؛ وقد يبرأون من رجل ومن أعماله وأقواله ممن لا ينتمي إليهم ، ولكن يقال لهم أيضا : بل هذا الرجل من أمتكم ، ولو أنكرتم ذلك " (٢) .

وألا لست هنا في صدد مناقشة ما سطره أولئك الكُتّاب في كتبهم من التراءات وإقامات تجاه الإباضية ، إذ إن ذلك يحتاج إلى بحوث مستقلة ، وقد كفايتي مؤونة ذلك عدد من أهل العلم والفضل جزاهم الله عن جهدهم خير الجزاء (٣) .

(١) الحجري ، الإباضية ومنهجية البحث ، ص ١٦ .

(٢) علي يحيى معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٣ : ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ١٤ - ١٥ .

(٣) نذكر على سبيل المثال لا الحصر : كتاب (الرد على العقبني) لتطاب الأئمة محمد بن يوسف الطفيش (ت : ١٢٣٢ هـ / ١٩١٤ م) ، وكتاب (المملك الممود في معرفة الرود) للشيخ سعد بن علي الجربي التماريني الثالث (ت : ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) ، وكتاب (الفرق بين الإباضية والخوارج) للشيخ إبراهيم الطفيش =

هذا وإنّي لا أنكر وجود عدد من الباحثين ممن ألف حول الإباضية فأجاد التأليف ، وأنصف وتجرّد من الأهواء والتقليد ، والتزم بالمنهج العلمي الأكاديمي الرصين ، فأضحت مؤلفاتهم مهفلاً عذباً يقصده الوراد ، فأحث كل من أراد التعرف على الإباضية الرجوع أولاً إلى المصادر الإباضية إذ إنّها المصدر الأول للتعرف على المدرسة الإباضية ، وثانياً الرجوع والاستفادة من مؤلفات هؤلاء الأساتذة الكرام جزاهم الله عن جهدهم خير الجزاء^(١) .

أخي القارئ الكريم قد تتساءل عن أسباب تطرفي للحديث عن التاريخ وأهمية تدوين التاريخ ، وأهمية الترجمة للرجال والأعلام ، ومدى التشويه الذي لحق بالإباضية من كُتّاب المقالات ومن بعض الباحثين المعاصرين ؟

الحقيقة أنني عندما رأيت أهمية التاريخ وتدوينه ، وأهمية تعريف الآخرين بما لدينا من تراث علمي وفكري ، ومدى التشويه الذي لحق بالإباضية من قبل البعض ، دفعتني ذلك إلى توجيه جهدي للكتابة عن المدرسة الإباضية خاصة الجانِب التاريخي منها ، والعناية بالترجمة لأعلام هذه المدرسة الإسلامية العريقة ، وذلك محاولة مني للإسهام في التعريف بهذا المدرسة الإسلامية ورجائها ، وإمطاة اللثام عنها ، وإزالة الشُّبه والافتراءات التي حيكت ضدها ، علّني أسهم من خلال كتاباتي المتواضعة في ردم هموة بين المدارس الإسلامية المختلفة ، وتقريب وجهات النظر ، والنداء بما نادى به الشيخ علي يحيى معمر رحمه الله في مصنفاته عندما كان يكتب عن الإباضية محاولاً تعريف إخوانه

(ت : ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) ، وكتاب (الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كُتّاب المقالات في القديم والحديث) للشيخ علي يحيى معمر (ت : ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ، وكتاب (دراسات عن الإباضية) للدكتور عمرو خليفة النامي ، وكتاب (الحق الدامع) و (وسط القناع) لسماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي ، وكتاب (الطوفان الجارف) و (السيف الحد) للشيخ العلامة سعيد بن مبروك القنوبي ، وكتاب (الخوارج والحقيقة الغائبة) للشيخ ناصر بن سليمان السبعمي ، وكتاب (الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وكتاب المقالات) لطفي بن محمد الحجري ، وكتاب (هذه مبادئنا) لمجموعة من الباحثين ، وكتاب (أضواء إسلامية على المعالم الإباضية) لبكير بن سعيد أعرشوت وغيرها .

(١) تنكر على سبيل المثال لا الحصر : كتاب (أخبار الأئمة الرستمين) لابن الصغير عاشر في القرن الهجري الثالث وكان معاصراً للدولة الرستمية ، ومن البحوث المعاصرة : كتاب (الإباضية في المشرق العربي) لمهدي هشام طالب ، وكتاب (نشأة الحركة الإباضية) للدكتور عوض خليفات ، وكتاب (عمان : الديمقراطية الإسلامية ، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث) للدكتور حسين عبيد غيثان ، وكتاب (تاريخ موجز للفكر العربي) للدكتور حسين مؤنس ، وكتاب (الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين) للدكتور نجيف عيد جابر السهليل ، وكتاب (الإمام جابر بن زيد الأزدي) للدكتور سامي صفر أبو داود ، وكتاب (دراسة في الفكر الإباضي) لعمر بن الحاج محمد صالح با ، وكتاب (الفكر والمجتمع في حضرموت) لكرامة مبرك بلؤمن ، وكتاب (مشروع رؤية) لسالم عوض وغيرها .

في المدارس الأخرى بهم وردم الفجوة وتقريب وجهات النظر ، فكان يردد هذه القاعدة الذهبية التي حري بكل كاتب أن يضعها نصب عينيه : " المعرفة والتعارف والاعتراف " ، فجدده يقول : " وأنا على يقين - في نفسي - أن المذهبية في الأمة الإسلامية لا تتحطم بالقوة ، ولا تتحطم بالحجة ، ولا تتحطم بالقانون ، لأن هذه الوسائل لا تزيدنا إلا شدة في التعصب وقوة في رد الفعل ، وإنما تتحطم المذهبية بالمعرفة والتعارف والاعتراف ، فبالمعرفة يفهم كل واحد ما يتمسك به الآخرون ، ولماذا يتمسكون به ، وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات ، وبالتعارف يتقبل كل واحد منهم مسلكت الآخر برضا ويعطيه مثل الحق الذي يعطيه لنفسه (اجتهد فأصاب أو اجتهد فأخطأ) ... " (١) .

فكانت تجربتي الأولى مع كتاب (الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصافية) (١) ، وقد كانت تجربة ناجحة بفضل الله تعالى ، وقد أثنى على الكتاب عدد من أهل العلم والأساتذة الجامعيين والأخوة الكرام جزاهم الله خيرا .

والحقيقة أن تجربتي الأولى مع كتاب (الشيخ عمروس ومنهجه) وهبني حصيلة لا بأس بها حول تاريخ وأعلام الإباضية بالمغرب ، فرأيت ضرورة الكتابة حول بعض جوانب التاريخ الإباضي بالمغرب ، والترجمة لأعلام الإباضية هناك ، فبدأت بنشر عدد من المقالات حول عدد من أعلام الإباضية بالمغرب ، وكذلك كتبت بعض المقالات المتعلقة بالوجود الإباضي بالمغرب كمقال : (الدولة الرستمية دولة إسلامية تجاهلها التاريخ) .

وقد نُشرت هذه المقالات في جريدة الوطن بسلطنة عمان بين سنتي (١٤٢٣هـ / ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٣م / ٢٠٠٥م) ، وفي عدد من مواقع الشبكة العالمية (الإنترنت) كموقع الشبكة العمانية (www.omania.net) ، وموقع شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhiyah.net) ، وموقع الأمل المشرق (www.alaml.net) .

وبعد أن تجمع لدي عدد لا بأس به من البحوث والمقالات رأيت أهمية جمعها في كتاب واحد ليسهل على القراء الكرام الاطلاع عليها ، فكان هذا الكتاب في جزئه الأول .

(١) مسر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ٥/١ .

(٢) لقد تم نشر هذا الكتاب في سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م من قبل مكتبة الجيل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، والكتاب متوفر في مختلف مكتبات سلطنة عمان .

وقد احترت كثيرا في العنوان المناسب لهذه البحوث والمقالات ، إلى أن أرسل إلي أخ عزيز رسالة عبر الهاتف بلا تنسيق سابق تضمنت عبارة (إضاءات حضارية من تراث الإباضية) ، فقدح في ذهني أن هذه العبارة هي مبتغاي وهي ما كنت أبحث عنه ، وذلك أن التراث الذي خلفه الإباضية تراث ضخم ، سواء من ناحية مؤلفاتهم العلمية أو تطبيقاتهم العملية ، أو تاريخهم ودولهم التي قامت ، أو سيرهم وفعالهم ، والتي جسدوا من خلالها عهد الراشدين الزاهر ، جاعلين من الشورى أساسهم الذي بنو عليه دولهم ، ولعمري ما أوججتنا اليوم في حاضرتنا إلى العودة إلى التراث الإباضي المضيء واستفراجه من جديد ، وإبرازه إلى النور ، وتعريف العالم به ، وتطبيقه واقع حياتنا اليومية .

وإني أعترف أنني لم ولن أوفي التراث والتاريخ الإباضيين حقهما من خلال هذا الكتاب أو كسب مثله ، ولكن هي إضاءات عسى أن أرفق من خلالها إلى تعريف القارئ الكريم على بعض جوانب تراث الإباضية وتاريخها المُنِيِّين تحت ركام الزمن وتناسي الأيام .

وستلاحظ أخي القارئ الكريم أن أغلب محتويات هذا الجزء الأول تناولت الحديث فيه عن تاريخ وأعلام الإباضية بشمال إفريقيا ، باستثناء ثلاث مقالات ، الأولى عن (حركة التأليف عند العمانيين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى) ، والثانية تناولت فيها بالدراسة الفرق بين الوَهَّابِيَّةِ والوَهَّابِيَّةِ ، تحت عنوان (الوَهَّابِيَّةِ والوَهَّابِيَّةِ : النشأة والنسب) ، والثالثة تحت عنوان (الحوارج وزيف التاريخ) ؛ والحققة أن السبب في كون أغلب محتويات هذا الكتاب عُنِيَتْ بالحديث عن تاريخ وسيرة بعض أئمة الإباضية وعلمائها بشمال إفريقيا ، كوني بدأت الكتابة أول ما بدأت عن إباضية شمال إفريقيا ، وذلك لتوفر المعلومات الجيدة لدي حول التاريخ الإباضي في تلك المناطق نتيجة كتابي الأول كما ذكرت سلفا .

وبعون الله وتوفيقه سأخصص الأجزاء القادمة من هذا الكتاب للحديث عن تاريخ الإباضية وتراثها بالشرق والترجمة لأبرز أعلام إباضية المشرق ؛ وقد بدأت في ذلك بالفعل ، إذ إني في هذه الفترة عاكف على كتابة بحث عن الوجود الإباضي باليمن ، وقد قطعت فيه شوطا لا بأس به ، وكذلك فإنني أقوم بالترجمة لبعض أعلام الإباضية بالشرق ...

وبخصوص محتويات هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، فإنه تضمن إحدى عشرة مقالة ، سبع مقالات منها مترجمة لعدد من الأعلام ، ستة منهم إباحية ، والسابع غير إباحي إلا أنه عاش في الدولة الرستمية في القرن الهجري الثالث ، ونسب إلى عاصمتها (تَهْرَت)^(١) ، وغدٌ من فحول شعراتها ، ولهذا عنت بالترجمة له ، وأعي به الشاعر المحدث بكر بن حماد التَهْرَتِي .

وأما بقية الأعلام المترجم لهم فهم : الإمام أبو حاتم يعقوب بن حبيب الشَّجْبِي المَلْزُوزِي ، والشيخ العلامة مهدي التَّفُوسِي البُلْبُؤِي ، والشيخ القاضي مُحَكَّم بن هود المُوَارِي قاضي (تَهْرَت) ، والشيخ العلامة المفسر هود بن مُحَكَّم المُوَارِي ، والشيخ العلامة عَمْرُوس بن فصح المَسَاكِينِي التَّفُوسِي ، والشيخ العلامة المؤرخ سالم بن محمد بن يعقوب الجَرْبِي .

وأورد التنبيه إلى أن جميع هؤلاء الأعلام عاشوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، باستثناء الشيخ سالم بن يعقوب فإنه معاصر تولى في سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، وقد قمت بكتابة مقال حوله لرايت أن أضمنه هذا الكتاب .

وبالإضافة إلى الأعلام المترجم لهم ، فإن هذا الكتاب يضم بين دفتيه أربع مقالات أخرى وهي كالتالي : (الدولة الرُستَمِيَّة دولة إسلامية تجاهلها التاريخ) ، و(حركة التأليف عند العُمانيين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى) ، و(الوَطِيَّة والوَهايَّة : النشأة والنسبة) ، و(الحسوراج وزيَّف التاريخ) .

ولصم أخي القارئ الكريم ، أن هذا الكتاب الذي بين يديك لا يعدو كونه جهد مقل ، ولن يعدم السهو والخطأ ، فإله تعالى أي إلا أن تكون العصمة لكتابه وأبيانه عليهم الصلاة والسلام ، فإن وجدت شيئا من ذلك فلا تبخل على العبد الفقير إلى مولاه بالنصح والإرشاد .

هذا لأن أصبت لذلك فضل الله يؤتية من يشاء من عباده ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وفي الختام أسأل الله تعالى أن أجود ثواب عملي هذا ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ

(١) وقع الخلاف في الضبط الصحيح لـ (تَهْرَت) ، فقيل : تاهرت ، وقيل : تَهْرَت ، وقيل : تَهْرَت ، واللفظ الأخير هو الذي رجحه قطب الأمانة في رسالته (الرد على المتبي) ، وقد اعتمدته في كتابي هذا (لمزيد تفصيل انظر : بحار إبراهيم بكير ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعية التراث ، القنطرة ، الجزائر ، ط٢ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ص٨٦ الهامش - مهنا بن راشد بن حمد السعدي ، الشيخ عمرووس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب أصول الدينونة السافونية ، مكتبة الجيل الواعد ، مستط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ص٩٢ - الهامش) .

وَلَا تَتَوَنَّأْ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِقَلْبِكَ سَلِيمٌ ﴿١١﴾ ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا ﴿ إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

مهنا بن راشد بن حمد السعدي

ولاية السويق - سلطنة عمان

٢٠ من رمضان ١٤٢٦هـ / ٢٤ من أكتوبر ٢٠٠٥م

abujaiifar@hotmail.com

abujaiifar@gawab.com

(١) سورة الشعراء ، آية : ٨٨ - ٨٩ .

(٢) سورة يونس ، من الآية : ١٠ .

(١)

الإمام أبو حاتم الملوذي

المرفوف إلى الموت زفاف العروس

الإمام أبو حاتم المنزوي المرفوف إلى الموت زفاف العروس^(١)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين .. الذي من سنته في الكون أن يقبض بين القبنة والقبنة أئمة عدولا يعزهم صرح الإسلام والدين ، وينشر على أيديهم العدل والأمن ويقضى على الظلم والجور ، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من ألقى أثره من الأئمة وسائر المسلمين ، وبعد ...

فإن أنتمال في التاريخ الإسلامي بمجده تاريخنا حافلا بالإنجازات العظام التي تمت على أيدي الكثير من الأئمة والعلماء ، والتي هي في أمس الحاجة للإبراز إلى النور ليتأسى لها أبناء هذا الجيل الذي أصبح جله فاقدا فويته للأسف الشديد .

وإن المذهب الإباضي حوى تاريخه الكثير من الأئمة العظام ، الذين سطروا في سني حياتهم أروع الإنجازات ، والتي تستحق أن تنقش بماء التبر على صفحات اللجين ، فمنهم من تمكن من إقامة الدول الإسلامية الساترة على نهج الخلافة الراشدة كالدول الإباضية التي قامت في عمان بدءا من الإمام الجندى بن مسعود الكندي ، وكدولة الإمام طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي في اليمن ، وكدولة الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح في المغرب ، وكالدولة الرسمية التي قامت على يد الإمام عبد الرحمن بن رستم في المغرب .

ومنهم من ترك العديد من المؤلفات في مختلف فنون العلم ، والتي وصل بعضها إلى أكثر من تسعين مجلدا ، ولقد ضاع الكثير من التراث الإباضي بسبب الفتن والصراعات والله المستعان .

(١) نشر هذا البحث سابقا في :

موقع الأمل المشرق (www.alam1.net) .

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhyyah.net) .

موقع الشبكة العمانية ، سبلة الدين ، (www.omania.net) .

جريدة الوطن ، سلطنة عمان ، الجمعة ٢٤ من ربيع الأول ١٤٢٥ هـ / ١٤ من يونيو ٢٠٠٤ م ، العدد (٧٦٠٥) ، السنة ٢٤ ، وانظره على هذه الوصلة كذلك :

<http://www.alwatan.com/graphics/2004/05may/160/dailyhtml/deen.html>

ومنهم من كون طلاب العلم يرفشون من معين علمه العذب الزلال ، فخرج على يديه أعلام عظام أعز الله بهم دينه .

ولا يزال إباضية هذا العصر سائرون على نهج سلفهم في التمسك بكتاب الله تعالى والعمل بسنة نبيه ﷺ والدفاع عن حياض الدين والحمد لله رب العالمين على هذه النعمة .

وإن مما يؤسف له أن نجد الكثير من المسلمين من غير المذهب الإباضي يجهلون أمر هذا المذهب ، ويجهلون التضحيات الجسام التي قدمها أتباعه محافظة على الدين الإسلامي ، بل وتجد بعضهم يتعنون أتباع هذا المذهب بتعوت هم منها أبرياء كبراء الذنب من دم يوسف عليه السلام ، فمن ذلك وصفهم بأنهم خوارج معتمدين في ذلك على ما سطره كتاب المقالات كالبغدادي والشهرستاني وابن حزم وغيرهم ، الذين لم يكتفوا أنفسهم عناء الرجوع إلى المصادر الإباضية وإلى علماء الإباضية لمعرفة صحة ما ينسب إليهم من عدمه ، بل ونسبوا إلى الإباضية الكثير من العقائد المنحرفة التي لا تمت بصلة إلى العقيدة الإباضية المستقاة من الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، وقد تكفل علماء الإباضية بالرد على تلك الشبه في الكثير من المؤلفات وبتوا حقيقة المذهب الإباضي وأتباعه ، فيمكن الرجوع إليها ^(١) .

بل وإن مما يؤسف له كذلك أن نجد الكثير من أتباع المذهب الإباضي يجهلون تاريخ مذهبهم ونشأته ، ويجهلون أمتهم وسيرهم ، وهذا البحث هو محاولة مني تنصب في هذا الصدد ، فأحاول من خلاله تسليط الضوء على إمام من أئمة الإباضية في المغرب ، بويج بالإمامة في سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، فحاول إقامة دولة إسلامية سائرة على نهج الخلافة الراشدة ، فسطر في جهاده للظلم والجور أروع الإنجازات ، هذا الإمام هو الإمام الجليل أبو حاتم يعقوب بن حبيب الشجبي المُرُوزِي رحمه الله تعالى .

فأسأل الله تعالى أن أكون بهذا العمل قدمت ولو نورا يسيرا من تاريخ الإباضية ، سائلا المولى القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعواتنا ﴿ إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

^(١) أشرت إلى بعضها في مقدمة الكتاب .

^(٢) سورة يونس ، من الآية : ١٠ .

١ - انتشار المذهب الإباضي في المغرب :

قبل أن نتناول التعريف بالإمام أبي حاتم وسيرته ، أرى من الضروري أولاً أن أعرج باختصار على الأحداث التي سبقت بيعته بالإمامة ، وذلك حتى نربط الأحداث بعضها ببعض ...

بعد أن نشتر المذهب الإباضي في المغرب على يد دعاة الإباضية وعلى رأسهم سلمة بن سعد الحَضْرَمِي (حي : ١٣٥هـ / ٧٥٢م)^(١) الذي قدم من المشرق تحديداً البصرة ، بعد أن أخذ العلم على يد إمام الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي رحمه الله (ت : ١٤٥هـ / ٧٦٢م) .

انطلق بأمر من شيخه أبي عبيدة إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي في تلكم الأراضي البعيدة عن عيون بني أمية^(٢) ، وبالفعل استطاع سلمة أن يوجد أتباعاً للمذهب الإباضي في المغرب وتحديداً المغرب الأدنى^(٣) ، وخاصة جبل نفوسة ، ونتيجة لجهوده ارتحل بعض من اعتنق المذهب من أهل جبل نفوسة إلى البصرة ليأخذوا أصول الدعوة وتعاليمها عن الإمام أبي عبيدة ، وكان أشهر هؤلاء أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مفضل الجَنْدَوِي (حي بعد : ١٦٠هـ / ٧٧٦م)^(٤) .

عاد ابن مفضل من البصرة ليتعاون مع سلمة بن سعد في نشر المذهب الإباضي ، بعد وفاة سلمة بن سعد أو عودته إلى المشرق ، أصبح ابن مفضل هو الداعية الأول للإباضية في المغرب ، وكانت له جهود كبيرة في إقناع قومه بجبل نفوسة باتباع المذهب الإباضي حتى أن جبل نفوسة

(١) تناولت الحديث بالتفصيل عن دور الداعية سلمة بن سعد في نشر المذهب الإباضي في بحث لي تحت عنوان (أئمة المغرب الأرائل) انظره في موقع الأمل المشرق (www.alami.net) قسم التاريخ .

(٢) للدرجيني ، طبقات المشايخ ، ١/١ - محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، ممقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ١٤٧ - بحاز إبراهيم بكور وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ١٨٩ ، رقم الترجمة : ٤١٨ - عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطبع دار الشعب ، سَنان ، الأردن ، ١٩٧٨م ، ص ١٣٣ .

(٣) المغرب الأدنى يشمل اليوم شرق الجزائر ودولة تونس ودولة ليبيا ، أما المغرب الأوسط فهو وسط الجزائر إلى حدود المملكة المغربية ، وهذه الأخيرة هي المغرب الأقصى في الكتابات التاريخية الإسلامية ، وذلك بحسب بعدها أو قربها من المشرق الإسلامي ، فهو أدنى أو أوسط أو أقصى (لقاء مع د/ إبراهيم بكور بحاز ، الرستاق ، سلطنة عمان ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م) .

(٤) علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة (٢) ، مكتبة الضمري ، السبب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٢م ، ص ٢٧ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٣٦ .

أصبح المعقل الرئيسي لإباضية المغرب في تلك الحقبة أي خلال الثلث الأول من القرن الهجري الثاني، وانتشر المذهب الإباضي بين قبائل هُوَازَة وَزَلَاة وسَنْزَاة وَاوَاة^(١).

بعد ذلك رأى دعاة الإباضية ضرورة إرسال المزيد من البعثات العلمية إلى البصرة، فتم اختيار أربعة شباب من مناطق مختلفة ممن أمّل فيهم دعاة الإباضية بالمغرب أن يكون لهم شأن كبير في المستقبل، والذين سيعرفون بعد ذلك بجملة العلم إلى المغرب؛ وهؤلاء نفرهم: أبو النيب إسماعيل بن درّار المُدَّامِسي (حي: ٢١١هـ / ٨٢٦م) من غَدَامَس جنوب طَرَابُلس، وعبد الرحمن بن رستم (ت: ١٧١هـ / ٧٨٧م) فارسي الأصل من القَبْرَوَان، وعاصم السلراني (ت: ١٤٦هـ / ٧٥٨م) من قبيلة سَنْزَاة في جبال الأوراس بشمال الجزائر، وأبو داود القَبْلِي التَّفْرَاوِي (حي: ١٤٠هـ / ٧٥٧م) من تَفْرَاة بنونس^(٢).

قضى حملة العلم إلى المغرب خمس سنوات يدرسون العلم على يد الإمام أبي عبيدة في سردابه بالبصرة، وهناك التقوا بابي الخطاب عبد الأعلى بن السَّمْح المَعَالِفي المصني (ت: ١٤٤هـ / ٧٦١م)، والذي سيكون له شأن كبير في المستقبل؛ وبعد أن رأى الإمام أبو عبيدة جاهزيتهم للعودة إلى المغرب قال لهم: "توجهوا إلى بلادكم فإن يكن في أهل دعوتكم من العدد والعدة ما تجب معه التولية عليكم، فولوا على أنفسكم رجلا متكم، فإن أبي فاقطوه"، وأشار إلى أبي الخطاب المَعَالِفي^(٣).

لعادوا إلى بلادهم، وبدأوا نشر ما تعلموه في البصرة، والإعداد لإقامة دولتهم الجديدة، وفي سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م سنحت الظروف لمبايعة أبي الخطاب بالإمامة وإعلان دولتهم الإباضية الجديدة، فقاموا بمبايعة إماما على الإباضية بالمغرب^(٤).

(١) عرض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص ١٣٦.

(٢) مقرين بن محمد البختوري، كتاب سير أهل نفوسة (مخ)، ص ٥٠ - يحيى بن أبي زكرياه (أبو زكرياه)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٥٤ - الدرديني، طبقات المشايخ، ١٩١/ - عرض خليفات، مصدر سابق، ص ١٣٧ - بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج ٢، ص ٥٥، رقم الترجمة: ١٠٧، ص ١٣٩، رقم الترجمة: ٣٠٣، ص ٢٣٩، رقم الترجمة: ٥٢٨، ص ٢٤٦، رقم الترجمة: ٥٤٤.

(٣) الدرديني، مصدر سابق، ٢١١/ - بحاز وآخرون، مصدر سابق، ٢٤٢/٢، رقم الترجمة: ٥٣٤.

(٤) لواب بن سلام، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، ت: شفلرتز وسالم بن يعقوب، الناشر دار فرانز شتاين فيفيلسدان، ألمانيا، طبع بمطبع دار صافر، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١١٧ - أبو زكرياه، سير الأئمة، ص ٥٧ - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، =

استطاع الإمام أبو الخطاب والإباضية السيطرة على طرابلس والقبرون ، وسار الإمام أبو الخطاب فيهم بالعدل وأعاد الحقوق إلى أصحابها ، والحقيقة أن الحديث عن عهد الإمام أبي الخطاب يطول ويحتاج إلى بحث مستقل ، وهدلي من التعرّيج على بيعة الإمام أبي الخطاب هو التمهيد لعهد الإمام أبي حاتم كما ذكرت .

على العموم لم يسكت العباسيون على هذه الهزيمة النكراء التي منوا بها على يد الإباضية ، فأرسلوا جيوشهم تترأ في كل مرة حتى هزيمة ساحقة على يد الإباضية ، فأرسلوا جيشاً قوامه أربعين ألفاً بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي (ت : ١٤٩هـ / ٧٦٦م) ، ومنى كذلك بالفريجة ، فلجأ إلى الحيلة وتظاهر بالانسحاب ، فظن الإباضية انسحاب جيش العباسيين ، وكان الموسم موسم حصاد فعادوا إلى حقولهم ، وحذرهم الإمام أبو الخطاب من ذلك وأعلمهم أن العرب - وهو العربي اليمني القحطاني - أهل مكيدة ومكر ^(١) ، ولكن دون جدوى ، وبالفعل عندما رأى ابن الأشعث تفرق جيش الإمام أبي الخطاب ، عاد مسرعاً واستطاع القضاء على من بقي مع الإمام أبي الخطاب فقتلهم جميعاً ، واستشهد الإمام أبو الخطاب رحمه الله ، وكان ذلك في سنة ١٤٤هـ / ٧٦٦م في معركة (ناورِغًا) ؛ وتذكر بعض المصادر أن اغرام الإمام أبي الخطاب كان يعود إلى تصدع قبلي أصاب جيشه ، فاستسلمه ابن الأشعث لصالحه ، وقه الأمر من قبل ومن بعد ^(٢) .

وقد حاول عبد الرحمن بن رستم - الذي عينه الإمام أبو الخطاب والسا على القبرون - للحاق بالإمام أبي الخطاب لنجدته ، إلا أن أخبار استشهاد الإمام أبي الخطاب وأصحابه وصلته وهو لا يزال في الطريق ، فلما عاد إلى القبرون وجد أنها ثارت عليه ، فعند ذلك

ط ١ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ٢٢٩ - علي بن محمد الشيباني ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ت : ٤ / ص ٤٤٠
 السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢٢٧ - ابن عذاري المرآة ،
 البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٩٨٢م ، ص ٧٠ - ٧٢ -
 الدرجيني ، طبقات المشافخ ، ٢٦١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٤٨ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ،
 ص ١٥٠ .

^(١) في الحقيقة ليس الأمر في أن العرب أهل مكيدة ومكر وإنما هي الحرب ، والحرب خدعة ، ولعل أبا الخطاب خاطب
 البربر بما يفهم ويستقرهم .

^(٢) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١٢١ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٦٩ - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٢٩/٤ -
 ابن الأثير ، مصدر سابق ، ٢٢٨/٤ - ابن عذاري ، مصدر سابق ، ٧١/١ - ٧٢ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٢٩/١ -
 عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ - محمد ناصر ، مصدر سابق ، ص ١٥١ .

سير الأئمة^(١) ، وبما أن ابن سلام هو الأقرب إلى عهد الإمام أبي حاتم ، وبعد كتابه أقدم مصدر إباحي يتناول التاريخ الإباحي فالظاهر أن (حبيب) هو الأصح .

والحقيقة أن بعض الباحثين المعاصرين ذكر أن أبا حاتم ينتسب إلى قبيلة كِنْدَةَ بالولاء ، فممن ذهب إلى ذلك الشيخ علي يحيى معمر^(٢) ، وأصحاب معجم أعلام الإباضية^(٣) ، وإسماعيل العربي محقق سير الأئمة^(٤) ، ود/ إبراهيم بخاز^(٥) ، وأما الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش فإنه ذهب إلى أنه عربي من قبيلة كِنْدَةَ^(٦) ، إلا أنه لم يركز على كونه مولى من عدمه ، فالظاهر أنه تجاوز ذلك ولم يطره بالبحث والتحقيق .

وقد راجعت أهم مصادر الإباضية المتقدمة في التاريخ ، فوجدت أن الشماخي أشار إلى كونه مولى كِنْدَةَ^(٧) ، وأما ابن سلام وأبو زكرياء والدرجيني والبرادي^(٨) ، فلم أجد أحدا منهم أشار إلى كون الإمام أبي حاتم مولى لبني كِنْدَةَ أو كِنْدِي أصلا ، بل ولم يذكر أحد منهم ولو بإشارة بسيطة كونه عربيا !

(١) ابن سلام ، بده الإسلام ، ص ١٢٨ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٢ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٦/١ - الشماخي ، السير ، ١٢١/١ - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٨٢/٣ ، ٢٢٠/٤ - ابن الأثير ، الكامل ، ١٦٨/٥ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٨/١ - خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج ٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ٧ : ١٩٨٦ م ، ص ١٩٧ - عبد الله بن يحيى البروني ، رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين ، مكتبة الضامري ، الصيب ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٦ - سليمان الباروني أبو الربيع ، مختصر تاريخ الإباضية ، جهة النشر غير معروفة ، ص ٢٤ - سالم بن يعقوب ، تاريخ جزيرة جربة ، دار الجويني ، تونس ، ١٩٨٦ م ، ص ٦٢ - محمد ناصر ، مناهج الدعوة ، ص ١٥٢ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٧٥ - بحاز ، الدولة الرسمية ، ص ٦٩ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٢) معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، ق ١ ، ص ٦١ .

(٣) بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٤) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٧٢ الهامش .

(٥) بحاز ، مصدر سابق ، ص ٦٩ - قمت بمحاولة د/ بحاز هاتفا وناقشته حول العديد من القضايا ومن ضمنها هذه القضية فوجدته يذهب إلى أن أبا حاتم مولى لبني كندة كما وضع في كتابه الدولة الرسمية ، وأشار إلى أنه يميل إلى كون الولاء ولاء التمسب وليس ولاء العبودية (مدارسة علمية عبر الهاتف مع د/ بحاز إبراهيم بكير ، الأحد ١ من محرم ١٤٢٥ هـ / ٢٢ من فبراير ٢٠٠٤ م) .

(٦) صر بن جميع أبو حفص ، مقدمة التوحيد وشرحها ، شرح : أحمد بن سعيد الشماخي وداود بن إبراهيم التلاتي ، تعليق : إبراهيم اطفيش أبو إسحاق ، طبعة منسقة ، سلطنة عمان ، ص ٧٢ الهامش .

(٧) الشماخي ، السير ، ١٢١/١ .

(٨) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ١٢٨ - أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٧٢ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣٦ ، ٧/١ ، ٣٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٧٤ - أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنتقاه (مخ) ، ص ١٧٢ .

بل وجدت أن البرادي والدرجيني يعتبرانه هُوَارِيًا ، ومن المعلوم أن قبيلة هُوَارَة قبيلة بربرية مغربية ^(١) ، ولكن الشيخ محمد دُبُوز اعترض على من نسب الإمام أبا حاتم إلى هُوَارَة وذهب إلى أنه من مَلَزُورَة ، وذكر أن مَلَزُورَة قبيلة بربرية بربرية من فروع مغللة ، وذكر أن مواطن هذه القبيلة في المغرب الأوسط ، وأن أبا حاتم أو أجداده انتقلوا إلى طَرَابُلُس فلول في هُوَارَة لفسار ينسب إليها ^(٢) .

فتلاحظ أن الشيخ دُبُوز يرجح كون أبي حاتم بربري الأصل ، ولم يشر نحاتا إلى كونه مولى لكِنْدَة ، ولكن قد ينتقد الشيخ دُبُوز كونه يتبع منهج المتقدمين في عدم الإحالة إلى المصادر التي يستقون منها معلوماقم ، فجدده لا يذكر المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كثير من القضايا التي طرقتها في كتابه الموسوعي الضخم (تاريخ المغرب الكبير) ، إذ إنه بذلك افتقر إلى المنهج العلمي الأكاديمي ، وحرى بمثل الشيخ دُبُوز وهو من المعاصرين أن يستفيد مما توصل إليه من مناهج للبحث العلمي ، مع أننا لا نتقص من قدر الشيخ محمد دُبُوز وكتابه وأسبقته ، إلا أن الأمانة العلمية تقتضي ذلك ، فهو بذلك حرم من يأتي بعده من الباحثين من إمكانية العودة للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها ، إن كانت هناك مصادر ومراجع اعتمد عليها .

والظاهر صحة ما ذهب إليه الشيخ دُبُوز من كون أبي حاتم بربريا ، إذ إن ابن خلدون ذكر أن قبيلة المَلَزُورِي قبيلة بربرية بربرية تقطن المغرب الأوسط ، وأما بطن من بطون بني فاتن بن تمصيت بن ضريس بن زحك بن مادغيس الأبتري ^(٣) ؛ بل إن ابن خلدون صرح بكون الإمام أبي حاتم بربريا ملزوزيا حيث قال : * وأبو حاتم يعقوب بن حبيب بن مدين بن بطولت من ملزوزة * ^(٤) .

إلا أنه يظهر لي عدم صحة ما ذهب إليه الشيخ دُبُوز من كون قبيلة المَلَزُورِي فرع من فروع مغللة ؛ إذ أن ملزوزة ومغللة وغيرهما هي بطون من بني فاتن قال ابن خلدون : * ... بني فاتن من ضريسة إحدى بطون البرابرة البر ... وهم بطون مطفرة ولماية وصدينة وكومية ومدبونة ومغللة

^(١) بحار وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ٢٩٤/١ .

^(٢) محمد علي ديبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م ، ص ٥٨ .

^(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٨٤/٣ .

^(٤) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ١٨٤/٣ .

ومطامة ومزوزة ومكاسة ودولة وكلهم من ولد لاثن بن تمصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأثير^(١).

وكذلك الذي يظهر أنه ليس هُوَ أَيْبًا ، حيث إن هُوَ أَيْبٌ ليست من بطون البربر البر ، بل هي من بطون البربر البرانس من ولد هوار بن أوريع بن برنس كما ذهب ابن خلدون^(٢).

وأما قبيلة الشجبي فهي قبيلة عربية قحطانية من كِنْدَة ، و(نَجِيب) هو اسم أمهم التي ينسبون إليها ، وقيل أبوهم ، ومحلها بمصر ، قال النسابة القلقشندي : * بنو نَجِيب - بضم التاء وكسر الجيم وسكون الياء المثناة تحت ثم ياء موحدة - بطن من كندة وهم بنو أشرس بن شيب بن السكون بن كندة ، وكندة ... كان له من الولد أشرس وعدي ، ونجيب هي أمهما عرف بنوها بها وهي نجيب بنت بولان بن سليم بن رها بن مدحج ، كذا قال أبو عبيد : وجعل في العبر نجيب هم عبارة عن بني عدي وبني سعد ابني أشرس بن شيب بن السكون ، قال القضاعي : فهو كان من ولد عدي وبني سعد قيل له نجيب ، وقال الجوهري : هم بنو نجيب بن كندة فجعل نجيب أباهم لا أما وقد ذكر القضاعي لهم خطة بمصر^(٣).

والظاهر أن من ذهب إلى اعتبار الإمام أبي حاتم مولى كِنْدَة اعتمد في ذلك على بعض المصادر غير الإباضية كابن الأثير وابن خلدون والزركلي ، فابن الأثير يذكر أن اسم أبي حاتم هو يعقوب بن حبيب مولى كِنْدَة^(٤) ، ونجد ابن خلدون يوافق على ذلك فيذكر أن اسمه أبو حاتم يعقوب بن حبيب الأباضي مولى كِنْدَة^(٥) ، والزركلي يقتبس عن ابن خلدون فيؤكد ما ذهب إليه^(٦).

(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٨٤/٣ .

(٢) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ١٨١/٣ ، ١٨٦ .

(٣) انظر : أحمد بن علي القلقشندي ، نهضة الأرب في معرفة أنساب العرب ، موقع نداه الإيمان (www.al-eman.com) ، ص ٩ ، ١٤ - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، لب اللباب في تحرير الأنساب ، موقع نداه الإيمان (www.al-eman.com) ، ص ٣ .

وانظر : عبد الكريم بن محمد السمعتي ، الأنساب ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٤٤٨ .

(٤) ابن الأثير ، الكتل في التاريخ ، ١٦٨/٥ .

(٥) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٣٠/٤ .

(٦) الزركلي ، الأعلام ، ١٩٧/٨ .

ولم يذكر ابن الأثير وابن خلدون والزركلي مستخدم فيما ذهبوا إليه من كونه مولى لكِنْدَة ١٢
 فلعلهم اعتمدوا على ما ذكره بعض النسابة من كون قبيلة هُوَازَة من عرب اليمن من ولد المسور
 بن السكاسك بن أشرس بن كندة ، إلا أن ابن خلدون نفسه يرد ذلك ، ويذكر أن هُوَازَة من
 بطون البرانس من البربر ^(١) ، وابن خلدون كذلك عدّ أبا حاتم بربريا من مَنزُورَة كما مر علينا ،
 فلماذا يذكر في موضع آخر من كتابه أنه مولى كندة ١٢ ؟

ولكن لعلهم حاولوا الجمع بين نسبه إلى قبيلة المَنزُورِي البربرية ونسبه إلى قبيلة الشَّجِيي
 الكِنْدِيَة العربية ، فاعتبروه بربريا تعرض للسي هو أو أحد آباهه من قبل قبيلة الشَّجِيي الكِنْدِيَة
 فأصبح مولى كِنْدَة ، وهذا ما أميل إليه للجمع بين الأقوال المتضاربة ، وهو احتمال وارد .

إذاً مما سبق فإن أبا حاتم بربري الأصل ينتمي إلى قبيلة مَنزُورَة البربرية ، ثم تعرض هو أو أحد
 آباهه للسي من قبل قبيلة الشَّجِيي الكِنْدِيَة لنسب إليها بالولاء ، ثم اعتق وعاد إلى المغرب موطن
 آباهه ، إذ إنه لو ظل مسترقاً لما بايعه الإباضية بالإمامة ، حيث إن من شروط الإمام في المذهب
 الإباضي الحربة قال سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله متحدثاً عن هذا
 المنصب : " ... وهو منصب لا يختار له إلا من كان ذا أهلية تامة ، وذلك بأن يكون رجلاً مسلماً
 ورعاً سليم الحواس والعقل ليست به عاهة وأن يكون حسراً بالغسا ، متمسكاً بمؤهلات
 القيادة ... الخ " ^(٢) ، فلا يمكن أن يقوم الإباضية بمبايعة أبي حاتم وهو لا يزال رقيقاً لم يعتق .

(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٨٦/٣ .

(٢) أحمد بن حمد الخليلي ، شرح منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدين السالمي ، مكتبة الجبل الواحد ،
 مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ١٦٧ .

٤ - طلبه للعلم ودوره في دولة الإمام أبي الخطاب :

تذكر المصادر أنه أخذ العلم عن حملة العلم إلى المغرب وغيرهم^(١) ، فلعله تعلم على يد سلمة بن سعد وابن مفيطر ، وبعد أبو حاتم في درجة الإمام أبي الخطاب مكانة وعلمًا^(٢) .
والحقيقة أن المصادر لا تذكر شيئاً عن دور أبي حاتم في عهد الإمام أبي الخطاب ، ولكن يظهر أنه كان من ضمن جيش أبي الخطاب ومن رفاقه دربه الكفاحي ضد ظلم بني العباس وجورهم ، وذلك أن أبا زكرياء وصفه أنه من بقية أصحاب أبي الخطاب^(٣) ، بل ويظهر أنه كان له شأن كبير في عهد الإمام أبي الخطاب وإلا لما بايحه الإباضية خلفاً لأبي الخطاب ؛ فلعله شارك في المعارك التي خاضها الإمام أبو الخطاب ، وربما كلفه الإمام أبو الخطاب بولاية شيء من المناطق كما كلف عبد الرحمن بن رستم بولاية القيروان غير أن المصادر لم تذكر ذلك .

٥ - مباحثته بالإمامة :

اختلفت المصادر في سنة بعثته ، فقبل سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م^(٤) ، وقبل سنة ١٥٤هـ / ٧٧٠م^(٥) ، وذكر كل من ابن الأثير والزركلبي أن أبا حاتم بويع في سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م^(٦) ، وقد رجح الشيخ سليمان داود ما ذكره ابن الأثير^(٧) .
وظل يعمل في السر ليجمع حوله أكبر قدر من الأنصار ولينظم صفوف الإباضية من جديد ، ثم أعلن الثورة في سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م ، واستشهد في سنة ١٥٥هـ / ٧٧١م كما سيأتي ؛

(١) بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٢) ابن الأثير ، مصدر سابق ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٣) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٢ .

(٤) ابن الصخير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تج : محمد صالح ناصر وبحاز إبراهيم بكير ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٢- أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٢- محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٢- عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٥٨- فرحات الجبيري ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، المطابع العلمية ، روي ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ص ٢٢- بحاز ، الدولة الرستمية ، ص ٦٩- بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٥) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١٢٨- الدرر الجني ، طبقات المشايخ ، ٣٦/١ - الشلخي ، السير ، ١٢١/١ - الباروني ، رسالة من العامة ، ص ١٦- أبو الربيع البهاروني ، مختصر تاريخ الإباضية ، ص ٣٤- ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٥٨/٣ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ١٦٦/٥ ، ١٦٨- الزركلبي ، الأعلام ، ١٩٧/٨ .

(٧) سليمان داود بن يوسف ، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي ، مطبعة أبو داود ، ص ٥٨ .

وهذا ما رجحه عدد من الباحثين المعاصرين ، كالدكتور محمد ناصر والدكتور الجعبري والدكتور عوض خليفات والدكتور إبراهيم بنماز وأصحاب المعجم ؛ ولعل السبب في ذهاب بعض المصادر إلى كونه بويح في ١٥٤هـ هو بروزه على الساحة ومنازلته للعباسيين في هذه الفترة .

وقد ذهبت أغلب المصادر إلى عدُّ بيعته بيعة دفاع^(١) ، وقد اعترض الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش على ذلك ، وذهب إلى كونها بيعة ظهور ، واعتبر كلام من ذهب إلى كونها بيعة دفاع كلام فقهاء ليس لهم في التاريخ على حد تعبيره ، واحتج بكون الإمام أبي حاتم جهز الجيوش ووطد الإمامة وقاتل أهل البغي في كل صوب طالبا لا مطلوبا حتى بلغت جنوده ثلاثمائة وخمسين ألفا مشاة ، وخمسة وثمانين ألفا من الخيالة ، وكانت وقاته نحوًا من ثلاثمائة وخمسة وسبعين ، وأن له فضلا عظيما في تمكين الإسلام الحق في البربر ، وقال : إن إمام الدفاع ليس له من الأمر بعد أن تضع الحرب أوزارها^(٢) .

ولكن إذا عدنا إلى تعريف مصطلح إمامة الدفاع في المصادر الإباضية ، فنجدهم يعرفونه بأنه : " من الفروض الواجبة إذا عدم الظهور وهو اجتماع الناس على إمام يقدمونه عند مقاتلتهم العدو الذي دهمهم ، فإذا زال القتال زالت إمامته وتجب عليه جميع الأحكام التي تقع حال كونه إماما ، وتجب عليهم طاعته " ^(٣) ، وعرفها قطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش بقوله : " والدفاع للعدو إذا جاءهم أو جاء أموالهم لمن يريدون دفع الظلم عنه بإمام يُنصَّب له ، وإذا زال العدو زالت الإمامة فتجدد له أو لغيره لحادث ؛ وقيل : يجوز نصِّبه على استمرار وإبقاؤه إذا نُصِّب بلا قيد استمرار وبلا نفي استمرار ، فلا يزول بزوال الحرب بل يبقى لما يحدث منها " ^(٤) ، وعرفها سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الحليبي حفظه الله بقوله : " ... الدِّفاع : وهو أن يجتمع

(١) ابن الصخر ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٢٢- أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٢- الدرجوني ، طبقات المشايخ ، ٢٣١/١- ابن جميع ، مقدمة التوحيد ، ص ٧٠- محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٢- عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٥٨- الجعبري ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، ص ٢٢- بحاز ، النولة الرستمية ، ص ٦٩- بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٢) ابن جميع ، مصدر سابق ، ص ٧٢ هاشم رقم ١٠ .

(٣) ابن جميع ، مصدر سابق ، ص ٧٠ .

(٤) محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، تج : مصطفى بن الناصر وينتن ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، ط ١ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص ١٩٥ .

المسلمون عندما يفاجئهم عدوهم بالانقضاض عليهم على مبايعة أحد منهم ليقودهم دفاعا عن دينهم وعن حرمانهم ، إلى أن تتجلى الغمة وينكشف العدو ، وتنتهي بذلك بيعته ^(١) .

إذاً لو تأملنا وضع الإباضية عندما بايعوا الإمام أبا حاتم مجده تنطبق عليه التعاريف السابقة ، فالإباضية كانوا في عهد الإمام أبي الخطاب في فترة ظهور ، ثم انقض عليهم عدوهم ابن الأشعث وقتل إمامهم وشردهم وتعقبهم ، مما اضطرهم إلى الدفاع عن أنفسهم وحرمتهم فبايعوا إماما عليهم ليقودهم في مرحلة الدفاع ضد من هاجمهم ، فبيعتهم ببيعة دفاع ؛ ثم من شروط الظهور أن تكون للإباضية دولة آمنة يطبقون فيها شرع الله تعالى ، وهذه الدولة لم تكن موجودة في عهد الإمام أبي حاتم ، فتعريف الظهور عند الإباضية هو الظهور كالنبي ﷺ في المدينة وفي مكة بعد إسلام عمر ، وكأبي بكر وعمر يصلبان الجمعة ويجلدان ويرجمان ويقطعان ويفزوان ويقمان الثغور ويجمعان الزكوات والغنائم ^(٢) .

ولكن في المقابل نجد أن الإمام أبا حاتم تمكن من السيطرة على طرابلس والقبروان وعين بعض الولاة ، فقد ورد أنه عين عبد العزيز الملقب (ت : ١٥٤هـ / ٧٧٦م) واليسا على القبروان ^(٣) ، بل وكان يجمع الزكاة ويرسلها إلى عبد الرحمن بن رستم ^(٤) ، وهذه الأعمال لا يقوم بها إلا إمام الظهور .

إذا فلعل الإباضية بايعوا أبا حاتم ببيعة دفاع في البداية لرد الأعداء وتوحيد الصفوف ، وعندما تمكن من السيطرة على طرابلس والقبروان ، ونعم الإباضية بقليل من الأمن انتهت مرحلة الدفاع ، وانتقل الإباضية إلى مرحلة الظهور ، وأقروا إمامهم أبا حاتم على إمامته ولم ينقضوها ، فانتقل من إمام دفاع إلى إمام ظهور ، وهذا احتمال كبير .

^(١) للخليلي ، شرح منظومة غاية المراد ، ص ١٠٥ .

^(٢) ابن جميع ، مقامة التوحيد ، ص ٦٩ - اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ١٩٥ - الخليلي ، مصدر سابق ، ص ١٠٣ .

^(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣١/٤ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٧/١ - ابن الأثير ، الكامل ، ١٧٠/٥ - عوض خايفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٤ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٥٤/٢ ، رقم الترجمة : ٥٥٣ .

^(٤) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٣ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٦/١ - عوض خايفات ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ .

٦ - إعلان الثورة ضد الظلم :

بعد أن بويع أبو حاتم بالإمامة في سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م ، ظل يعمل بسرية وآثر عدم التسرع في إعلان ثورته ضد الولاة الظلمة من بني العباس ، حتى يستطيع أن يجمع أكبر قدر ممكن من القوات والأناصر حوله ، فظل في حالة تاهب وترقب لفرصة مواتية للثورة ضد الولاة من بني العباس ، واستطاع في هذه الفترة أن يكون جيشا عظيما لم يجمع لأحد من الإباضية مثله بالفريقة ، قدره بعض المؤرخين بثلاثمائة وخمسين ألفا ، الحبل منها خمسة وثلاثون ألفا ، وقيل خمسة وثمانون ألفا^(١) .

وأما ابن الأثعث الذي قضى على دولة الإمام أبي الخطاب فقد عاد إلى المشرق بسبب ثورة جنده عليه^(٢) ، وعين أبو جعفر المنصور (ت : ١٥٨هـ / ٧٧٤م) عددا من الولاة على الفريقة ، إلى أن جاءت سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م - وكان الوالي للعباسيين على إفريقية في ذلك الوقت عمر بن حفص (ت : ١٥٣هـ / ٧٧٠م) الملقب بـ (هزار مرد) وهي كلمة فارسية تعني رجل عن ألف رجل^(٣) - وجد الإباضية بقيادة إمامهم أبي حاتم الفرصة مواتية لإعلان الثورة عندما خرج عمر بن حفص من القيروان إلى مدينة طَبَّةَ لبناء سور حولها ، واستخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب المُهَلَّبِي (ت : ١٥١هـ / ٧٦٨م) ، ولثارت عليه جموع البربر من إباضية وصفرية وغيرها ، فخرج إليهم واستطاعوا هزيمته وقتله^(٤) .

فاجتمع الإباضية في طَرَابُلس مع إمامهم أبي حاتم متظاهرين لهم إنما اجتمعوا في أمر امرأة أساء إليها زوجها ، فبعث إليهم الجُنَيْد بن بشار الأسدي (حي : ١٥٣هـ / ٧٧٠م) - الوالي العباسي على طَرَابُلس - خصمائه فارس فقال لهم قائد الفرسان : أجبوا الطاعة لأمر المؤمنين ، فقالوا : أجبنا الطاعة لأمر المؤمنين ، وهم لا يقصدون أبا جعفر المنصور وإنما يقصدون الإمام أبا

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٧/١ - ابن جميع ، مقامة للتوحيد ، ص ٧٢ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٢) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٢٩/٤ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٢٨/٤ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٧٣/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٥٦ .

(٣) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٣٠/٤ - ابن الأثير ، مصدر سابق ، ١٦٨/٥ - ابن عذاري ، مصدر سابق ، ٧٧/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٥٩ - بحاز ، الدولة الرستمية ، ص ٦٩ - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٤) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٣٠/٤ - ابن الأثير ، مصدر سابق ، ١٦٨/٥ - ابن عذاري ، مصدر سابق ، ٧٥/١ .

حاتم ، وقيل يقصدون عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث إنهم فضلوا النقية حتى لا يظهرها أمرهم سرعبا ؛ فعاد الفرسان إلى الجُنْدِ بن بشار فأخبروه بأمرهم فلم يقطع ، فأخرج هذه المرة حملة كبيرة تحت قيادته ، فأمرهم أن يجيئوا الطاعة لأمر المؤمنين أبي جعفر المنصور ، فقالوا : عليك لعنة الله وعلى أبي جعفر ، فوقع بين الطرفين قتال شديد كان النصر فيه حليف الإمام أبي حاتم ، وهرب الوالي العباسي وفلول جيشه إلى طَرَابَلُسْ ولاحقهم أبو حاتم ، فهربوا من طَرَابَلُسْ إلى قَابَسْ فحاصرهم أبو حاتم فيها ، وكانت هذه الأحداث في سنة ١٥٣هـ / ٧٧٠م^(١) .

وتذكر المصادر أن بعض العوام الذين ليس له حظ من العلم والفقه في الدين من جيش الإمام أبي حاتم قام بسلب قتلى العباسيين وجرحاهم ، وعندما علم الإمام أبو حاتم بذلك غضب غضبا شديدا وقال : " إن لم تردوا أسلاب هؤلاء القتلى فقد خرجتُ وبرئتُ من ولايتكم " ، فزودوا أسلامهم وأعلتوا التوبة^(٢) .

٧ - دخول القيروان :

أقام الإمام أبو حاتم في طَرَابَلُسْ يحكم بالعدل ويطبق الشرع ، ثم نادى بالخروج إلى إفريقيا لحصار عمر بن حفص في طَبَّة^(٣) ؛ وقد ذكرنا أن عمر بن حفص خرج إلى طَبَّة لتحصينها ، وطَبَّة هذه تقع في إقليم الزَّاب في جنوب غرب القيروان بولاية الأوراس تقريبا^(٤) ، وكذلك تقع على الطريق الرئيسي المؤدي إلى بَلْسَانَ معقل الصفرية بزعمامة أبي قررة البَقْرَبِي (حمي : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) ، فاعتبر الإباضية والصفرية هذا العمل عدوانيا وقدبدا لكيانهم ، فاتفقا

(١) ابن سلام ، بده الإسلام ، ص١٢٨-١٢٩ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص٧٣-٧٤ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ،

٢٧١-٢٧٢ - الشماخي ، الصور ، ص١٢١/١ - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ص٢٣/٤ - ابن الأثير ، الكمل في التاريخ ، ١٦٨/٥ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ص٧٥/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص١٥٩ .

(٢) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص١٢٩ - أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص٧٤-٧٥ - للدرجيني ، مصدر سابق ، ص٢٧/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ص١٢١/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص١٥٩ .

(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص٧٥ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ص٢٨/١ .

(٤) هي مدينة بركة اليوم في ولاية باتنة بشرق الجزائر جنوب القطاع القسنطيني (لقاء مع د/ إبراهيم بكر بحاز ، الرستاق ، مطبعة عمان ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م) .

على محاصرة طَبْنة والقضاء على العباسيين ، فراسل عبد الرحمن بن رستم الإمام أبا حاتم في طَرابُلس والإباضية في تونس للخروج لمحاصرة طَبْنة^(١) .

وتجمع لدى الإمام أبي حاتم جيش عظيم مكون من الإباضية والصفوية ، فذكر المصادر أن التي عشر عسكريا أحاط بطنبة ، أربعين ألفا بقيادة أبي قررة الصفري ، وخمسة عشر ألفا بقيادة عبد الرحمن بن رستم ، وستة آلاف بقيادة عاصم السُّدْرَانِي الإباضي (ت : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) ، وعشرة آلاف بقيادة المسور الزناتِي الإباضي (حي : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) ، وغيرهم كثير ، وأما الإمام أبو حاتم فبقود من المحافل ما لا يعرف عدده ، وقد مر علينا أنه اجتمع لديه من الجيوش ما لم يجتمع لأحد غيره فقدر بثلاثمائة وحسين ألفا .

فلما رأى عمر بن حفص هذه الأعداد الهائلة التي حاصره عزم على الخروج لمقاتلتهم فمنعه أصحابه وقالوا له : إن أصبت تلف العرب ؛ عند ذلك لجأ إلى الحيلة لتفريق هذه الجيوش العظيمة ، فراسل إلى أبي قررة قائد الصفوية ستين ألفا من الدراهم ليرجع عنه ، إلا أن ذلك لم يجد وقفا في نفس أبي قررة وقال : " بعد أن سُلِّم إلي بالخلافة - يعني عند الصفوية - أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا ؟ " فلم يجيبهم إلى طلبهم ؛ عند ذلك أرسل ابن حفص بأربعة آلاف درهم وبعض الثياب إلى أخي أبي قررة على أن يعمل في صف الصفوية عن أخيه ، فاستجاب لطلبهم ووقعت الخيانة ، فارتحل من ليلته ليعيه جيش الصفوية ، مما جعل أبا قررة يضطر للانسحاب مرغما ويتبعهم^(٢) .

كان لهذه الخيانة من قبل الصفوية تأثير معنوي ونفسي كبير على الإباضية مما دفعهم إلى رفع الحصار ، فانسحب عبد الرحمن بن رستم إلى منطقة قودا ، ورجع الإمام أبو حاتم وإباضية طَرابُلس وتونس إلى القيروان محاولين دخولها قبل عودة ابن حفص^(٣) ؛ عند ذلك أرسل ابن حفص جيشا

(١) عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٠ .

(٢) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣٠/٤ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٦٩/٥ - ابن عذاري ، البيان المغرب ،

٧٦-٧٥/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٦٠ .

(٣) عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٦١ .

لمقاتلة عبد الرحمن في قودا ، وبالفعل هاجمه وقتل من الإباضية ثلاثة آلاف فافترم عبد الرحمن إلى تَهْرُوت^(١) .

وعندما علم ابن حفص بتوجه الإمام أبي حاتم إلى القَيْرَوَان قرر الرجوع إليها ، واستخلف على طَبْنة ومنطقة الزُّباب المهنا بن المخارق الطَّائِي (حي : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) ، فلما علم أبو قرة بمسير ابن حفص إلى القَيْرَوَان قرر مهاجمة طَبْنة ، ولعل تلك محاولة منه لرد اعتباره أمام الإباضية وبقية البربر الذين خانهم الصفرية ، ولكن محاولته لم تجد نفعا حيث إن المهنا الطَّائِي تصدى له وقتلته وهزمه ، فانسحب أبو قرة إلى تَلْعَسَانَ^(٢) .

وصل الإمام أبو حاتم إلى القَيْرَوَان قبل ابن حفص وحاصرها لمدة ثمانية أشهر ، فضاقت جند العباسيين جهدا من الحصار ونفذ عليهم الطعام فوصل بهم الأمر إلى أكل دوابهم وكلابهم ، ولحق كثير من أهل القَيْرَوَان بالإمام أبي حاتم ، عند ذلك جاء الخبر بوصول ابن حفص بالقرب من القَيْرَوَان لفرل مكان يسمى الغريش ، وكان في سبعمائة فارس ، فزحف إليه الإمام أبو حاتم وترك القَيْرَوَان ، فسار ابن حفص إلى تونس ، فبعه الإمام أبو حاتم ، فعاد ابن حفص مجددا إلى القَيْرَوَان ودخلها بعد أن تزود بما يحتاجه من طعام ودواب ، فحاصره الإمام أبو حاتم ، فطال الحصار حتى نفذ الطعام على ابن حفص ومن معه وأكلوا دوابهم ، وفي كل يوم تكون بينهم مناوشات ، فلما يش ابن حفص من النجاة قرر أن يلقي نفسه إلى الموت ، فوصل الخبر بأن المنصور أرسل يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب (ت : ١٧٠هـ / ٧٨٦م) في ستين ألف مقاتل لنجدة ابن حفص ، وأشار أصحاب ابن حفص عليه بعدم الخروج لمقاتلة الإمام أبي حاتم حتى يصل يزيد ، فلم يستمع لهم وخرج وقتل حتى قتل في سنة ١٥٤هـ / ٧٧٠م^(٣) .

تولى أمر بقايا العباسيين في القَيْرَوَان بعد مقتل ابن حفص حميد بن صخر (حي : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) وهو أخو ابن حفص لأمه ، فصالح الإمام أبا حاتم على أن يجيئا ومن معه لا يخلعون

(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير ، الكمل في التاريخ ، ١٦٩/٥ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٦/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦١ .

(٢) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير ، مصدر سابق ، ١٦٩/٥ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٦١ .

(٣) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير ، مصدر سابق ، ١٦٩/٥ - ابن عذاري ، مصدر سابق ، ٧٦/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

للمصور ولا يتازعهم أبو حاتم في سوادهم وسلاحهم ، فذكرت بعض المصادر أن الإمام أبا حاتم وافق على ذلك ^(١) ، إلا أن بعض المصادر تشير إلى رفضه لتلك الشروط وأنه قاتلهم حتى دخل القَيْرَوان ^(٢) .

٨ - استشهاد عاصم السُذْرَاني :

تذكر المصادر الإباضية أن عاصم السُذْرَاني - أحد حملة العلم الخمسة إلى المغرب - استشهد في حصار القَيْرَوان ، حيث إنه أصيب بمرض فوصف له القَاء ، وعندما علم العباسيون المحصورون داخل القَيْرَوان بذلك ، أرسلوا شخصا يتظاهر ببيع القَاء وسَمُوا واحدة منها وأمره أن يبيعهم المسمومة ، وبالفعل اشترى أصحاب عاصم القَاء المسمومة وعندما أكل منها عاصم استشهد رحمه الله ، فناداهم المحصورون : أين عاصم السُذْرَاني اليس قد قتلناه ؟ فعلم الإمام أبو حاتم أنهم هم من قتل ، فقرر أن يكيد بهم كما كادوا بعاصم ، فأمر أصحابه بالتظاهر بالانسحاب والهزيمة ، فأصبح معسكر أبي حاتم خاليا ، فظن العباسيون أنهم الهزموا ، فبعوهم إلى أن وصلوا إلى مكان يسمى (الرقادة) ، ففاجأوا بجيش الإمام أبي حاتم قد كمن هناك وثار في وجههم ، وقتلهم ولاحقوا لولهم المنهزمة إلى القَيْرَوان ^(٣) .

ولعل هذا حدث في إحدى المعارك حيث إن المعارك تحدث بشكل يومي بين الطرفين في فترة الحصار ، والحقيقة أن بعض المصادر ذهبت إلى كون عاصم السُذْرَاني استشهد في عهد الإمام أبي الخطاب ، وتذكر نفس القصة إلا أن الحاصر قبيلة وَرْفُجُومَةَ بالقَيْرَوان ^(٤) ، ولكن الظاهر أن الأصح أنه استشهد في عهد الإمام أبي حاتم ، حيث إن المصادر غير الإباضية تشير إلى وجود دور له في قتال أبي حاتم للعباسين ، وأنه خرج بسة آلاف مقاتل وانضم تحت لواء الإمام أبي حاتم كما مر علينا ، كذلك فإن أقدم مصدر إباضي وهو (بدء الإسلام) لابن سلام يشير إلى استشهاده في

^(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ١٧٠/٥ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

^(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٦/١ - ٧٧ - دبور ، تاريخ المغرب ، ٦٩/٣ .

^(٣) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١٢٩ - الشمالي ، السير ، ١٢١/١ - ١٢٢ ، ١٢٦ .

^(٤) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٦٢ - ٦٣ - الدرر جوني ، طبقات المشائخ ، ٢٨/١ - ٢٩ - بحاز وأخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ٢٣٩/٢ ، رقم الترجمة : ٥٢٨ .

عهد الإمام أبي حاتم ، وأورد هذه القصة عند حصار الإمام أبي حاتم للقيروان ، وابن سلام قريب من عهد الإمام أبي حاتم حيث إنه كان حيا في سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م^(١) .
 بل إن جده وعمه ممن شارك مع الإمام أبي الخطاب في حروبه^(٢) ، وكذلك فإنه يروي الأحداث مشافهة عن حضر ذلك الحصار وقد أشار إلى ذلك بنفسه^(٣) ، وهذا ما دفع الشماخي إلى ترجيح ما ذكره ابن سلام على ما ذكره أبو زكرياء والدرجيني حول فترة استشهاد عاصم السدزاني^(٤) .

٩ - العباسيون يرسلون يزيد بن حاتم :

عندما اقترب يزيد بن حاتم من الربيعة ، خرج إليه عدد من جند العباسيين الموجودين بالربيعة وانضموا إليه ، والظاهر أن هذا السبب الذي دفع الإمام أبا حاتم إلى أن يأمر أصحابه بأن يجردوا الجند العباسي الموجود بالقيروان من سلاحهم خلافا للصلح المبرم بينهم سابقا ، وفي هذا ردٌ على من اتهم الإمام أبا حاتم بأنه خان العهد والمواثيق كما ذهب ابن الأثير وعضو خليفات^(٥) ، وردٌ آخر أن الإمام أبا حاتم لم يوافق على ذلك الصلح نهائيا بل قاتل حتى فتح القيروان كما ذكر ابن عذارى وقد مر الحديث عن ذلك .

وتذكر المصادر الإباضية أن قبيلة بربرية من هُوارة يقال لها مَلِيَّة انضمت إلى جيش يزيد ضد الإمام أبي حاتم ، فسأل الإمام أبو حاتم عن أعان عليه من البربر ، فقالوا له مَلِيَّة ، فقال : " اللهم ذلِّ مَلِيَّة " ، فاستجاب الله تعالى دعاءه ، فلم يزالوا في مذلة من الجند والظلمة لا ينقطع عنهم دون البربر أبدا^(٦) .

على العموم رأى الإمام أبو حاتم أن مواجهة جيش يزيد الكبير القادم من المشرق بالقيروان ستكون خطيرة وفي غير صالحه ، خاصة وأنه توجد بعض الفلول العباسية بمدينة طَبْنة ، فقرر

(١) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ٤٠- بحز وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢/٣٥٠ ، رقم الترجمة : ٧٦٠ .

(٢) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ٣٧ ، ١١٨ .

(٣) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ١٣٠ .

(٤) الشماخي ، السير ، ١/١٢٢ ، ١٢٦ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٥/١٧٠ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٤ .

(٦) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ١٣١- أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٩ .

الاعتصام بجبل نُفُوسَة في أوساط الإباضية حيث تفتن قبائل نُفُوسَة وهُوَارة الإباضية ، ليضمن الإمام أبو حاتم سندا قويا له من الخلف ، هكذا خطط الإمام أبو حاتم ، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت غير ذلك كما سئرى .

تمكن الإمام أبو حاتم من هزيمة مقدمة جيش يزيد التي كانت تحت قيادة سالم بن سودة الشمعي (حسي : ١٥٥هـ / ٧٧١ م) ، ولعل هذه هي موقعة (مُعَمَدَاس) التي تذكرها المصادر الإباضية ، وهذا ما مال إليه محمد ذُبُوز^(١) ، فأبو زكرياء يقول عن هذه الموقعة : " وبلغنا أن أبا حاتم سمع بطوالع أقبلت من المشرق فخرج من مدينة طَرَابُلُس ، لتلقاهم بموضع يقال له (مُعَمَدَاس) ، وهو على مسيرة ثمانية أيام من مدينة طَرَابُلُس ، فلما وصلهم أبو حاتم لاقوه ، فالتصوا قتالا شديدا ، فهزم الله له العدو ، ومنحهم أكتافهم ، فقتل منهم ستة عشر ألفا " ^(٢) .

ويرى أن رجلا من غير الإباضية سأل رجلا من الإباضية : ما تفسير تَأَوَّرَغًا ؟ ، وكان يقصد من هذا السؤال الاستهزاء بالإباضية ومقتل إمامهم أبي الخطاب في معركة (تَأَوَّرَغًا) ، ولكن الإباضي كان فطنا فأجابته بقوله : تفسيرها : مُعَمَدَاس فيه أربعة أكداس في كل كلس أربعة آلاف ^(٣) .

والحقيقة أن الشُّمَّاعِي اعترض على ما ذكره أبو زكرياء من أن موقعة (مُعَمَدَاس) وقعت في عهد الإمام أبي حاتم ، وذهب إلى أنها وقعت في عهد الإمام أبي الخطاب أو أن تكون وقعت موقعة أخرى في (مُعَمَدَاس) في عهد أبي حاتم ، وأشار إلى أن ابن سلام والرقيق أشارا إلى كون موقعة (مُعَمَدَاس) وقعت في عهد الإمام أبي الخطاب ^(٤) ، وبالفعل فإن ابن سلام أشار إلى ذلك ^(٥) ، ولكن لعل أكثر من موقعة وقعت في (مُعَمَدَاس) إحداهما في عهد الإمام أبي الخطاب والأخرى في عهد الإمام أبي حاتم ، والله أعلم .

(١) ديبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٧٤/٣ .

(٢) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٧- الدرراني ، طبقات المشايخ ، ٣٨/١ - ٣٩ .

(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٧٨- الدرراني ، مصدر سابق ، ٣٩/١- الشُّمَّاعِي ، السير ، ١٢٣/١ .

(٤) الشُّمَّاعِي ، مصدر سابق ، ١٢٣/١ .

(٥) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١١٨ .

١٠ - موقعة جنى واستشهاد الإمام أبي حاتم :

بعد أن أفرجت طلحة جيش يزيد على يد الإمام أبي حاتم ، قام بمهاجمة الإمام أبي حاتم في جبل نفوسة ، وجرت بين الطرفين معركة قاسية في ربيع الأول من سنة ١٥٥هـ / ٧٧١م في مكان يسمى (جنى)^(١) ، وليس في (مَقَدَّاس) كما ذكر أصحاب المعجم^(٢) .

فقتل في تلك المعركة الرهبة خلق كثير من كلا الطرفين ، ولكن كانت النتيجة في نهاية المطاف لصالح يزيد ، واستشهد الإمام أبو حاتم مع جل أصحابه ، وتذكر المصادر أن عدد القتلى من أصحاب الإمام أبي حاتم ثلاثين ألفا^(٣) .

ويروى أن الإمام أبا حاتم رحمه الله عندما رأى مقتل أصحابه وأن المزمعة لا محالة واقعة قال لمن بقي من أصحابه : " زلوني إلى الموت في سبيل الله زلف العروس وقلوا لي قلبلا " ، فقاتل حتى استشهد^(٤) .

وتذكر بعض المصادر الإباضية أن الموضع الذي استشهد فيه الإمام أبو حاتم وأصحابه ثرى فيه الأنوار ، إذ يروى أبو زكرياء أن الموضع الذي كانت فيه معركتهم بضى من كل ليلة جيس ، ويصبر ضياؤه من بعيد ، بل وينقل عن أشخاص عاصروهم أنهم رأوه ، وهو نور ساطع وضياء عظيم^(٥) .

ويعلق الشماخي على ما ذكره أبو زكرياء فيقول : " وقد اشتهر عندنا من غير أن أراه أن النور يول على قبره [يعني قبر الإمام أبي حاتم] وقيل لم يزل يول حتى دفن إلى جنبه أعرابي فكف والله أعلم " ^(٦) .

في الحقيقة لم أكن أريد ذكر أمثال هذه القصص البعيدة عن العقل والواقع ، إلا أن الأمانة العلمية اقتضت مني ذكرها ، وكذلك ذكرتها لنقدتها والتحذير من الانجرار وراءها ؛ وإنه مما

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٩ - الدرر جني ، طبقت المشايخ ، ٣٩/١

(٢) بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٧٠/٥ - ١٧١ - ابن عثاري ، البيان المغرب ، ٧٨/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٤) الدرر جني ، مصدر سابق ، ٤٠/١ .

(٥) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٦) الشماخي ، السير ، ١٢٤/١ .

يؤسف له أن كتب التراث الإسلامي تزخر بالكثير من أمثال هذه القصص ، فحري بنا ألا نلغظ إليها ونضيق الجهد العلمي والعقلي والمادي عليها ، وإن ذكرناها فمن باب نقدها وتحريز العقل المسلم من سيطرة هذه الخرافات ليكون عقلا منتجا واقميا آخذًا بالأسباب ، لا يعيش في الوهم والجرمي وراء القدرات الخارقة الخارجة عن الطبيعة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

والملاحظ أن أغلب المدارس الإسلامية يملو لها أن تحيط أمتها وأعلامها بصفات تضيء عليهم نوعا من الخصوصية والتميز ، وربما للعوام والبسطاء دور - بحسن نية ومحبة لأمتهم وعلمانهم - في نسج أمثال هذه القصص التي تخرج عن نطاق العقل والواقع إلى الأساطير والخرافات ، ثم يقدها المؤرخون في مصنفاتهم من باب التقييد للتاريخ والحوادث بغض النظر عن صحتها من عدمه ، يقول حميس القُدَوِي : " ... عندما نأتي إلى خبر معين ، فنجد غير صحيح أو الواقع والعقل لا يقبلانه ، ليس معناه الطعن في المؤرخ الذي ينقله .. قطعاً ، لا . لا يحاسب المؤرخ على الرواية والروايتين ، وإنما هو ينقل تاريخنا عريضا فيه الصحيح والسقيم ، لعدم صحة الخبر لا يطعن في المؤرخ ، وقد ينقل المؤرخ الأخبار بغض النظر عن صحتها وبطلانها ... فالمؤرخ قد يجمع المادة التاريخية عن حقبة زمنية معينة بدون أن يبدى رأيه فيها بالتحليل أو المقارنة ، ولكن أن يكون هدله جمع المادة فقط وحفظها وليس إلزام تلك الحقبة بها ، فالفهم ذلك لإنه دقيق بخفى على الكثيرين " (٢) .

ومن ضمن القصص حول الإمام أبي حاتم ومن معه من الشهداء ما يذكره الشَّامِي فيقول : " وبذلك الجهة مقبرة يقال إنها للذين ماتوا عنده يوجد بأطرافها تراب أحر يقال إنه دمهم لم يغيره الزمان يترك الناس به ويحملونه للمرضى وهذا في مثلهم ليس بغريب ، وقد شاهدت بنفوسه دماء رجال ثلاثة سقحت على صفا مسيل ماء المطر مضى عليها منون من الأعوام وهي

(١) سورة الروم ، آية : ٣٠ .

(٢) الحموي ، رؤية تاريخية ، ص ٣٧ - ٣٨ .

باقية وكل ما وقع مطر جرى عليه ومسحته بتوي مبلولا بالريق فأثر فيه وضمته فإذا هو الرحة الدم ... * وأشار إلى كونهم صالحين أي الرجال الثلاثة^(١) .

ولو تأملنا ما ذكره أبو زكرياء والشَّامِي نلاحظ أنهما يتفان عن غيرها ولم يقفا على الأنوار بنفسيهما ، وإنما سمعا من بعض الأشخاص ، والظاهر أن من يروي لهما هذه الروايات والقصص من عوام الناس وليس من العلماء الثقات ، وحتى إن كان من العلماء لعل له متأثر في اللاوعي بما راج في تلك العصور المتقدمة من أمثال هذه القصص في التراث الشعبي .

وأما القصة الثانية التي أوردها الشَّامِي ، فمن المعلوم أن الدم لا تتشربه الأرض كما تشرب الماء ، حيث إن كثافة الدم أكبر من كثافة الماء^(٢) ، فيظل على سطحها ولو إلى مئات السنين ، لعل دم الشهداء من أصحاب أبي حاتم ظل على سطح الأرض واختلط مع التراب ، وكذلك بالنسبة لدم الرجال الثلاثة ، فهو أمر غير مستغرب ، وأما قضية الاستشفاء بالتراب المتترج بدمهم فرعا الجانب النفسي له دور في إحساس المرضى بالصحة والله أعلم^(٣) .

(١) الشَّامِي ، السير ، ١٢٤/١ .

(٢) كثافة الدم ١٠٦٠ كجم /م^٣ عند ٣٧°م وكثافة الماء ١٠٠٠ كجم /م^٣ عند ٤°م انظر : خواص السوائل الساكنة ، موقع موزان مبارك الاستكشافي للعلوم ، على هذا الرابط :

<http://www.smsec.com/encyc/phys/٢.htm>

(٣) إن مما يؤسف له انتشار أمثال هذه الخرافات والأساطير في أوساط المسلمين ، وامتلاء كتب السير بها ، وعدها من التراث الإسلامي ، وعدها من الكرامات التي يهبها الله لمن أسطفي من عباده ، ولا زالت هذه الخرافات منتشرة في أوساط المسلمين إلى عصرنا هذا عصر التكنولوجيا والذرة واختراق الفضاء ، وصل الغرب إلى ما وصلوا إليه بأنهم اكتشفوا سر القوة والتقدم وهو (الأخذ بالأسباب) ، ونحن الأمة التي خاطبها الله تعالى وأمرها بتفحص الأسباب ﴿ وَاجْعَلُوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْجَبُونَ بِهِ خَوْفُ اللَّهِ وَعَظْمُكُمْ وَالْأَخْرَبُ مِنْ قُوَّتِهِمْ لَا يُغْنِيهِمْ اللَّهُ فَطَمَئِنُّوا ﴾ (الأنفال : من الآية ٦٠) ، ﴿ وَالْأَخْرَبُ يُسْتَرْتَبُونَ فِي الْبُرْءِ يَتَّبِعُونَ مِنْ تَحْتِ اللَّهِ لَنْ يُغْلَبَ اللَّهُ شَيْئًا مِمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المزمّل : من الآية ٢٠) ، لا زلنا نعيش في عالم الأساطير والخرافات ، بسبب ضعفنا وخورنا وهزيمتنا الميدانية أمام أعدائنا ، مما ولد هزيمة نفسية كبيرة ، نجم عنها ما نشاهده من اللجوء إلى تصديق هذه الخرافات والعيش في عالم الأوهام وعدم الرغبة في الخروج منه حتى لا نعدم بولغنا الإسلامي المرير ، وهؤلاء الذين وهبهم الله أمثال هذه الخوارق - كما يزعمون - لمعادا لا يصغرونها في تحوير للمسلمين وبقية بلدان الإسلام من نير الاحتلال؟! لمعادا الرسول ﷺ كان بعد الجيوش الجرارة ويضع الخطط لتخوض المعارك؟! لمعادا الصحابة الكرام قتلوا الجيوش الجرارة لفتح فارس والروم ، ولم يجلسوا في بيوتهم على الفراش الوثير يحركون الأثفار والمسخور والجبيل لتقوم بهممة الفتح بدلا عنهم؟! بل انطلق الواحد منهم متمطيا فرسه متمسكا سلاحه حاملا روحه على كفة نواقة نفسه للفرز بالشهادة ، فهل هؤلاء الذين يزعمون هذه التفرات أكثر صلاحا وإيمان من أبي بكر وعمر وحزرة عم رسول الله ﷺ؟! ثم إن هذه القصص تتعارض مع العقل والواقع والمنطق الكونية ، فضلا عن تعارضها مع القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، فالله تعالى في كتابه الكريم أخبرنا أن للكون صنفا ثابتة دائمة لا تتغير أو تتبدل إلى أن يورث الله الأرض ومن عليها وإلا أدى ذلك إلى اختلال موازين الكون قال تعالى : ﴿ مَثَلُ اللَّهِ فِي الذِّينِ خَلْقًا مِنْ قَبْلِ وَتَنْ تُجِدُ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب : ٦٢) ، وقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ اللَّهِ الَّذِي فَذَخْتَ مِنْ قَبْلِ وَتَنْ تُجِدُ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح : ٢٢) ، =

= ويقول تعالى : ﴿ لا التَّمَنُّنُ بِنِعْمِي لَهَا إِنْ تَرَكَهَا الْعَمْرُ وَلَا التَّلَبُّؤُا بِسَائِقِ النَّهَارِ وَكُلًّا فِي ظِلِّ يَمِينٍ وَتَمْنُونَ ﴾ (تَمَس : ٤٠) ، وقال تعالى : ﴿ لَنْ نُرَى إِنْ أَلَّهَ نَوَالِجُ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ وَيَوَالِجُ النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ وَسَخِرَ اللَّشْمُونَ مِنْهُ كَلَّا يُجْزَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ أَلَّهُ لَمَّا تَمْتَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (لَمَنان : ٢٩) ، والمرسول ﷺ أخبرنا أن هذه الأجرام السماوية لا تخسف لموت أو مولد أحد ، فمنما مات ولده إبراهيم وخسفت الشمس ظن الصحابة أنها خسفت بسبب موت إبراهيم ، فأعادهم الرسول ﷺ إلى جادة الصواب قائل : " إن الشمس والقمر آياتان من آيات الله لا يخسفان لموت بشر ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروه وانسجروا وتصعدوا " رواه الإمام الربيع حديث رقم (١٩٤) ورقم (١٩٥) ، والبخاري حديث رقم (١٠٤٣) ، ومسلم حديث رقم (١٠) .

ولسماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليفي - حفظه الله - محاضرة قيمة تحت عنوان (الأخذ بالأسباب ومووره في نهضة الأمة) ألقاها بجامعة السلطان قابوس ضمن سلسلة الدروس الفكرية التي يلقها بالجامعة ، فيقول متحدثاً عن الصخرة الإسلامية وما أصيبت به من التآكل والانجراف وراه أمثال هذه الخرافات والأوهام التي تتعارض مع سنن الله في الكون : " ... ولكن مما يؤسف له أن هذه الصخرة أصيبت بشيء من عبث التصور في بعض الأمور، وذلك مما جعل أبناءها يعيشون في عالم الأوهام ، أسارى للخيبالات المختلفة ، وقد دفعهم ذلك إلى تجاهل سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه ، مع أن الله سبحانه خلق الخلق ، وجعل لخلقهم سنناً لا تتبدل حتى يرث الله الأرض وما عليها ، وما يقع من الخوارق التي قد تتكرر رأي العين خارجة عن هذه السنن؛ فبقا ذلك يرجع إلى أمر الله سبحانه عندما يريد أن يتعطل شيء من السنن في قضية معينة ، مع أن هذه الحالة لا يمكن أن يقرض عليها ، وهي حالات في عهد النبوات لا يمكن أن تتكرر مرة أخرى ، لأن السنن تدوير حسب ما شاء الله سبحانه وتعالى مما رسمه لهذا الكون من نواصير معينة لا تتبدل ولا تتغير حتى يرث الله الأرض وما عليها . ولكن عبث التصور هو الذي يحول بين البصائر والرواية الصحيحة لحقائق الأشياء ، وذلك مما يجعل هذه النفوس أسيرة الأوهام فيتبدد كل البعد عن هذه الحقائق " .

نلاحظ هنا أن مساحته وضع أن الأمور الخارقة للعادة التي خصن الله تعالى بها أنبيائه من معجزات ، وكذلك ما نكر في القرآن من بعض القصص كقصص أصحاب الكهف والرجل الذي أماته الله مائة عام ، فإن تلك الحالات حدثت في عهد النبوات لا يمكن أن تتكرر مرة أخرى بعد انقطاع الوحي واكتمال الدين ، فضلاً عن ورودها بخصوص قطعية ، أي الكتب الكريم .

ووجه إلى مساحته سؤال حول بعض الكرامات التي تنسب إلى بعض الأئمة والعلماء وتتعارض مع السنن الكونية ، ونص السؤال : هناك الكثير من التمسك إلى الأئمة والعلماء - رضي الله تعالى عنهم - مخالفة لأرسخ السنن الكونية ، ويدعي الكثيرون أنها من الكرامات التي يؤيدون بها ، ما رايكم في ذلك !! ، ومن ذلك مثلاً ما يروى عن الشيخ محمد بن علي بن عبد الباقي - رحمه الله - أنه أخذ لجاج الفتق في نزوى وأجرها في مكة ، وما يروى عن الشيخ سعد بن خلفان الخليفي - رحمه الله - كان يفهم منطق الطير !!

وهذا نص جواب مسماحة الشيخ حفظه الله تعالى : هذه القصص راجت في وقت من الأوقات كثيراً ، وكل أمر لا يقبله العقل لا يمكن أن يسلم له ، وأبعد من ذلك ما ذكر أخيراً ولم يذكر أولاً من أن أباه عبيدة - رضي الله تعالى عنه - دعا الله ، ففترجت السماء الأولى ثم الثالثة ثم الثالثة وأبصر العرش ، فهذا الكلام لا يصح ولا يقبل لأنه مخالف للسنن الكونية . انظر : الإمام الربيع بن حبيب الأزدي ، الجامع الصحيح ، مكتبة مسقط ، مطبعة عمان ، ط١ : ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، كتاب الصلاة ووجوبها ، باب (٣١) ، حديث رقم (١٩٤) ورقم (١٩٥) ، ص ٥٢ - ٥٣ . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ٦٦٦/٣ ، كتاب الكسوف (١٦) ، باب (١) ، حديث رقم (١٠٤٣) - يحيى بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ١٨٤/٦ ، ١٨٥ ، كتاب الكسوف (١٠) ، باب (٣) ، حديث رقم (١٠) - أحمد بن حمد الخليفي ، محاضرة في جماعة الترافة والأخذ بالأسباب ، محاضرة ضمن سلسلة الدروس الفكرية التي يلقها مسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليفي بجامعة السلطان قابوس ، أقيمت في يوم الإثنين ٢٣ من رجب ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م في المحاضرة مشورة ضمن كتاب (إعادة صياغة الأئمة) لمسماحة الشيخ الخليفي ، المطبعة الأولى ، ط١ ، مكتبة الجول الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ص ٩٤-٩٥ ، ص ١٢٢-١٢٣ . ومنشورة كذلك بموقع الأمل المشرق (www.alami.net) .

إذا وباستشهاد الإمام أبي حاتم - رحمه الله - طويت صفحة مشرقة من صفحات التاريخ الإباضي ، سطر فيها الإباضية تحت لواء إمامهم أبي حاتم أروع الإنجازات وأعظم التضحيات رغبة في نيل الحرية من تسلط وظلم الدولة العباسية ، ورغبة في تطبيق شرع الله تعالى وأحكامه ، ورغبة في إعادة الحقوق إلى أصحابها ، ولكن قدر الله ألا يتمكن الإباضية تحت لواء الإمام أبي حاتم من إقامة دولتهم المنشودة ، ففر من نجى من معركة (جنتى) ومن ملاحقة العباسيين لهم إلى المغرب الأوسط ، إلى تَهَّرتْ ، فأقاموا دولتهم المنشودة ، وانتخبوا إماما لهم هو عبد الرحمن بن رستم ، والذي بالفعل استطاع أن يحقق حلم الحرية ، فأقام الدولة الرسمية العظيمة في سنة ١٦٠هـ / ٧٧٦م .

فاحس الإباضية في كنفها بطعم العدل والأمان والحرية ، ليس هذا لحسب بل وقصدها الكثير من المسلمين من غير الإباضية ، والذين أصبحت لهم فيها مدتهم ومساجدهم التي يعرفون بها ، بل وسكنها اليهود والنصارى ، راضين بحكم الأئمة الرسميين ، ففتحت صفحة جديدة في التاريخ الإباضي الناصح المشرق^(١) ...

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت في إبراز سرية هذا الإمام الجليل ، فإن أصبت لذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى أصحابه وأتباعه وحزبه إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا ﴿ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) .

(١) انظر مقال (الدولة الرسمية دولة إسلامية تجاهلها التاريخ) المقال رقم (٨) من هذا الكتاب .

(٢) سورة يونس ، من الآية : ١٠ .

(٢)

العلامة مهدي النفوسي

إمام المناظرين

العَلَامَةُ مَهْدِي النَّفُوسِي إِمَامُ الْمَنَظِرِينَ^(١)

ما فنى جبل نفوسة ذلكم الجبل الشامخ الأسم الواقع في ليبيا ، يخرج للأمة الإسلامية الرجال الأشاوس الذين سطروا على مر التاريخ وتتابع الحقب أروع الإنجازات ، التي تستحق أن تنقش بماء النير على صفحات اللجين ، وإن أردنا أن نستعرض هؤلاء الأئمة العظام الذين خرجوا من هذا الجبل لما وسعنا المجلدات ، ولكن ما لا يدرك جلله لا يترك كله ، وسنحاول في هذا المقال تسليط الضوء على علم من أعلام جبل نفوسة يعد من أئمة المناظرة وعلماء الكلام ، ليس هذا فحسب بل وفارسا مقداما لا يشق له غبار في ميادين القتال ... فمن هو هذا الإمام ؟

إنه إمام المناظرين الشيخ العلامة مهدي النفوسي الويلوي^(٢) ، لم تذكر المصادر نسبة كاملا ، عاش في القرن الهجري الثاني^(٣) ، ويظهر من نسبة أنه من أهل قرية (ويلو) الواقعة بجبل نفوسة ، وتعيدا بجبل شروس الواقع بجبل نفوسة^(٤) .

وقد أخذ العلم عن حملة العلم إلى المغرب ، الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السَّمْح المَغَارِي ، والإمام عبد الرحمن بن رستم ، وعاصم السُنْدَرَاتِي ، وإسماعيل بن دُرَّار القُدَامَسِي ، وأبي داود القَبْلِي ، الذين تتلمذوا على يد الإمام الكبير أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة^(٥) .

ولقد برع الشيخ مهدي في المناظرة ، فكان له الفضل في تفيد شبه المعتزلة ، وذلك أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن - الإمام الثاني من أئمة الدولة الرستمية (حكم من ١٧١هـ /

(١) نشر هذا البحث سابقا في :

جريدة الوطن ، سلطنة عمان ، الجمعة ٨ من ربيع الثاني ١٤٢٥هـ / ٢٨ من مايو ٢٠٠٤م ، العدد (٧٦١٩) ، السنة ٣٤ .

موقع الأمل المشرق (www.alami.net) .

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhiyah.net) .

موقع الشبكة السمانية ، مجلة الدين ، (www.omania.net) .

(٢) الدررني ، طبقات المشايخ ، ٥٨/١ ، ٣١٣/٢ - الشملي ، السير ، ١٤٨/١ - سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، دار بوسلامة ، شارع فرنسا ، تونس ، ط١ : ١٩٨٦م ، ١١٩/٢ - ١٢٢ ، ١٢٨ - ١٤٥ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٢٧/٢ ، رقم للترجمة : ٩١٨ .

(٣) الدررني ، مصدر سابق ، ٣١٣/٢ - الشملي ، مصدر سابق ، ١٤٨/١ - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٢٧/٢ ، رقم الترجمة : ٩١٨ .

(٤) بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٣١٥/١ .

(٥) الدررني ، مصدر سابق ، ١٩/١ - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٢٧/٢ ، رقم الترجمة : ٩١٨ .

٧٨٧م - ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) - ثارت في عهده المعتزلة وقامت ببعض الفلاقل والفتن ، وقد كان فيهم - أي المعتزلة - شاب شجاع مقاتل أعين الفرسان أمره ، وهو ابن أمير المعتزلة ، وفيهم كذلك مناظر متكلم ، حتى الإمام عبد الوهاب - مع جلاله علمه - لم يتمكن من تغيب شبهه |

عندما رأى الإمام عبد الوهاب ذلك أرسل إلى أهل نُفُوسَة يطلب منهم إمداده بمجيش عرمرم يكون فيه رجل مناظر عالم بفتون الرد على المخالفين ، ورجل عالم بفتون التفسير ، ورجل فارس شجاع مبارز ، فلما وصلت رسل الإمام إلى نُفُوسَة ، تشاوروا فيمن يرسلونه للإمام ، واتفق رأيهم جميعا على أن يعثروا له بأربعة نفر : أحدهم مهدي الويلوي ليتولى أمر مناظرة عالم المعتزلة ، وأيوب بن العباس (حي : ٢٠٤هـ / ٨١٩م) لمبارزة فارس المعتزلة ، ومحمد بن يناس الدركلي النَّفُوسِي عالم التصير (ط : ٢٠٠ - ٢٥٠هـ / ٨١٥ - ٨٦٤م) ، وأما الرابع فليل أن اسمه محمد أبو محمد (ق : ٣هـ / ٩م) ، وقيل أبو الحسن الأندلسي (ق : ٣هـ / ٩م) ^(١) .

ولما وصل الوفد إلى العاصمة الرسمية تَبَهَّرَتْ ، أعلمهم الإمام بالمناظرة التي دارت بينه وبين العالم المعتزلي ، وعرضها عليهم ، فجعل يذكر سؤال كل واحد منهما وجواب الآخر ، فكان الشيخ مهدي كلما وجد من كلام المعتزلي حيدة قال : يا أمير المؤمنين زاغ في الحجمة ، وزاغ في الحجمة ، حتى أطلع الإمام على جميع ما بُس في المعتزلي ، وموضح حيداته ، فوثق الإمام بأن مهديا سيقطر بالمعتزلي ^(٢) .

ويذكر أن مهديا لما صار يتبَهَّرَتْ جعل يغيب عن أصحابه أياما لا يدرون له مستقرا ، فلما كان ذات ليلة قدم عليهم ، فقالوا له : قد استبطانك فقيم كان مغيبك ؟ فقال لهم : إني قد رددت إلى مذهب الحق سبعين عالما من أهل الخلاف ^(٣) .

ولما حان موعد اللقاء بين الإباضية والمعتزلة ، واصطفت الصفوف سأل المعتزلة الإباضية المناظرة ، فخرج مهدي للمناظرة ومعه جماعة من أصحابه ، وخرج عالم المعتزلة من الجانب الآخر ، وقد كان المعتزلي قبل ذلك أرسل إلى الشيخ مهدي في خفية إن أتا ناظرتك فظفرت بي سترت

^(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٠١ - ١٠٢ - الدرراني ، طبقات المشايخ ، ١/ ٥٧ - ٥٨ .

^(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ - الدرراني ، مصدر سابق ، ١/ ٦٠ .

^(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ - الدرراني ، مصدر سابق ، ١/ ٦٠ .

علمي ، وإن ظفرت بك سترت عليك ، فليس منا أحد يدري لمن يكون الظفر ؛ فأرسل مهدي إلى أصحابه أن علامة ظفري بالمعتزلي أن أنزع القنسوة عن رأسي ، وأضعها تحت ركبتي ...^(١)

ثم تناظرا وجرت بينهما وجوه من المناظرة والناس يعلمون ما يقولون ، فلم يظفر أحد بصاحبه ، ثم دخلا في مناظرات لم يفقهها أحد غير الإمام عبد الوهاب ، ثم دخلا في وجوه لم يفقهها أحد حتى الإمام ، فظفر الشيخ مهدي بالمعتزلي وألقى القنسوة تحت ركبته ، فكير أصحاب مهدي ، فلما رأى المعتزلي ذلك قال غدرت يا مهدي ، فالترقا وقد نصر الله مهديا^(٢) .

وتبارز بعد ذلك فارس المعتزلة مع أيوب بن العباس ، فظاهر أيوب بعدم الحداقة في ركوب الفرس ، فضحك منه عامة الفريقين ، فقال زعيم المعتزلة أبو الفتح المعتزلي : " هيهات ، الآن جاء من يقتل ابني ، أفلا ترون فرسه حين ركبته كيف أدلى واسترسل ؟! ولا يفعل الفرس ذلك إلا تحت الفارس الحاذق الممارس " ^(٣) ؛ وبالفعل صدق زعيم المعتزلة ، فكان الظفر لأيوب وقتل الفارس المعتزلي ؛ ثم التحم الجيشان ، فكان النصر للإمام عبد الوهاب رحمه الله تعالى^(٤) .

ويذكر عن الشيخ مهدي أنه كان يقول : حمدت الله على ثلاث ، واحدة أنني إذا قُدم إليّ الطعام ما أبالي أي طعام كان ، فإني أقضي منه حاجتي ، والثانية إذا أخذت غفوة من النوم اجتزيت بها ، والثالثة لست أخوف مخالفا على نفسي أن يعلينني في حجة إلا إن ركت في دين الله^(٥) .

وقد كان رحمه الله يمتلك أرضا زراعية يعمل فيها بنفسه وزوجته ، وكان زاهدا في متاع الدنيا طالبا للأخرة ، فيروى أن له ابن خالة اسمه فرج طالبا للأخرة من غير إعراض عن الدنيا ، فاختصما يوما بتَّهَرَّت عند الإمام عبد الوهاب ، فقال مهدي : يا أمير المؤمنين إن ابن خالتي قد شغلته دنياه حتى كاد يضر بآخرته ، فقال فرج : إن هذا قد شغلته رفض دنياه حتى كاد يضر بآخرته ، فأعرض عنهما الإمام ودعا لهما بالخير ؛ فلما توجه الإمام إلى جبل نُفُوسَة أصابه مطر بين منازل نُفُوسَة ، فقصد دار مهدي فوجدها دار عابد زاهد ليست له رغبة في الدنيا ، فلم يجد بها ما يبقى عن نفسه القطر ، فرغب إليه فرج وسأله انتقال الإمام ومن معه إلى داره ، وأعلمه أن ذلك

(١) أبو زكرياه ، سير الأئمة ، ص ١٠٨-١٠٩-الدرجيني ، طبقت المشايخ ، ١/٦١-٦٢ .

(٢) أبو زكرياه ، مصدر سابق ، ص ١٠٨-١٠٩-الدرجيني ، مصدر سابق ، ١/٦١-٦٢ .

(٣) أبو زكرياه ، مصدر سابق ، ص ١٠٩-١٠٨-الدرجيني ، مصدر سابق ، ١/٦٢ .

(٤) أبو زكرياه ، مصدر سابق ، ص ١٠٨-١٠٩-الدرجيني ، مصدر سابق ، ١/٦١-٦٢ .

(٥) أبو زكرياه ، مصدر سابق ، ص ١٠٦-١٠٧ .

أرفق بالإمام لما هو فيه من اليسار ، فأجاب سؤاله ، فخرجوا إلى دار فرج ومهدي معهم فوجدوها دار ذي نعمة وبسطة ، وسعة رزق ، فأخرج فرج لكل واحد منهم ثيابا جديدة لم يصبها المطر ، وفرش فرشاً وثيرة ، وأحضر أطعمة حافلة ، وأظهر لهم من صوف البر ما استحسنته الإمام ، فقال الإمام عبد الوهاب للشيخ مهدي : الآن خصمك فرج فيما اختصمتما ، وبأن أن حجته قامت على حجنتك^(١) .

وقد أتى عليه الدرَجيني فقال : * ... هو المقوم في علم الجدل ، الذي له اليد العليا في البرهان والاستدلال ، وهو محتج على إمكان الممكن واستحالة المحال ، وعلى الفرق بين الحرام والحلال ... الراوع لقيام أهل البدع والضلال *^(٢) .

وقد استشهد الشيخ مهدي - رحمه الله - في حصار الإمام عبد الوهاب لمدينة طرابلس سنة ١٩٦٦هـ / ٨١١م ، وذلك أنه خرج من المسكر إلى شاطئ البحر فرآه أهل المدينة فسبحوا إليه وقتلوه وقطعوا رأسه وعلقوه على سور المدينة والله المستعان^(٣) .

وينبغي التنبيه على وجود شخصية إباضية أخرى تحمل نفس اسم الشيخ مهدي وكذلك من قرية ويلو ، وكان كذلك من أهل العلم والمناظرة ، إلا أنه متأخر عن الشيخ مهدي الأول بقرن ، حيث إنه ظهر في القرن الثالث الهجري وكان معاصراً للشيخ عُمرُوس بن فتح الثُقُوسِي (ت : ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) وقريناً له ، وقصتهما أي الشيخ عُمرُوس ومهدي الثاني في مناظرة نفاث بن نصر مشهورة^(٤) ؛ ومهدي الثاني هذا له كتاب باللسان البربري يرد فيه على أباطيل نفاث ، ويعتبر هذا الكتاب أقدم كتاب إباضي بالبربرية ألف نثراً^(٥) .

(١) مقرين بن محمد البختوري ، سير أهل نفوسة (مخ) ، ص ٧٥-٧٦- أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١١٢-١١٣- الدرَجيني ، طبقات المشايخ ، ٦٤/١-٦٥- الشماخي ، السير ، ١٤٩/١-١٥٠- الدرَجيني ، مصدر سابق ، ٣١٢/٢-٣١٤ .

(٢) البختوري ، مصدر سابق ، ص ٧٦- أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١١٦- الشماخي ، مصدر سابق ، ١٥٠/١ .

(٣) ورد في بعض المصادر أن جماعة اجتمعت في " تبتين إزدرشل " لطلب العلم ، وفيهم أبو نصر التميمصي ، وكان هو المحتج ، وفيهم نفاث بن نصر وهو ولقي عليهم من المسائل العويصة ما لا يفهمون ، فأقبل مهدي وعمرُوس ، فسكت نفاث ، فقال أبو نصر : " الآن جاء السلوقان اللذان يحرزان الحي من الذئب ، وأما جرورة أبي نصر فتنبخ على الظن وتتهدم " (انظر : الدرَجيني ، مصدر سابق ، ٣١٤/٢- الشماخي ، مصدر سابق ، ١٤٩/١ ، ١٩٢/٢- ٢٠) .

(٤) الدرَجيني ، مصدر سابق ، ٣١٤/٢- بحاز وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٢٧/٢ ، رقم الترجمة : ٩١٨ .

والحقيقة أن أغلب المصادر خلطت بينهما فلم تفرق بين الشخصين ، عدا مصدر واحد أشار إلى وجود الفرق وهو كتاب السير للشُّماخي ، فالشُّماخي يذهب إلى أن مهديا الوَيْفِيُّ صاحب الشيخ عَمْرُوس والمناظر لِنَفَات هو غير مهدي الوَيْفِيُّ صاحب الإمام عبد الوهاب ومنجد تَهْرُت ، فقال بعد أن ذكر قصة مناظرة عَمْرُوس ومهدي لِنَفَات : " ... والصواب أن هذا غير مهدي المعاصر للإمام [يقصد الإمام عبد الوهاب] لأنهما متأخران أعني مهديا وعَمْرُوسا ... " (١) .

ومستند الشُّماخي في التفرقة بينهما أن مهديا صاحب الإمام عبد الوهاب مات سنة ١٩٦هـ / ٨١١م ، ومهدي صاحب عَمْرُوس عاش في القرن الثالث الهجري (٢) .

إلا أن هناك من تعقب الشُّماخي فيما ذهب إليه ، وهو الباحث محمد حسن - محقق كتاب السير - فقد ذهب إلى أنهما الشخص نفسه ، وأن الشُّماخي أخطأ فيما ذهب إليه بسبب اعتماده على مراجع مختلفة ومتباينة ، وهذا نص كلامه : " ذكر الشُّماخي شخصين تحت هذا الاسم : مهدي المتكلم الويفوي الأول صاحب الإمام عبد الوهاب توفي سنة ١٩٦هـ ، والثاني عاش في القرن الثالث ، ولا شك أن هذا الخطأ مصدره اعتماد الشُّماخي على مراجع مختلفة ومتباينة ، فقد ذكر اعتمادا على كتاب سير مشايخ نفوسة للبغطوربي أن مهديا المتكلم توفي سنة ١٩٦هـ ، بينما يورد الدرجيني (طبقات ، ج ٢ ، ص ٣١٣) نفس العلم ضمن رجال الطبقة الخامسة (٢٠٠هـ / ٢٥٠هـ) . مما يفسر هذه التفرقة الخاطئة للشُّماخي بين شخصين يحملان نفس الاسم ، لاسيما أن الرواية التي ذكرها مباشرة بعد هذه الفقرة جاءت في الدرجيني (طبقات ، ج ٢ ، ص ٣١٤) خاصة بمهدي الويفوي ، صاحب الإمام عبد الوهاب " (٣) .

والحقيقة أن ما ذكره الباحث محمد حسن من أن الشُّماخي وقع في خطأ فيما ذهب إليه مرده اعتماده على مراجع مختلفة ومتباينة ، الظاهر - من وجهة نظري - أنه يحتاج إلى إعادة نظر ، وذلك أننا إذا تأملنا كلام الشُّماخي بدقة نجد أنه يُبَيِّن سبب ترجيحه كون مهدي الأول صاحب

(١) الشُّماخي ، السير ، طبعة وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان ، ١٤٩/١ ، ١٩/٢ .

(٢) الشُّماخي ، مصدر سابق ، ١٩/٢ .

(٣) الشُّماخي ، السير ، تح : محمد حسن ، كلية الآداب العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، شركة آربريس للطباعة ، تونس ، ١٩٩٥ ، ص ٢٨٥ ، هامش المحقق .

الإمام عبد الوهاب مختلف عن مهدي الثاني صاحب عَمْرُوس ، فقد ذكر أن مهديا الثاني وعَمْرُوس متأخران عن الإمام عبد الوهاب ^(١) ، هذا دليله الأول ، ودليله الثاني كون مهدي الأول صاحب الإمام عبد الوهاب مات في سنة ١٩٦هـ / ٨١١م ، وأن مهديا الثاني كان في القرن الثالث الهجري ^(٢) ، إذا لابد من وجود مهدي آخر غير الأول صاحب عَمْرُوس وكانت له مناظرات مع نَفَآت ، والظاهر أن ما ذهب إليه الشماخي هو الصحيح ، وذلك أن مهديا الأول صاحب الإمام عبد الوهاب استشهد في سنة ١٩٦هـ / ٨١١م أثناء حصار الإمام عبد الوهاب لمدينة طرابلس ^(٣) .

ونَفَآت ظهر في القرن الثالث الهجري في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب ، وليس في عهد الإمام عبد الوهاب ، فقد كان نَفَآت من طلاب الإمام أفلح ^(٤) ، والإمام أفلح حكم من سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣م إلى ٢٥٨هـ / ٨٧١م ^(٥) ، وقد عَدَّه التُّرْجِينِي في الطبقة الخامسة (٢٠٠ - ٢٥٠هـ) ، وهي نفس الطبقة التي ذكر فيها التُّرْجِينِي مهديا وعَمْرُوسا المناظرين لنَفَآت ، إلا أنه لم يفرق بين مهدي الأول ومهدي الثاني ^(٦) .

كذلك فإن الشيخ عَمْرُوس ولد في أواخر القرن الثاني فيما يقارب سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م ، وبالتالي سيكون عمره عند وفاة مهدي الأول ست سنوات تقريبا ، ومن هو في مثل هذه السن لا يستطيع الحوض في غمار المناظرات ، أما إذا أتينا إلى القرن الثالث فإن الشيخ عَمْرُوسا سيكون قد بلغ من السن ما يؤهله للمناظرة ، والحوض في علم الكلام .

إذا فالذي يظهر أن مهديا الوَيْطُوي المناظر لنَفَآت مع الشيخ عَمْرُوس هو غير مهدي الوَيْطُوي صاحب الإمام عبد الوهاب ، فلعله مجرد تشابه في الأسماء أدى إلى هذا الخلط بينهما في المصادر ، والحقيقة أن جميع المصادر والمراجع التي وقعت بين يدي لم تفرق بينهما وعدتُهما شخصية واحدة ،

(١) الشماخي ، المصدر ، طبعة وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان ، ١٤٩/١ .

(٢) الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩/٢ .

(٣) الشماخي ، مصدر سابق ، ١٥٠/١ ، ١٩/٢ - البنطوري ، سير أهل نفوسة (مع) ، ص ٧٦ - الباروني ، الأزهار ، ١٤٥/٢ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٢٧/٢ ، رقم الترجمة : ٩١٨ .

(٤) الدرر جوني ، طبقات المشايخ ، ٧٨/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٦٧/١ ، ١٨٤ - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٦١/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ ، ٣٣٨/٢ ، رقم الترجمة : ٧٣١ .

(٥) بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٦٠/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ - بحاز ، الدولة الرستمية ، ص ١٢٠ ، ١٢٢ .

(٦) الدرر جوني ، مصدر سابق ، ٢٩١/٢ ، ٣١٤ .

عدا الشماخي صاحب السر فقد تنبه لهذا الخلط وفرق بينهما ، والظاهر أن ما ذهب إليه هو الصحيح ، والله أعلم .



(٣)

العلامة مُحَكَّم بن هُوْد الهُوَّارِي

قَاضِي (تَيْهَرْت)

الشيخ العلامة مُحَكِّمُ بن هُوْدِ الهُوَارِيِّ قَاضِي (تَيْهَرْت)^(١)

اعتنت الدولة الرستمية (١٦٠هـ / ٧٧٦م - ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) بالقضاء ، وجعلته من أولى اهتماماتها بعد الإمامة^(٢) ، وذلك لنشر العدل والأمن وتطبيق شرع الله تعالى ، يقول د/ إبراهيم بجاز : " ويأتي القضاء في المرتبة الأولى بعد الإمامة مباشرة ، وعمل القضاة الطبقة الأولى في ترتيب الموظفين الرئيسيين من عمال الإمام وأعرانه ... " ^(٣) .

وقد كانت سلطة القضاء منفصلة عن سلطة الإمام وسلطة ولاية الأقاليم ، فلا يتدخلون في مهام القضاة ، يقول د/ بجاز حول ذلك : " وكانت سلطته منفصلة عن السلطة المركزية ، فلا دخل للإمام ولا للوالي في شؤون القاضي ، مع أنهما هما اللذان يعينه في منصبه " ^(٤) .

إن هذه العناية الكبيرة التي أولاهها أئمة الدولة الرستمية بالقضاء أبرزت لنا قضية قلَّ لهم نظير ، اتسموا بالعدل والحكم بشرع الله تعالى ، أصحاب خبرة علمية ومقدرة وكفاءة ، الأمر الذي دعا كتّاب السير والطبقات إلى تسجيل مآثرهم وحفظ أخبارهم وأسمائهم^(٥) .

وفي هذا المقال ستحاول تسليط الضوء على قاض بزغ نجمه في سماء الدولة الرستمية ، اتصف بالعلم والعدل وقوة الشخصية فلا تأخذه في الصدع بالحق لومة لائم ، يطبق شرع الله على الغني والفقير والكبير والصغير ...

إله الشيخ القاضي مُحَكِّمُ بن هُوْدِ الهُوَارِيِّ قاضي (تَيْهَرْت) العاصمة الرستمية ، وقد وقع الخلاف في ضبط اسمه ، فيذكر الأستاذ شريقي أنه سأل بعض مشايخه ، فوجدهم يروونه بإسكان الحاء وتخفيف الكاف المكسورة أو المفتوحة (مُحَكِّمُ أو مُحَكِّم) ، على اختلاف بينهم^(٦) .

^(١) نشر هذا البحث سابقا في :

موقع الأمل المشرق (www.alami.net) .

موقع الشبكة العنقودية ، سيلة الدين ، (www.omania.net) .

^(٢) لمزيد الاطلاع حول القضاء في الدولة الرستمية وأشهر قضاتها انظر : بجاز إبراهيم بكير ، القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، دار البقاوت ، غضن ، الأردن ، ط ١ : ٢٠٠١م ، ص ١٦٩ - ١٩٠ ، ص ٤٩٠ ، ص ٤٩٥ .

^(٣) بجاز ، مصدر سابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

^(٤) بجاز ، مصدر سابق ، ص ١٨٩ .

^(٥) بجاز ، مصدر سابق ، ص ١٨٦ .

ولقد قام الأستاذ شريقي بعملية استقراء في مختلف المصادر اللغوية وغيرها بحثا عن الضبط الصحيح لهذا الاسم ، فنوصل إلى أن الكاف في (محكم) وردت في أغلب المصادر بالتشديد المفتوح أو المكسور ، لا بالتخفيف ، ثم رجح تشديد الكاف المفتوحة معتمدا على ما ذكره أبو عبد البركري في كتابه (فصل المقال) وهو يشرح كلمة مُحَكِّمُ اليمامة حيث قال : " وفي كتاب النسب للكلي : قيل له مُحَكِّمٌ لأنهم جعلوه حكما وحكّموه بينهم " (١) .

إذا فالراجع أنه مُحَكِّمٌ بتشديد الكاف المفتوحة ، وهذا ما رجحه كذلك أصحاب المعجم بالاعتماد على ما ذهب إليه الأستاذ شريقي ، وكذلك د/ الجعيري حيث ضبط الاسم بتشديد الكاف المفتوحة ، وكذا الباحث سلطان الشيباني (٢) .

وقبلة (المؤاري) التي تنسب إليها الشيخ مُحَكِّمٌ من قبائل البرانس البربرية ، وقد سكنت بطوناً عدة مواطن في إفريقيا والمغرب ، حيث جاورت هُوَازَةَ قبيلة نُفُوسَةَ بجبل نُفُوسَةَ جنوب طرابلس الغرب ، وسكنت بطون منها بلاد الجريد جنوب الحدود الجزائرية التونسية الآن ، وسكنت بطون منها جبل أوراس ونواحيه شرق الجزائر ، وهو الموطن الذي ينتمي إليه الشيخ مُحَكِّمٌ رحمه الله (٣) .

ولقد تغنى الرحالة والجغرافيون بوصف جبل أوراس موطن شيخنا ، ونكتفي هنا بما قاله البركري (ق : ٥٥ هـ) واصفا الطريق من مدينة فأس إلى القبروان حيث قال : " ومن أدنة إلى مدينة طينة مرحلتان ... ثم تمشي ثلاث مراحل في مساكن العرب وهوارة ومكناسة وكينسة وورقلة ، يطل عليها وعلى ما والاها جبل أوراس ، وهو مسيرة سبعة أيام ، وفيه قلاع كثيرة يسكنها قبائل هُوَازَةَ ومكناسة ... وفي هذا الجبل كان مستقر الكاهنة إلى مدينة باغاية ، وهي حصن صخر قديم حوله بعض [ما حول المدينة من النواحي] كبير من ثلاث نواح ، وليس فيما

(١) هود بن محكم الهواري ، تصدير كتاب الله العزيز ، ج ١ ، تح : بلحاج بن سعيد شريقي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٩٩٠م ، ص ١٠ .

(٢) الهواري ، مصدر سابق ، ١١/١ .

(٣) فرحات الجعيري ، البعث الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوآن الحديثة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٤٤ - بحاز وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٥٥/٢ ، رقم الترجمة : ٧٧٢ - سلطان بن مورك الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٣) ، مخطوط بخط المؤلف ، ص ١ ، وقد تم نشر هذه الحلقات في جريدة (الوطن) الثمانيّة بين علسي ١٤١٩ هـ / ١٤٢٠ هـ .

(٤) الهواري ، مصدر سابق ، ٨/١ .

بلي الناحية الغربية بوض، إنما يتصل بها بستين فرس، وفي أرباضها فنادقها وحماماتها وأسواقها، وجامعها داخل الحصن، وهي في بساط من الأرض عريض، كثير المساه، وجبل أوراس مظل عليه... " إلى أن قال: " وأهلها كلهم اليوم على رأي الإباضية " (١).

عاش الشيخ مُحَكِّم في القرن الثالث الهجري، وكان لا يزال حيا بين (٢٠٨ هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨ هـ / ٨٧١م) (٢)، وذلك أن الإمام الفلح بن عبد الوهاب (ت: ٢٥٨ هـ / ٨٧١م) عينه قاضيا - كما سيأتي - على العاصمة تَبَهَّرَت في عهده (حكم: ٢٠٨ هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨ هـ / ٨٧١م).

فيما يتعلق بنشأة الشيخ مُحَكِّم وطلبه للعلم لمجد المصادر صامتة ولا تسعف بما يفيد حصول ذلك، ولكن لعله أخذ العلم على يد علماء موطنه أوراس، وكذلك يحتمل أن يكون هاجر في شبابه إلى تَبَهَّرَت العاصمة الرسمية لأخذ العلم عن أئمتها وعلمائها، فلعله أخذ العلم عن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن (حكم ١٧١ هـ / ٧٨٧م - ٢٠٨ هـ / ٨٢٣م).

ولقد كان الشيخ مُحَكِّم عالما جليلا، وقاضيا فحلا، وصفه الشماخي بقوله: "... وكان في الطبقة العليا علما وتقى... " (٣)، وقال فيه الشيخ علي بجي معمر: "... هو شخصية من الشخصيات اللامعة التي تتهرب من الظهور وتتقاعد عن الأضواء، ولكن الناس يلاحقونها ويسلطون عليها أنوارهم الكاشفة... وقد كان مُحَكِّم منذ صغره ذكيا قويا الخلق، فتعلم العلم ونبح فيه، وأنشأته أسرته المؤمنة على دين وتقوى، فشب لا يخاف إلا الله، ولا يرجو غير الله، عازلا عن الدنيا مترفا عن ملاذها وشهواتها، مجالبا لعبيدها " إلى أن قال: " وقد عرفه الناس كما هو بعلمه وبجليلته وبيدته وبشدته في الحق وتعلقه بالله فاحترموه لهذا الخلق وأحبوه من أجلها " (٤).

بعد أن نبح الشيخ مُحَكِّم في العلم وبلغت شهرته الآفاق، عينه الإمام الفلح قاضيا على تَبَهَّرَت بعد وفاة قاضيتها، الذي كان في منصب القضاء منذ عهد الإمام عبد الوهاب كما يظهر من كلام ابن الصغير حيث يقول: " وأول ما امتحنه الشراة [يقصد امتحان الشراة للإمام الفلح لما تولى

(١) البكري، المغرب، ص ١٤٥ نقل عن: الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، ٩/١.

(٢) بحار وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ٣٥٥/٢، رقم الترجمة: ٧٧٢.

(٣) الشماخي، السير، ١٦٧/١.

(٤) معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج ٢، ع ٤، ص ١٢٨.

الإمامة [أن قاضيا من قضاة أبيه مات في أيامه فاجتمعت إليه وسألوه أن يولي القضاء من يستحق ذلك ...]^(١).

والظاهر أن ابن الصغير لا يعرف اسم القاضي المتولي والذي استلم منصبه الشيخ مُحَكِّمٌ ، فنجده لما تحدث عن تعيين محكم قال : إن القوم قالوا له : " إن فلان ابن فلان القاضي تولى وقد أجمع رأي المسلمين ورأي الإمام عليك " ^(٢).

إذا بعد وفاة قاضي تَهَيَّرَت أئمة أهل العلم إلى الإمام أفلح يظنون منه تعيين قاض خلفا للقاضي الأول ، فقال لهم الإمام : " أجمعوا جمعكم ، وقدموا خيركم ، ثم أعلموني به أجبره لكم وأعضده على ما يكون فيه الصلاح لكم " ^(٣).

ولعلنا ننفق وقفة مع هذه الفقرة السابقة نستلهم منها العدل والشورى الساندين في الدولة الرسمية ، وأن أئمتها لم يكونوا يتأثرون بالقرارات لوحدهم ولخدمة أغراضهم الشخصية ، بل نلاحظ أن لهم مجلسا استشاريا يتكون من كبار العلماء يوكل إليهم الإمام اتخاذ القرارات المناسبة لصالح الدولة والشعب ، وليس هذا فحسب بل ويوجههم إلى اختيار من تتوفر فيه الصفات المطلوبة ، ثم بعد ذلك - كما سيأتي - نلاحظ أن الإمام يناقشهم في القرار الذي أجمعوا عليه إذا رأى فيه ما لم يروه ، إلا أنه لا يجبرهم على تغييره ، بل يقرهم على إجماعهم تطبيقا للمبدأ الإسلامي العظيم ألا وهو الشورى .

وبعد مداولات بين مستشاري الإمام وقع اختيارهم على الشيخ مُحَكِّمِ الْهَوَازِيِّ فأخبروا الإمام أفلح بقرارهم ، فقال لهم الإمام : " وبحكم دعوتكم إلى رجل كما وصفتم في ورعه ودينه ولكن هو رجل نشأ في بادية ولا يعرف لذي القدر قدره ، ولا لذي الشرف شرفه ، وإن كان ليس أحد منكم يجب أن يظلم ولا يُظَلَّم ، ولكن تخبون أن يُجرى فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتهان لأنفسكم " ، فقالوا : " إنا لا نرضى لقضائنا أحدا غيره " ^(٤).

(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستبيين ، ص ٥٧ .

(٢) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٥٨ .

(٣) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٤) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٥٧ - ٥٨ - الثماني ، السير ، ١٦٧/١ .

وهنا نلاحظ أن الإمام أفلح نبيهم إلى جوانب في شخصية الشيخ مُحَكَّم قد يكونون غفلوا عنها ، وهي كونه بالرغم من علمه وفضله وصلاحه إلا أنه رجل لشأ في بادية فتعود على حياة الجفاف ولم يتعود على حياة المدينة والحضارة ، والتي تحتاج إلى أساليب خاصة في التعامل مختلفة عن البادية ، ولا يُفهم من كلام الإمام أنه يرمز إليهم ليختاروا رجلا متهاونا بدهانهم ، حيث مجده يقول كما جاء في النص أعلاه : " ... وإن كان ليس أحد منكم يجب أن يظلم ولا يُظلم ... " ، أي أنكم من الورع والصلاح بحيث تقبلون بالحق وتسعون إليه ، " ولكن تخبون أن يُجري فيكم الحق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتهان لأنفسكم " ، أي لا يتعامل معكم بشدة وغلظة كما يتعامل مع أهل البادية ؛ يقول الشيخ علي معمر : " حين اختار الناس مُحَكَّمًا لتصب القضاء ورفعوا رأيهم هذا إلى الإمام ناقشهم الإمام في اختيارهم هذا وأخبرهم أن في الدولة كثيرا من الرجال لا يقولون علما ودينا وذكاء وتحريا عن مُحَكَّم ، وهم يعيشون في وسط الدولة ، ويعرفون كيف يتصرفون مع الناس في لطف ولباقة ، وأن مُحَكَّمًا في طبعه الصريح الجفاف ، ومواقفه الصامدة ، وقوته في الحق ، ومعيشته في حياة البادية قد لا يلائم طباقتهم المنحصرة ، وأذواقهم المرهفة الحساسة ، وسلوكهم الذي تقبده آداب المدينة وأعرافها " (١) .

بعد أن أصروا على مُحَكَّم ولم يأخذوا بتصيحة الإمام أفلح ، أقرهم الإمام أفلح على اختيارهم ، فأرسلوا رسالتين إليه ، الأولى من الإمام والثانية من العلماء ، جاء فيهما : " أما بعد فقد نزل بالمسلمين أمر لا غنى بهم عن حضورك وهم منتظرون لقدمك ولا يسعلك التخلف فيما بينك وبين الله عن الحقوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح المسلمين " (٢) .

ونلاحظ في مضمون الرسالة أنهم لم يذكروا له السبب في دعوته ، وذلك أنهم يعلمون إن خبروه بإزماعهم توليته منصب القضاء لتخلف ولما استجاب لورعه وزهده في هذا المنصب (٣) .
فلما وصل رسل تَبَهَّرت إلى الشيخ مُحَكَّم وقرأ مضمون ما يحملون من رسائل ، ابتدر إلى دابة له وركبها وأخذ كساه وعصاه ميمما شطر تَبَهَّرت ، فلما وصلها قصد المسجد الجامع ونزل به ،

(١) معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٠٤ ، ص ١٢٩ .

(٢) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٥٨ - القشاشي ، السير ، ١٦٧/١ - ١٦٨ .

(٣) معمر ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٠٤ ، ص ١٢٩ .

فاحاط به علماء تَهَيَّرَتْ ، وقالوا له : " إن فلان ابن فلان القاضي تولى وقد أجمع رأي المسلمين ورأي الإمام عليك ، واعلم أنك مهما تخلفت عمّا دعوناك إليه كنت المسؤول عن كل دم يراق بغير حِلِّه ، وكل فرج يوطأ بغير وجهه ، فائق الله ولا تخالف الإمام والمسلمين عمّا دعوك إليه ، فإنك إن خالفنا أجبرناك وإن أعطنا شكرناك " (١) .

نلاحظ هنا أن علماء تَهَيَّرَتْ حاولوا إلزام الشيخ مُحَكِّمَ بعدة إلزيمات حتى لا يجد له مخرجاً من قبول تولى القضاء ، فمن ذلك إجماع السلمين والإمام عليه ، فإن رفض كان المسؤول عن الدماء التي ستسفك بالحرام وعن الفروج التي ستوطأ بالحرام ، بمعنى أنه يتحمل مسؤولية الجرائم التي ستقع لأن مرتكبها لم يجدوا القاضي العادل الذي يهابونه ، ثم يجبرونه أنه إن رفض لإفهام سيجبرونه على ذلك شاء أم أبى ، فماذا كان رد الشيخ مُحَكِّمَ عليهم ؟

قال لهم : " إن الحق مُرٌّ ، أمرٌ من شرب الدواء ولا يُشرب الدواء إلا كرها ، وأنتم مرهفون أبناء نعم ، وغوي أحب إليكم مني وقد نصحتكم فاقبلوا نصيحتي " ؛ فحدث بينهم نقاش طويل وأخذ ورد ، ثم قال لهم : " فإذا أبيتم إلا هذا فارجعوا إلى إمامكم فأعلموه بما أعلمتم به وشارروه في أموركم " ، فقالوا : " قد فعلنا " ، فقال : " على بركة الله " (٢) .

لعمري ما أعظمه من ورع وخوف من الله تعالى ، وما أعظمه من زهد في المناصب اتصف به الشيخ مُحَكِّمَ رحمه الله ١٩ ، فإن بعض أصحاب النفوس المادية التواقفة إلى تسم أكبر المناصب والمراكز قد تطير فرحاً إن عرض عليها منصب كمنصب القضاء ، وأين ؟ إنه في العاصمة ، وبعض النفوس قد تسعى بكل قوة للحصول على بعض المناصب مضحية حتى يديها وأخرتها إن كان في ذلك المنصب ما يضر آخرتها ؛ ولكننا وجدنا الشيخ مُحَكِّمَ ضرب بكل ذلك عرض الحائط ، ورفض المنصب على الفور ، وحاول أن يقدم ما يستطيع من الأعذار لكي لا يحصل على منصب القضاء ؛ وعندما وافق ، وافق مرغماً مجبراً ، حيث إنه ذُكِرَ بالآخرة ، وبغضب الله عليه إن هو ترك منصب القضاء إذ إنه لا يوجد من العلماء من هو أجدر منه بذلك المنصب ، وعُتِقَ ذنب الجرائم التي سترتكب في تَهَيَّرَتْ برقبته إن هو تخلى ورفض القضاء ، فوافق ليس حياً في المنصب

(١) ابن الصغور ، أخبار الأئمة الرستمين ، ص ٥٨ .

(٢) ابن الصغور ، مصدر سبق ، ص ٥٩ - الثماني ، المصدر ، ١٦٨/١ .

بل خوفاً من الله تعالى أن يؤاخذ به إن هو ترك هذا المنصب لمن هو غير جدير به ، وقد تضيع الأحكام وحقوق الناس ^(١) ...

بعد أن قبل منصب القضاء ، أنزلوه في دار القضاء واشتروا له خادماً وأجروا عليه من بيت المال قوته ، فصار فيهم السيرة التي أمَلوها منه ورجوها عنده ^(٢) .

ونذكر هنا حادثة تدل على عدله وعلى شدته في الحق ، وكذلك على تحقق توقعات الإمام أفلح من أن أهل تَهْرَتَ لن يتحملوا منهجه الشديد في تطبيق الحق مع أهم لا يرغبون في الظلم لا محالة ، فيذكر ابن الصغير أن أبا العباس أحمأ الإمام أفلح تنازع في أرض مع صهر الإمام أفلح ، فرفعا أمرهما إلى الإمام أفلح ، فقال لهما الإمام : " كلاكما يعز علي ولكن ارتفعا إلى مُحْكَم " ، فاشتغل أبو العباس كلام أفلح وبادر إلى الشيخ مُحْكَمَ بدار القضاء فسبق خصمه ، فلم يجد معه أحداً فالجسه مُحْكَمَ بجنبه وأقبل عليه بمجده ، وفي تلك الأثناء أقبل خصمه فجلس بباب الدار ، ولم يتبه إليه الشيخ مُحْكَمَ ، فلما رأى أبو العباس خصمه بباب الدار نادى على جارية الشيخ مُحْكَمَ يستسقيها الماء ليرى خصمه دلالة على القاضي ، فقال الخصم في نفسه : " إلى من أحاكم ؟ خصمي جالس إلى جنب القاضي ويستسقي الماء من داره ، وأنا ملقى على باب الدار لا يلتفت إلي ولا ينظر نحوي " ، فحانت من الشيخ مُحْكَمَ الفتاة فرأى الرجل جالسا بالباب ، فقال له : " ما بالك يا هذا وما قصدك ؟ " ، فقال : " جئت خصما لأبي العباس فوجدته جالسا إلى جنبك فجلست موضعي هذا " ، فغضب الشيخ مُحْكَمَ على أبي العباس فقال : " يا أبا العباس تأتي مع خصمك فتجلس إلى جنبي دونه وتستسقي الماء من داري على يد جاريتي ، يا غلام خذ بيد أبي العباس واقعه مقعد خصمه ولا يبرح ، وخذ بيد خصمه واقعه لي ، ومر الجارية فلنقه ماء " ، ففعل الغلام ما أمره به ، فخرج أبو العباس مفضبا حتى دخل على أخيه أفلح فلما رآه ، قال له : " مالك وما عراك ؟ " ، قال : " نزل بي من هذا المُؤَاوِي الشرس الجاني ما لم يبول بأحد " ،

(١) إن هذه الصفات السامية التي اتصف بها الشيخ مُحْكَمَ ليست غريبة على الإباضية وما يتصفون به من خوف وورع وسلاح ، من ذلك مثلا قصة أبي عبيدة عبد الحميد الجنائني الذي عينه الإمام عبد الوهاب واليا على جبل نفوسة ، فتردد في قبول المنصب وقال : " أنا ضعيف أنا ضعيف قلت أقدر على القيام بأمور المسلمين " ، فاصر الإمام عليه ، فاستشار عبوزا معروفة بالمعلم والأدب ... الخ القصة ، وهناك نماذج أخرى كثيرة على تواضع وزهد علماء الإباضية (نظر : أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٢٢-١٢٥ - الدرر جيني ، طبقات المشايخ ، ٧١-٧٠) .
(٢) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرسميين ، ص ٥٩ - السملاني ، السير ، ١٦٨/١ .

فقص عليه القصة ، فقال له الإمام أفلح : * يا أبا العباس قد كنت أعلمتك بهذا من قبل ، والصواب ما فعل والحق أولى أن يؤثر ، ولو فعل غير هذا لكان مدهانا * ، فوصل خير ما فعل الشيخ مُحَكَّم إلى علماء تَهَيَّرت فسروا بذلك واعجبوا به ^(١) .

والظاهر أن الشيخ مُحَكَّم استمر في منصب القضاء طوال عهد الإمام أفلح ، حيث لا تذكر المصادر قاضيا غيره ، وأما عهد الإمام أبي بكر (حكم ٢٥٨هـ / ٨٧١م - ٢٦١هـ / ٨٧٤م) الذي خلف الإمام أفلح ليرى د/ إبراهيم بنماز أن أبا القبطان بن أفلح أخا الإمام أبي بكر تولى مهام القضاء وربما يكون قاضي المظالم ^(٢) ، والذي يظهر أنه كان يوجد قضاة في تَهَيَّرت في عهد أبي بكر إلا أن المصادر لا تذكر أسماءهم ، فنجد ابن الصغير يشير إلى وجود القضاة في سياق حديثه حيث يقول : * وكان أبو القبطان يركب إلى أعلى مسجد في المدينة فيجلس فيه ، فمن تكلم إليه من الناس بين العمال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا وأجرى الحق على من رضي وسخط وعظم قدره أو صغر ^(٣) .

الذي يظهر أن أبا بكر كلف أخاه بشؤون الحكم في تَهَيَّرت فكان حاكما أكثر منه قاضيا ، ويظهر ذلك من كلام ابن الصغير حيث يقول : * ... وكان أبو بكر يجب اللذات ويميل إلى الشهوات لصراف النظر في المدينة وأحوازها إلى أخيه أبي القبطان ... ^(٤) .

وبعد أن استلم الإمامة أبو القبطان (حكم ٢٦١هـ / ٨٧٤م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م) عين أبا عبد الله محمد بن عبد الله قاضيا على تَهَيَّرت ، ثم عين شعيب بن مدمان بعد استقالة أبي عبد الله من القضاء ^(٥) .

ولما يتعلق بوفاة الشيخ مُحَكَّم فإن المصادر لا تذكر شيئا يفيد بهذا الخصوص ، إلا أننا نلاحظ أن المصادر لا تذكره في الأحداث التاريخية بعد وفاة الإمام أفلح (ت : ٢٥٨هـ / ٨٧١م) فهل تولى في نفس الفترة ؟ أم هل اعتزل القضاء وعاد إلى أوراس بعد وفاة الإمام أفلح ؟ الله أعلم .

^(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرسميين ، ص ٥٩ - ٦١ - للشماخي ، السير ، ص ١٦٨ .

^(٢) بحاز ، القضاء في المغرب ، ص ٤٩٠ .

^(٣) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٧٣ .

^(٤) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .

^(٥) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٨٨ ، ٩٠ - بحاز ، مصدر سابق ، ص ٤٩٠ .

(٤)

العلامة هُودُ بنُ مُحَكَّمِ الهُوَّارِي
مُفَسِّرُ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ

الشيخ العلامة المُفسر هُوْدُ بْنُ مُحَكَّمِ الْهُوَارِيِّ^(١)

هو الشيخ العلامة المفسر هُوْدُ بْنُ مُحَكَّمِ بْنِ هُوْدِ الْهُوَارِيِّ^(٢)، وقد اكتفت جميع المصادر التي ولقت عليها بذكر اسمه واسم أبيه وقبيلته، إلا ما وجدته من ذكر اسم جده (هود) في مقدمة تفسير كتاب الله العزيز من قبل محققه الباحث الأستاذ بالحاج شريف، حيث ذكر أنه نقل ذلك عن الشيخ علي مجي معمر في رسالة خاصة كتب لها إليه الشيخ علي مجي معمر من دون أن يذكر المصدر الذي اعتمد عليه، وذكر أن المعهد بالشيخ علي معمر استقاءه معلوماته من مصادر موثوق بها، وهو كذلك؛ وأضاف أنه بهذا يكون الشيخ مُحَكَّمُ الْهُوَارِيِّ سمي ابنه هودا باسم أبيه، وهذا ما مجده كثيرا في الأنساب^(٣).

ويُنسب الشيخ هود إلى قبيلة (الهُوَارِيَّة) وهي من قبائل البرانس البربرية^(٤)، وأما موطن الشيخ هود فهو جبل (أوراس) شرق الجزائر^(٥).

هذا ولم تحدد المصادر العام الذي ولد فيه الشيخ هود، ولكن يقدر أنه ولد في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث الهجري (٢٠٠هـ / ٨١٥م - ٢٢٠هـ / ٨٣٥م)^(٦).

^(١) نشر هذا البحث سابقا في:

جريدة الوطن، سلطنة عمان، الجمعة ١٥ من ربيع الثاني ١٤٢٥هـ / ٤ من يونيو ٢٠٠٤م، العدد (٧٦٦٦)، السنة ٢٤، على هذه الصلة:

<http://www.alwatan.com/graphics/2004/06jun/9.1/dailyhtml/deen.html>

موقع الأمل المشرق (www.alaml.net).

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhayah.net).

موقع الشبكة العمانية، سبله الدين، (www.omania.net).

^(٢) الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، ٨/١ - للبرادي، الجواهر المنققة (مخ)، ص٢١٩ - للدرجيني، طبقات المشايخ، ٣٤٥/٢ - ٣٩٨ - ٣٩٩. الشماسي، السير، ٥٩/٢ - بحاز وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ٤٤٢/٢، رقم الترجمة: ٩٦١ - الشيباني، الإنتاج الإباضي في علم التفسير، الحلقة (١٣)، ص١.

^(٣) الهواري، مصدر سابق، ٨/١ الهامش.

^(٤) لمزيد تفصيل عن قبيلة الهواري انظر مقال (قلنسي تبهرت) للمقال رقم (٢) من هذا الكتاب.

^(٥) لمزيد تفصيل عن جبل أوراس انظر مقال (قلنسي تبهرت) للمقال رقم (٢) من هذا الكتاب.

^(٦) الهواري، مصدر سابق، ١٢/١ - بحاز وآخرون، مصدر سابق، ٤٤٢/٢، رقم الترجمة: ٩٦١ - سليمان داود بن يوسف، مصاحفة علماء الإباضية في علم التفسير والحديث والفقه والبيان، مطبعة أبو داود، ١٩٩٢م، ص٢٥ - عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١: ٢٠٠١م، ص١٢٢ - الشيباني، مصدر سابق، الحلقة (١٣)، ص١.

ووالد مفسرنا هو الشيخ مُحَكَّم بن هود المُوَارِي ، كان عالما جليلا ، وقاضيا فحلا ، عينه الإمام المُلح قاضيا على تَبَهَّرَت عاصمة الدولة الرستمية ، وقد تناولنا الحديث عنه بالتفصيل في المقال رقم (٣) من هذا الكتاب .

وقد خلط بعض الباحثين بين الشيخ هود ووالده ، فوجد الشيخ الجعيري يذكر أن هودا هو قاضي الإمام عبد الوهاب ^(١) ، والصحيح أن مُحَكَّمًا هو القاضي ، وكذلك هو ليس قاضيا للإمام عبد الوهاب كما يذكر الشيخ الجعيري بل لابنه الإمام المُلح ، ونجد الشيخ سليمان بن يوسف يذكر كذلك أنه كان قاضيا للإمام عبد الوهاب ^(٢) ، ووقع أصحاب المعجم في هذا التناقض فنجدهم في ترجمة الشيخ هود يذكرون أن الشيخ مُحَكَّمًا كان قاضيا للإمام عبد الوهاب ، وفي ترجمتهم للشيخ مُحَكَّم يذكرون أنه كان قاضيا للإمام المُلح ^(٣) .

في أحضان هذا العالم الجليل والقاضي الفحل تربى مفسرنا ، فوضع لبانة العلم منذ نعومة أظفاره ، فالظاهر أنه أخذ العلم أول ما أخذ على يد والده الشيخ مُحَكَّم ، يقول الشيخ علي يحيى معمر : * وَوَلَدَ مُحَكَّمًا وَلَدًا صَاهُ هُودَا ، رَبَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَنْشَأَهُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَدَرَبَهُ عَلَى الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ صَفَرِهِ ، فَاسْتَمَرَ فِي الدِّرَاسَةِ حَتَّى أَصْبَحَ عُلَمَاءَ مِنَ الْأَعْلَامِ ... * ^(٤) ، وهذا ما مال إليه الباحث شريفي حيث قال : * ... والذي يبدو لنا أنه يكون قد أخذ العلم أولا في مراتع طفولته ومرابع صباه عن والده ، بعد حفظه لكتاب الله ... * ^(٥) ، وكذلك نجد أصحاب المعجم يذهبون إلى ذلك ^(٦) .

والظاهر أنه استمر فترة ليست بالقصيرة في بلده - كما يرى الباحث بالحاج شريفي - يخفق في مجالس العلم وحلقات الدروس التي كانت تعقد بالمساجد في القرى الجبلية أو في البوادي تحت الحيام ^(٧) ، وهذا ما مال إليه الباحث سلطان الشيباني كذلك ^(٨) .

^(١) الجعيري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، ص ١٤٤ - فرحات الجعيري ، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة ، المعهد القومي للآثار والتفنون ، المكتبة التاريخية ، تونس ، ١٩٧٥م ، ص ٢٧٢ .

^(٢) سليمان داود ، حلقت من تاريخ المغرب الإسلامي ، ص ١٥٨ .

^(٣) بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٣٥٥/٢ ، رقم للترجمة : ٧٧٢ ، ٤٤٣/٢ ، رقم للترجمة : ٩٦١ .

^(٤) مصر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الثالث : الحلقة (٤) ، ص ١٤٣ .

^(٥) الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ١٣/١ .

^(٦) بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ٣٥٥/٢ ، رقم للترجمة : ٧٧٢ ، ٤٤٣/٢ ، رقم للترجمة : ٩٦١ .

^(٧) الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٣) ، ص ١ .

وقد ذهب الباحث شريفى إلى عدم استبعاد كون الشيخ هود هاجر إلى القبروان وتَهَيَّرت لطلب العلم ، فوجود هذين المركزين جدير بأن يشد انتباه طالب العلم الناشئ الطموح ، وأن يستحث همة فئوي وجهه شطريهما لينهل منهما ما يشبع فمه العلمي ، ويروي ظمأه للمعرفة⁽¹⁾ ؛ إذا فعلل الشيخ هودا تتلمذ على يد الإمام الفلح وعلماء تَهَيَّرت في أثناء وجود أبيه في منصب القضاء .

هذا وقد ذهب الباحث سلطان الشيباني كذلك إلى عدم استبعاد كون الشيخ هود في أواخر حياته قد رحل إلى الأندلس ، وقرأ على مشايخها وتلمذ عليهم ، وقد استند في ذلك إلى ما ذكره قطب الأئمة في رده على العقبي حيث قال : " وإن لم تعرف الإباضية فقد عرفهم الأندلسيون إذ لرا فيهم الشيخ هود الهواري ، وقال له شيخه : لا يقبل الله ديناً يخالف ما أنت عليه " ، وقد نفرد الإمام القطب بهذه المعلومة ولم يشر إلى مصدرها ، كما يذكر الشيباني⁽²⁾ .

إذا وبعد هذه الرحلة الطويلة التي قضاها الشيخ هود في طلب العلم عاد إلى موطنه أوراس محملاً بالعلم ، فلمع اسمه بين العلماء ، وأصبح محط الأنظار ، وكمة يقصدها طلاب العلم خاصة ليقبسوا جذوة من علومه ، والناس عامة ليلقوا منه التوجيهات الرشيدة والرأي السديد والحل المرضي لمشاكلهم ، فيقتضي كل من قصده مأربه وينال بغيته⁽³⁾ .

ولقد بلغ الشيخ هود من المولة والرفعة شأواً بعيداً ، فها هو الشيخ الشماخي يصفه قائلاً : " ومنهم هود بن محكم الهواري ... وهو عالم متفنن غائص ، وهو صاحب التفسير المعروف ، وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب ، بل على طريقة المتقدمين " ⁽⁴⁾ .

وما يدل على المولة الرفيعة التي حظي بها الشيخ هود تلك القصة التي يرويها الشيخ أبو زكرياء في سيره حيث قال : " وذكر الشيخ ميمون بن حمودي أن هود بن محكم الهواري جاءه رجل من العزابة يستعين به على مايفك كتباً له مرهونة عند رجل من الثَّكَّار في حُمة ذنانير ، فدعا

⁽¹⁾ الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ١٤/١ .

⁽²⁾ الهواري ، مصدر سابق ، ١٤/١ .

⁽³⁾ الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٣) ، ص ١ .

⁽⁴⁾ الهواري ، مصدر سابق ، ١٦/١ .

⁽⁵⁾ الشماخي ، السير ، ٥٩/٢ .

هود بن محمك رجلا فقال له : سر مع هذا الرجل إلى مواطن مَرَاتَة ، لجناعهم وأخبرهم القصة ، وتسارعوا فيما يصنعون له ، ويجمعون له من الأموال ، فبسطوا بساطا ، فطلق الرجال والنساء يرمون فيه الدنانير والدرهم وما أمكن كل واحد منهم ، فجمع من ذلك مالا كثيرا ، فلما أطراف البساط لرفوه ، فأتوا به هود بن محمك ، فعمد الرجل صاحب الكتب إلى الخمسة دنانير فأخذها وترك الباقي ، فقال هود : أنت أولى به يا شيخ ، فإن المؤونة عليك كبيرة ممن يقصدونك ويعتروك * (١) ، ولجد اللرجيني يذكر نفس هذه القصة (٢) .

ونستج من خلال هذه القصة عدة أمور ، منها فضل علمنا ومولته بين قومه ، ومركزه بين أفراد قبيلة (هُوَاة) ، وعظيم مولته في قبيلة (مَرَاتَة) الجبارة ، ونستج كذلك أنه أصبح مقصدا لكل مكروب ومهموم لفك كربته ويزيل هم ، ونستج أيضا أنه يؤمه الكثير من الناس والزوار وطلاب العلم ، وذلك من قول الرجل للشيخ هود : " إن المؤونة عليك كبيرة ممن يقصدونك ويعتروك " ، فلا يستعد أن يكون قد أسس مدرسة عظيمة يؤمها طلاب العلم بل ويقومون عنده يعتمدون عليه في مآكلهم ومسكنهم ، وقد كان هذا الشائع في المغرب في تلك القرون والله أعلم .

هذا وقد يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال حول هذه القصة ، وهو كيف يمكن أن نعلم استخدام ميمون بن حودي لمصطلح (العزابة) ؟ ، حيث إنسه من المعلوم أن مصطلح (العزابة) و(العزابي) (٣) ظهر بعد قرن من عهد الشيخ هود ، أي في القرن الرابع الهجري ، في عهد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر (ت : ٤٤٠هـ / ١٠٤٨ م) المؤسس لنظام (العزابة) (٤) .

(١) يحيى بن أبي بكر أبو زكرياء ، كتاب السيرة ولخبر الأئمة ، تخ : عبد الرحمن أيوب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٣١٠ .

(٢) اللرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٩٩-٣٩٨/٢ .

(٣) (العزابة) جمع (عزاب) ينتج العين ، مأخوذ من عزب عن أهله انترذ عنهم ، ستوا بذلك لانقطاعهم إلى الله بالاشتغال بأمر دينهم وطلب العلم والزهدي في الدنيا وزخرفها ، وليس المقصود بالمصطلح عدم الزواج كما ذهب المستشرق روهنوكسي في تفسيره لهذا المصطلح ، إذ إن (العزابة) يتزوجون ويكونون الأسر الناجحة كما هو معلوم من سيرتهم وواقعهم . انظر : محمد ناسر ، منهج الدعوة ، ص ٢٧٤-بحاز إبراهيم بكير ، محاضرة نظام العزابة وأثره في المجتمع العزابي ، شريط سمعي ، ألقاه في مطبنة عمان ولإية السويق ، الأربعاء ٤ من محرم ١٤٢٥هـ / ٢٥ فبراير ٢٠٠٤م ، وقد نشرت هذه المحاضرة في الشبكة الصانبة (سيلة الدين) على هذا الرابط :

<http://www.omania.net/avb/showthread.php?t=123220&page=1>

(٤) اللرجيني ، مصدر سابق ، ١٦٧/١-بحاز وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ٣٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٨٠٣ .

حول هذا الجانب يرى د/ إبراهيم بخاز أن مصطلح (الفَرْابَة) ظهر بعد عهد أبي بكر محمد بن عبد الله ، إذ إن هذا النظام في عهد مؤسسه كان يعرف بنظام (الحلقة) ، ثم تطور إلى نظام (الفَرْابَة) ^(١) ، ويرى أن ورود هذا المصطلح في بعض المصادر المتقدمة - كما هو الحال مع هذه القصة عند أبي زكرياء - ربما يعود إلى تصرف من قبل المؤلفين أو من قبل النساخ ؛ وهناك من يرى أن مصطلح (الفَرْابَة) كان متداولاً في الوسط الإباضي قبل تقعيد أبي عبد الله لقواعده ، وكان يستخدم للتفريق بين الإباضية والثَّكْر ، وعلى هذا الرأي الباحث سلطان الشيباني ^(٢) ، إلا أن د/ بخاز يستبعد ذلك ويرى أن الأمر يحتاج إلى مزيد بحث .

ولما يخص نسبةً في الدين وشيوخه الذين جلس إليهم وأخذ عنهم ، فإن المصادر لا تسعف بما يفيد أو يذكر اسم أحد منهم إذا استثنينا أباه محكما ، وكذلك الأمر بالنسبة لتلاميذه الذين تلقوا عنه العلم أو تربوا على يديه ، ولقد حاول الباحث شريف جاهد أن يجد إشارة إلى بعض شيوخه في ليايا تفسيره فلم يعثر على أي واحد منهم ^(٣) .

وكذلك نجد المصادر صامتة فيما يتعلق بتاريخ وفاته ، ويقدر الباحث شريف أنها كانت في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثالث الهجري ، أي حوالي سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م ، حيث إن كل من ذكره من المؤرخين وكتب السير يؤكد أنه من علماء الطبقة السادسة (٢٥٠هـ / ٨٦٤م - ٣٠٠هـ / ٩١٢م) ، فهل أدرك نهاية الدولة الرسمية سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ؟ يقول الأستاذ شريف : " أنا أستبعد ذلك ، ولكن لا أستطيع أن أجزم بشيء في الموضوع " ^(٤) ، وعلى العموم إن لم يكن أدرك سقوط الدولة الرسمية فإنه عاش في أواخرها والله أعلم .

هذا وقد ترك لنا الشيخ هود - رحمه الله - تفسيراً جليلاً كاملاً للقرآن الكريم ، حفظته يد القدر من الضياع والانقراض عنونه بـ (تفسير كتاب الله العزيز) ، ولقد قام الأستاذ الباحث

(١) مناقشة علمية عبر الهاتف مع د/ بخاز إبراهيم بكير ، السبت ٢٥ من ربيع الأول ١٤٢٥هـ / ١٥ من مايو ٢٠٠٤م .

(٢) مناقشة علمية عبر الهاتف مع الأستاذ سلطان بن مبارك الشيباني ، ربيع الأول ١٤٢٥هـ / مايو ٢٠٠٤م .

(٣) الهوارى ، تفسير كتاب الله العزيز ، ١٧/١ - الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، للحلقة (١٣) ، ص ٢ .

(٤) الهوارى ، مصدر سابق ، ١٧/١ - ١٨ - الشيباني ، مصدر سابق ، الحلقة (١٣) ، ص ٢ .

بالحاج بن سعيد شريقي بتحقيق هذا السفر الثمين ، فظل يعمل فيه لما يقارب من عشرين سنة ، وقد طبع في أربعة مجلدات بدار الغرب الإسلامي .

ولقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرناً نسبياً مغموراً إلى أن ظهرت مخطوطاته المنفرقة في بعض الجزائر الخاصة ، موجودة في مدن وادي ميزاب بالجزائر ، وجزيرة جربة بتونس^(١) .

ويجد أن المصادر الإباضية المتقدمة أشارت إلى هذا التفسير قبل أن يتم اكتشافه ، فقد أشار إليه أبو زكرياء (ق : ٥٥ هـ) في سيره حيث قال : " وذكر أن رجلين اختصما على تفسير هود بن محمك الهواري حتى بلغ تشاجرهما قبيلتهما ، وحتى كادت الثورة تقوم بينهم ، وتصاف الفريقان ، وكاد الشرىق بينهم ، فلما رأى ذلك أبو محمد جمال ، نزع المصحف (التفسير) من بينهم ، فقسمه لصفين ، فوافق قرطاسا بين الصنفين لم يكتب ، وأعطى لكل نصفاً ، وزال الشر واصطلحوا " (٢) .

وكذلك نجد الدرّجيني (ق : ٧٧ هـ) أشار إليه ، فذكر هذه القصة وزاد بتفصيل أكثر وزاد عليها أن الشيخ أبا محمد جمال قال لهما : من شاء منكما الآن إكمال الكتاب فليسخ نصف الذي لاته (٣) .

وذكره البرادي (ق : ٩٠ هـ) في جواهره حيث قال : " ومن تأليف أصحابنا أهل المغرب التفسير الذي لهُود بن محمك الهواري في سفرين كبيرين " (٤) ولم يذكر هل رآه أم لم يره ، والراجع أنه رآه لأنه عادة يشير إلى الكتب التي لم يرها كقوله مثلاً : " وكتاب الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف في الكلام مجلدان الأول والثاني ، لم ألف على الأول " ، وكقوله مثلاً : " ويذكرون كتاب أبي عمران موسى بن أبي زكريا ولم ألف عليه " (٥) .

وكذلك ذكره الشماخي (ق : ١٠٠ هـ) في سيره ، وقد ذكر القصتين اللتين ذكرهما أبو زكرياء والدرّجيني ، والظاهر أن الشماخي وقف على التفسير واطلع على معناه حيث قال كما مر علينا سابقاً : " ومنهم هود بن محمك الهواري ... وهو عالم مفضل غائص ، وهو صاحب التفسير

(١) الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ٥/١ .

(٢) أبو زكرياء ، كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، نج : عبد الرحمن أيوب ، ص ٣٥٩ .

(٣) الدرّجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٤٥/٢ - ٣٤٦ .

(٤) البرادي ، للجواهر المنتقلة ، ص ٢١٩ .

(٥) البرادي ، مصدر سابق ، ص ٢٢٠ .

المعروف ، وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب ، بل على طريقة المتقدمين ^(١) .

هذا وإن أقدم نسخه المخطوطة تعود إلى القرن ١١هـ ، وللشيخ محمد بن عمر بن أبي سة الغنشي (ق : ١١هـ) حاشية على تفسير الشيخ هود لم يتمها ، ورجع إليه الشيخ إبراهيم بن بختمان في تفسيره (ق : ١٣هـ) ، وكذلك قطب الأئمة محمد اطفيش (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) في (تيسير التفسير) وفي (هيمان الزاد) وفي (شرح النيل) ، وكذلك الشيخ صالح لملي (ق : ١٤هـ) في تفسيره (القول الوجيز) ^(٢) ، وذكره الإسماعيلي (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) في (اللمعة المرضية) ^(٣) ، وذكره الشيخ أبو إسحاق اطفيش في تقديمه لكتاب (الوضع) للشيخ الجبائري ^(٤) ، وذكره د/ محمد حسين الذهبي (ت : ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) في كتابه (التفسير والمفسرون) ^(٥) ، وذكره الشيخ سليمان بن يوسف (ت : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) في كتابه (حلقات من تاريخ المغرب) (ومساهمة علماء الإباضية) ^(٦) ، وأشار إليه د/ عمرو النامي في كتابه (دراسات عن الإباضية) ^(٧) ، وذكره صالح باجيه في كتابه (الإباضية بالجريد) ^(٨) ، وذكره د/ بجاز في كتابه (الدولة الرستمية) ^(٩) ، وذكره الباحث الأستاذ علي أكبر ضيائي في كتابه (معجم مصادر الإباضية) ^(١٠) ، وغيرهم من الباحثين المعاصرين .

(١) الشماخي ، السير ، ٥٩/٢ .

(٢) النشيطي ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٣) ، ص ٢ .

(٣) عبد الله بن حميد المالبي ، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ، وزارة التراث والثقافة ، مطبعة عمان ، ط ٢ : ١٩٨٢م ، ص ١٩ .

(٤) يحيى بن أبي الخير الجنائوني ، كتاب الوضع ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، مطبعة عمان ، ط ٢ ، ص ١٠ - ١١ مقمة الفيوخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش .

(٥) نشيطي ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٢) ، ص ٢ .

(٦) سليمان بن يوسف ، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي ، ص ١٥٨ - ١٥٩ مطمان بن يوسف ، مساهمة علماء الإباضية ، ص ٢٥ .

(٧) النامي ، دراسات عن الإباضية ، ص ١٢٢ .

(٨) صالح باجيه ، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى ، دار بوسلامة ، تونس ، ط ١ : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٥٥ .

(٩) بجاز ، الدولة الرستمية ، جمعية التراث ، ص ٣٠١ .

(١٠) علي أكبر ضيائي ، معجم مصادر الإباضية ، مؤسسة الهدى ، طهران ، إيران ، ط ٢ : ١٤٢٤هـ ، ص ٢٠١ .

ولقد حاول عدد من أهل العلم التصدي لطباعة هذا السفر الثمين بعد اكتشافه ، والظاهر أن محاولاتهم لم يكتب لها النجاح إلى أن يسر الله تعالى خروجه إلى النور على يد الأستاذ بالحاج شرفي وطبع طبعته الأولى في سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م بدار الغرب الإسلامي كما ذكرنا في أربعة مجلدات ضخام .

ومن حاول طباعته الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش في منفاه بمصر ^(١) ، فظلت إحدى مخطوطاته معه لسنوات عديدة ، ولما تعذر تحقيقها وطباعتها رجع لها الشيخ ناصر المرموري إلى مدينة (القرارة) بجيزاب سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ^(٢) .

وكذلك حاول الشيخ سليمان بن يوسف طباعته ، إلا أنه كذلك لم يوفق ، والذي يظهر أن الشيخ سليمان بن يوسف هو من اكتشف مخطوطات تفسير هود بن مُحَكَّم ، أو من اكتشف بعض مخطوطاته ، حيث يقول : " ... والحمد لله أنني وجدت نسخة من هذا التفسير [يعني تفسير هود بن مُحَكَّم] في خزنة جدي الشيخ أحمد بن أيوب كتب في آخرها " جلت في البلاد كثيرا بحثا عن التفسير فوجدت نسخة ببلد أريغ ممرشة فصبت في نسخها ولا تزال تحتاج إلى تصحيح أرجو ممن تمكن أن يزيد ؛ أن يزيد في تصحيحها وله الأجر " فعزمت أنا على تقديم هذا التفسير الجليل للطباعة فوجدت جزءا في خزنة قطب الأئمة الشيخ اطفيش ، وجزئين في خزنة الشيخ بلحاج بالقرارة ، وجزءا بنوس ، نسأل الله أن يوفقنا لطبعه ونشره " ^(٣) .

وهذا ليس بغريب على الشيخ سليمان بن يوسف وهو الذي كلفه رئيس جمهورية الجزائر هواري بومدين ^(٤) مهمة التقيب عن المخطوطات الجزائرية بالحاج ، فخلص في بحثه الذي عرضه

^(١) نفاه الاستعمار الفرنسي الغاشم للجزائر ، فكان ذلك النبي خيرا له ولتضحية الجزائر والمغرب ، إذ كان له دور كبير في تعريف العالم بما يحدث في الجزائر من انتهاك وقهر من قبل الاستعمار على شعوب تلك المنطقة ، وقد توفي رحمه الله في منفاه بمصر في سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، بسبب اشتداد مرض (البروستاتا) عليه (انظر : محمد ناصر ، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي ، مكتبة الضامري ، السبب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٩-٢٠ ، ٢٦) .

^(٢) الشيباني ، مصدر سابق ، الحلقة (١٢) ، ص ٢ .

^(٣) سليمان بن يوسف ، حلقت من تاريخ المغرب الإسلامي ، ص ١٥٨-١٥٩ سليمان بن يوسف ، مساهمة علماء الإباضية ، ص ٢٥ .

^(٤) اسمه الحقيقي بوخرورية محمد إبراهيم ، واشتهر باسم هواري بومدين ، ولد في سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م بقرية بني عدي على بعد ١٥ كلم من مدينة قلعة بالجزائر من عائلة ريفية فقيرة ، في عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م قاد انقلابا على الرئيس الجزائري أحمد بن بلة فأودعه السجن وتولى الرئاسة ، وكان قبل ذلك يشغل منصب وزير الدفاع ، توفي =

على الرئاسة آنذاك إلى ثروات عظيمة من المخطوطات الجزائية بتعيين محتواها ومؤلفيها والمكتبات الأوروبية التي توجد فيها^(١) ، والحقيقة أن الأستاذ شريقي لم يشر إلى الشخص أو الأشخاص الذين كانت لهم اليد البيضاء في اكتشاف مخطوطات هذا السفر الجليل .

وقد وهم البعض وظن أن تفسير هود بن مُحَكَّم ناقص ، ومن وهم د/ محمد حسين النُّهَيْي حيث جاء بمعلومات ناقصة جدا وأحكام مجانبة للحق والصواب في كتابه (التفسير والمفسرون) حول تفسير هود بن مُحَكَّم^(٢) ، والعجيب أن الشيخ فرحات الجعيري كذلك ظن أن الشيخ هودا تولى قبل أن يتم تفسير القرآن كاملا ، وأنه وصل إلى الآية (٢٣٨) من سورة البقرة^(٣) ، والصحيح أن تفسير الشيخ هود بن مُحَكَّم كامل غير ناقص ، وإنما الناقص هو الحاشية التي وضعها الشيخ أبو ستة على تفسير الشيخ هود ولم يتمها كما ذكر الأستاذ شريقي فوق الخلط والوهم عند بعض الباحثين^(٤) .

وأخيرا وقبل الختام ينبغي التنبيه أن تفسير الشيخ هود بن مُحَكَّم إنما هو عبارة عن اختصار لتفسير آخر سبقه بقرن من الزمان ، وهو تفسير يحيى بن سلام البصري (ت : ٢٠٠هـ / ٨١٥ م) ، وقام الشيخ هود بالزيادة عليه وإبراز آراء الإباضية في بعض القضايا ، وتذكر المصادر أن ابن سلام هاجر إلى القَيْرَوَان وأخذ الناس عنه تفسيره ومنهم ابنه محمد وتلميذه أبو داود العطار ، فليذكر الأستاذ شريقي أنه ربما يكون الشيخ هود هاجر إلى القَيْرَوَان وأخذ تفسير ابن سلام مباشرة عن محمد بن يحيى بن سلام ، أو ربما يكون أخذه عن أبي داود العطار^(٥) .

وتكمن القيمة العلمية لتفسير الشيخ هود بن مُحَكَّم - كما يرى الأستاذ شريقي - أن الشيخ هودا تعقب ابن سلام في القضايا التي تتعارض مع العقيدة الصحيحة ، فبين الصواب ولم يأخذ تفسير ابن سلام على علته وهنائه ، وكذلك فإن تفسير الشيخ هود يعد بحق أول مختصر لتفسير

= إثر مرض مفاجئ في سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م . انظر : هواري بومدين أكبر مساند لجبهة البوليساريو في الصحرائين ، موقع قناة الجزيرة على هذا الرابط :

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9CEC1C1D-E1٧٥-٤ACT-١D٤٨-EB٧FE8BBFDCA.htm>

(١) بحاز وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ٢٠١٢ ، رقم الترجمة : ٤٤٦ .

(٢) الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ٢١/١ .

(٣) الجعيري ، نظام العزاية ، ص ٢٧٢ .

(٤) الهواري ، مصدر سابق ، ٢١/١ .

(٥) الهواري ، مصدر سابق ، ٣٢/١ .

ابن سلام ، وقد حاول ابن أبي زمنين (ت : ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م) اختصار تفسير ابن سلام فألف مختصراً عنونه بـ (مختصر تفسير ابن سلام) ، إلا أن الشيخ هودا مقدم عليه وأقرب إلى عهد ابن سلام ، أضاف إلى ذلك أن تفسير الشيخ هودا أكبر حجماً وأغزر مادة وأكثر فائدة من تفسير ابن أبي زمنين ، وكذلك فإن الشيخ هودا ساهم في حفظ الصورة الكاملة أو القريبة من الكمال لتفسير ابن سلام ، حيث إن مخطوطات تفسير هذا الأخير لا تزال ناقصة^(١) .

ومما يلاحظ على تفسير الشيخ هودا أنه يروي في بعض الحالات أسباب الروول ، ويعتمد على الأحاديث النبوية ، وكثيراً ما يشير إلى مصادره كروايات ابن عباس ومولاه عكرمة وابن الكلبي ومجاهد وغيرهم ، ولم يتبع هودا في تفسيره طريقة النقل فقط ، بل كثيراً ما كان يسوق الرواية ليفيها نفاً قاطعاً ، واهتم خاصة باستخراج معاني الآيات وما تضمنته من حكم وأحكام^(٢) .

ولقد كنت أود تسليط الضوء أكثر على هذا التفسير الجليل إلا أن الأستاذ بالحاج شريقي محقق تفسير الشيخ هودا ، والباحث سلطان الشيباني في سلسلته الرائعة (الإنتاج الإباضي في علم التفسير) والتي نشرت تباعاً في جريدة الوطن بسلطنة عمان ، أتسا بما لا مزيد عليه ، وكما يقال : لا عطر بعد عروس .

(١) الجهوري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ٣٤/١ ، ٣٨ .
(٢) بحار ، الدولة الرسومية ، ص ٣٠١ .

(٥)

العلامة عمرو بن فتح النفوسي

قصة إمام

العلامة عمرو بن فتح النفوسي (قصة إمام)^(١)

إمام جليل من أئمة الدين ، وعلم عظيم من أعلام الإسلام ، نشأ وترعرع في مكان بعيد ناء ، وضع العلم منذ نعومة أظفاره فبز أقرانه حتى أصبح أعلم أهل زمانه بشهادة علماء عصره ، بلغت شهرته الآفاق ، وترك العديد من المؤلفات ، كان فارساً في ميدان العلم لا يشق له غبار وكذا كان يجتهد الأبطال في ميدان الجهاد ، جاهد في سبيل ربه حتى نال ما يمتناه كل مؤمن حق الإيمان ، كان منظاراً بارعاً نافع عن عقيدة الإسلام ، وكان قاضياً عادلاً حكم بشرع الله ، كان مؤمناً بالله حق الإيمان والقا به حق الثقة لا يخاف في جنب الله لومة لائم ...

لمن هو هذا الإمام الفارس ؟ وأين نشأ ؟ وكيف كانت سيرته ؟

إنه الشيخ العالم العلامة إمام عصره وأعلم أهل زمانه عمرو بن فتح المساكني النفوسي ، ويكنى بأبي حفص^(٢) ، ولقب بالمسكني لأنه من أهل قرية (مسكن) الواقعة بجبل نفوسة^(٣) ، ولقب بالنفوسي لأن نسبه ينتمي إلى قبيلة (نفوسة) البربرية ، التي نسب الجبل الغربي لطرائس إليها في ليبيا^(٤) .

ذكر بعض الباحثين أن الشيخ عمرو ولد في قافلة كانت متوجهة إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج ، مما اضطر أمه إلى العودة به وعدم مواصلة الطريق^(٥) ، ولما يتعلق بسنة مولده

^(١) نشر هذا البحث سابقاً في :

موقع الأمل المشرق (www.alami.net) .

موقع الشبكة العنانية ، مجلة الدين ، (www.omania.net) .

وكتك لي مقال مختصر حول الشيخ عمرو تحت عنوان : (الشيخ المجاهد عمرو بن فتح) ، نشر في جريدة الوطن السمانية ، الجمعة ٤ من محرم ١٤٢٤هـ / ٧ من مارس ٢٠٠٢م ، العدد (٧١٧٣) ، السنة ٣٣ .

^(٢) تفرين بن محمد البظهوري ، كتاب سير أهل نفوسة ، (مع) ، ص ٩٢ . أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر لمنة (مع) ، ص ٢١٩ - عمرو بن فتح النفوسي ، أصول الدينونة الصافية ، تح : أحمد حمو كزوم ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ١١٠ - جنار بن قس وعبد القاهر بن خلف ، أجوبة علماء الزن ، تح : عمرو خليفة النامي ، مطابع دار البحث ، فسنطونة ، الجزائر ، ص ٢٠ - الرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٢٠/٢ - الشماخي ، السير ، ١٩٦/١ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٣٢١/٢ ، رقم الترجمة : ٦٩٠ .

^(٣) البظهوري ، مصدر سابق ، ص ٩٢ .

^(٤) عمرو ، مصدر سابق ، ص ١٢ - محمد بن عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٣٤/٦ .

^(٥) عمرو ، مصدر سابق ، ص ١١ - إسماعيل بن موسى الجبيلي ، كتاب قواعد الإسلام ، ج ١ ، ت : بكلي عبد الرحمن بن عمر ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٢ وانظر كذلك : قواعد الإسلام ، تح : بشير بن موسى الحاج موسى ، ج ١ ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، ط ١ : ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م =

لأخيرة أن ما إشكال كبير لا يسع المقام لسطها هنا ، وقد ناقشتها باستفاضة في كتابي (الشيخ عمروس ومنهجه) ، وقد خلصت إلى احتمال مولده في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م تقريبا ^(١) .

نشأ الشيخ عمروس في قرية (قَطْرُس) من جبل نُفُوسَة ^(٢) ، ويحتمل أنه نشأ ببيما ، وذلك أن أمه لما حضرتها الوفاة ، كتبت وصيتها وأشهدت عليها ، ولما سئلت عن مكانه لإنفاذها ، أشارت إلى الشيخ عمروس وهو في المهد لإنفاذها ؛ فلما كان أبوه حيا لأرقلت تنفيذ الوصية إليه بدلا من طفل لا يزال في المهد ^(٣) .

ولكن في المقابل قد يكون والده حيا في تلك الفترة ، حيث إنه يصح أن يُستخلف الطفل لإنفاذ الوصية مع وجود أبيه أو خليفته ، جاء في شرح النيل : * ولا ينفذها [أي الوصية] أبو الطفل أو خليفته إن استخلف ... ^(٤) .

ولكن الظاهر أن أبا الشيخ عمروس توفي قبل أن يصل الشيخ عمروس إلى سن الإدراك ، وذلك أن الشيخ عمروس لما بلغ مبلغ الرجال - ولتقل ثمانية عشر سنة - أراد أن ينفذ وصية أمه ، ويؤدي عنها الحج ، فلم يجد أحدا يعلم بصلاحتها ويشهد بذلك ، إلا امرأة واحدة شهدت بصلاحتها ، فأدى الحج عنها بشهادة تلك المرأة ^(٥) .

فلو لم يكن والد الشيخ عمروس قد توفي والشيخ عمروس لا يزال طفلا لم يدرك ، لسأل أباه عن أمه وصفاتها وصلاحتها من عنده ، ولأخبره أبوه عنها .

= ، ص ٢٧١-٢٧٢ - السلمي ، للمعة المرضية ، ص ١٢ - بحار وأخرون ، مصدر سابق ، ٢٢١/٢ ، رقم الترجمة : ٦٩٠ .

^(١) منها السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه ، ص ١٨٥-١٩١ .

^(٢) عمروس ، الليبونة الصافية ، ص ١٢ - مصر ، الإيضاحية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٢٧ . الجبيلي ، قواعد الإسلام ، تح : بكلي عبد الرحمن ، ١٢/٢ هلمش المحقق - يحيى بن الخير بن أبي الخير الجنائوني ، كتاب النكاح ، تعليق : علي يحيى مصر ، المطابع العالمية ، روي ، سلطنة عمان ، ص ٢٩ الهامش - بحار وأخرون ، معجم أعلام الإيضاحية ، ٢٢١/٢ رقم الترجمة : ٦٩٠ .

^(٣) الدرر جني ، طبقات المشايخ ، ٢٢٤/٢ - الشماخي ، السير ، ١٩٥/١ - عمروس ، مصدر سابق ، ص ١١ .

^(٤) محمد بن يوسف الطنيز ، شرح كتاب النيل وشفاء الطول ، ج ١٢ ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٧٧ .

^(٥) الدرر جني ، مصدر سابق ، ٢٢٥/٢ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩٥/١ . الظاهر أن هذه القصة بها شيء من المبالغة وعدم الواقعية ، إذ أن أسرة الشيخ عمروس كتبت تقيم بجبل نفوسة الفلص بالمسكان ، فليس من المعقول ألا يتقى لحد من معاصريه ولنته يعلم بصلاحتها من عنده إلا امرأة واحدة |

والظاهر أن الشيخ عَمْرُوس بدأ بتلقي العلم في قريته (قَطْرُوس) التي نشأ وترعرع فيها ، فلعله التحق بشيء من الكتابات الموجودة في قريته ، لحفظ القرآن الكريم ، وتعلم الآداب ، وبعض قواعد النحو والأحكام الفقهية المبدئية ، وقد أشار الشيخ علي يحيى معمر - ولو من بعد - إلى ذلك حين قال : " نشأ في (قَطْرُوس) [يقصد الشيخ عَمْرُوس] ... وفيها درس ، وبلغ هذه الرتبة السامقة من العلم " (١) .

وللأسف الشديد فإن المصادر تبخل في ذكر أسماء شيوخه ، الذين تلقى عنهم العلم في هذه المرحلة الأولى من تعليمه فلم أجد حسب المصادر التي تولفت بين يدي إشارة إلى ذلك ، وهذه المشكلة نفسها عانى منها الباحث أحمد كَرْوَم فقال : " هذا ما كتبه المصادر عن تعلمه بصفة إجمالية دون العرض لأي تفصيل يشير إلى مشائخه ورفقائه في الدراسة أو العلوم التي درسها أكثر من الأخرى ... " (٢) .

وأما مراحل تعليمه التي تلت المرحلة الأولى أو الابتدائية ، فقد ذكرت بعض المصادر أنه هاجر إلى المغرب لطلب العلم ، وانقطع لمدة عشرين سنة في المغرب طلباً للعلم (٣) ، وقد ذكر الباحث أحمد كَرْوَم أن المقصود بالمغرب هو (تَهْرْت) العاصمة الرسمية ، معللاً استنتاجه هذا بأن الاستعمال السائد آنذاك عند الإباضية لهذه الكلمة هو (تَهْرْت) ، إذ كانت كمية الطلاب والعلماء والمتكلمين حيناً من الدهر ، حتى غدت تعرف بـ (بلاد المغرب) ، كما ألفا جاءت في غرب جبل نفوسة (٤) .

ولكن في المقابل فإن الشيخ فرحات الجعيري ذهب إلى أن المقصود بالمغرب هو (بلاد الجُرَيْد) حالياً (٥) ، ولا يستبعد أن يكون المقصود بالمغرب هو (تَهْرْت) ، حيث إن تَهْرْت - كما ذكر الباحث أحمد كَرْوَم - كانت مقصد طلاب العلم ومريده ، وذلك لوجود الأئمة وكبار العلماء فيها .

(١) معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٠ ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

(٢) عمروس ، الدينونة الصافية ، ص ١٤ مقدمة المحقق .

(٣) الخطوط ، سير أهل نفوسة (مخ) ، ص ٩٢ - الشماخي ، السير ، ١٩٥١ - الباروني ، الأزهار ، ٢٠٤٢/٢ - الجعيري ، البعد الحضاري ، ص ١٠٩ الهامش - عمروس ، مصدر سابق ، ص ١٢ مقدمة المحقق .

(٤) عمروس ، مصدر سابق ، ص ١٢ الهامش ، مقدمة المحقق .

(٥) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ الهامش .

فالظاهر أنه أخذ العلم في تَيْهَرْت على يد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن والإمام أفلح بن عبد الوهاب وعلى يد بعض علماء تَيْهَرْت كمنزور بن عمران المُوَارِي (حي بين: ١٧١هـ / ٧٨٧م - ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) وزير الإمام عبد الوهاب ، ومُحَكِّم المُوَارِي قاضي الإمام أفلح ، وأبي الربيع سليمان المُوَارِي (ط: ٧٥ : ٣٠٠هـ / ٩١٢م - ٣٥٠هـ / ٩٦١م) ، الذي يعد من كبار علماء تَيْهَرْت ، وأبي عبيدة الأعرج التَّيْهَرْتِي (حي : ٢٦١هـ / ٨٧٤م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م) ، الذي كان عالماً بالفقه والكلام والوئائق والنحو واللغة ... وغيرهم من العلماء^(١) .

أما أهم العلوم التي من الممكن أن يكون درسها في أثناء وجوده في تَيْهَرْت ، علم التفسير فقد يكون تلقاه على يد الإمام عبد الوهاب والإمام أفلح والعلامة مُحَكِّم المُوَارِي ؛ وعلم الحديث لعله أخذه عن الإمام أفلح الذي كان مهتماً بعلم الحديث ، وأبي عبيدة الأعرج الذي أخذ عنه ابن الصغر (حي : ٢٦١هـ / ٨٧٤م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م) كتاب (إصلاح الغلط في غريب الحديث) لابن قتيبة^(٢) ، واللغة والفقه والعقيدة وعلم الكلام عن الإمام عبد الوهاب والإمام أفلح ؛ وقد يكون أخذها كذلك عن العلماء الذين ذكروهم قبل قليل ، أو عن غيرهم والله أعلم^(٣) .

وإذا كان درس العشرين سنة في بلاد (الجُرَيْد)^(٤) كما ذهب الشيخ الجعيري ، فإنه من المحتمل أن يكون درس في مدينة (قَنْطَرَاة) ، إذ إن قنطرة في عصر الشيخ عَمْرُوس كانت تعد مركزاً علمياً وحضارياً للإباضية ، وهي مركز الدولة الرستمية ببلاد (الجُرَيْد) ، وكانت بها جالية كبيرة من أهل قُفُوسَة ، وكان طلاب العلم يقصدون مسجد (قَنْطَرَاة) لأخذ العلم^(٥) .

(١) منها السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه ، ص ٢١٩ .

(٢) ابن الصغر ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٩٦ .

(٣) دراسة الشيخ عمروس على الإمام عبد الوهاب، والإمام أفلح ، والعلماء الذين ذكرت ، وظل مجرد احتمال لقليل للحوادث والخطأ ، فالمصادر لا تساعدني ذلك كما ذكرت ، فأرجو التنبه لهذا .

(٤) أود التنبه أنني في كتابي (الشيخ عمروس ومنهجه) وكتبت في خطأ غير مقصود عندما تناولت بالحديث دراسته - (المغرب) والمقصود بها ١ فذكرت أن الباحث كزوم فسّر (المغرب) أنها (تبهرت) ، وأما الجعيري فإنه ذهب إلى أن المقصود بها بلاد (الجريد) ، ثم عندما أردت الحديث عن احتمال دراسته ببلاد (الجريد) ذكرت بدلاً من ذلك سبوا (وارجلان) ، وذكرت أسماء بعض الطوائف المعاصرة للشيخ عمروس - (وارجلان) ، والذين يحتمل أن يكون أخذ العلم عنهم ، وكان الأصل أن أتحدث عن بلاد (الجريد) وعلمائها المعاصرين للشيخ عمروس ، فأرجو التنبه لذلك (انظر : منها السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه ، ص ٢٢٠) .

(٥) بلجيه ، الإباضية بالجريد ، ص ٤٠ ، ٦٢ .

(ق : ٣ هـ) ، على موضع يسمى (تين أزدوشل) يجتمع فيه جماعة لطلب العلم ، والمفتي فيهم أبو نصر التَّمَصَّصِي (ق : ٣ هـ) ^(١) .

ومن مشايخ الشيخ عُمرُوس الدين ثبت تلقيه العلم عنهم ، والتقاؤه بهم عالمان جليلان من علماء أهل الحق والاسقامة ، وهما العلامة أبو غانم بشر بن غانم الحُرَّاسَانِي (ت : ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) ، صاحب المدونة المشهورة ، والعلامة أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل القُرَظِي (ت : ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) .

فالعلامة أبو غانم الحُرَّاسَانِي التقى به الشيخ عُمرُوس عند خروج الأول من المشرق إلى المغرب للقاء الإمام عبد الوهاب ، حاملا معه مدونه المشهورة ليهديها للإمام عبد الوهاب ، فمر في طريقه على الشيخ عُمرُوس بجبل نُفُوسَة ، وترك عنده نسخة من المدونة ، وذهب بالأخرى إلى تَبَهَرْت ، فقام الشيخ عمروس بمساعدة أخته العالمة بنسخ المدونة ، فكان له الفضل في المحافظة على هذا السفر الثمين ، حيث إن النسخة الثانية احترقت مع ما احترق من المخطوطات العظيمة عندما قام الفاطميون بحرق مكتبة المعصومة عند هجومهم على تَبَهَرْت ^(٢) .

وأما الشيخ العلامة محمد بن محبوب فإن الشيخ عُمرُوس التقى به عند ذهابه إلى المشرق لأداء مناسك الحج ، فسأله عن الكثير من المسائل ، حتى قال ابن محبوب : " هذا من مَكُون العلم لا يعلن به في قوم جُهَّال " ، والقصة في ذلك مشهورة ^(٣) .

والظاهر أن الشيخ عُمرُوس اشغل بالتدريس ونشر العلم ويستشف ذلك من بعض النصوص مع غموضها وعدم تصريحها بذلك وليس هنا مقام عرضها ^(٤) .

ولقد اشغل الشيخ عُمرُوس بالتأليف ، فذكرت المصادر وجود بعض المؤلفات التي تسب إليه ، فمن مؤلفاته : كتاب (القُرُوسِي) ، وكتاب (أصول الدِّيُونَة الصَّافِيَة) ، وكتاب (الحكم والمعارف) ، وكتاب (أعلام الملَّة) ، وكتاب (عُمرُوس بن فتح) ، وكتابه

(١) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣١٤/٢ - الشماخي ، السير ، ١٤٩/١ ، ١٩٩/٢ - ٢٠ .
 (٢) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٢٢/٢ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩٤/١ - ١٩٥ - الباروني ، الأزهري ، ٢٥٣/٢ - معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .
 (٣) البيطوري ، سير أهل نفوسة (مخ) ، ص ٩٢ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٢٤/٢ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩٣/١ - ١٩٤ - الباروني ، مصدر سابق ، ٢٥٣/٢ - معمر ، مصدر سابق ، للمجلد الأول ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٠ .
 (٤) انظر : مهنا السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه ، ص ٢٢٤ - ٢٢١ .

في الأصول والفقه ، وكتاب في (الرد على التاكية وأحمد بن الحسين) ، وقد أراد الشيخ عَمْرُوس أن يؤلف كتابا يقسمه على ثلاثة أوجه : التبريل والسنة والرأي ، مضمنا كل قسم ما يتعلق به من مسائل ، إلا أن المنية داهمته قبل إتمام مشروعه ^(١) .

هذه هي المؤلفات التي تركها الشيخ عَمْرُوس ، حسب ما ذكرته المصادر ، وقد ذهب د/ النامي إلى الجزم بأنه لم يبق من تراث الشيخ عَمْرُوس غير رسالتين ، هما (أصول الدُّبُونَة الصَّالِيَة) ، و (الرد على التاكية وأحمد بن الحسين) ^(٢) .

وذهب الشيخ فرحات الجعبري إلى الجزم بوجود (أصول الدُّبُونَة الصَّالِيَة) فقط ، وأنه وجد مخطوطه في دار التلاميذ بمدينة العُظْف بواحي مِيزَاب ، وذكر أن كتاب (أصول الدُّبُونَة الصَّالِيَة) هو القسم الأول من كتاب في الفقه حسب المخطوطة التي وجدها في دار التلاميذ ^(٣) ، وهذا ما أشار إليه د/ النامي فذكر أن (أصول الدُّبُونَة الصَّالِيَة) قسم من مخطوطة متعددة الاختصاصات ^(٤) .

والحقيقة أن الباحث أحمد كَرْوَم لم يشر إلى ما ذكره الجعبري والنامي عند تحقيقه للدُّبُونَة ^(٥) ، ولكن أصحاب معجم أعلام الإباضية ذكروا وجود كتاب (الرد على التاكية وأحمد بن الحسين) ، وأنه لا يزال مخطوطا ^(٦) .

هذا وللشيخ عَمْرُوس فتاوى في مختلف المسائل مبثوثة في بطون الكتب والمؤلفات كالتبقيات وغيرها ، وقد كان - رحمه الله - متمكنا من علم الكلام ومناظرا فحلا تصدى لقمع أصحاب

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٥٠ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٨١/١ ، ٢٢٠/٢ - الشماخي ، السير ، ١٩٢/١ ، ١٩٦ - البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص ٢١٩ - البغظوري ، سير أهل نقوسة (مخ) ، ص ٩٣ - الجبيلي ، قواعد الإسلام ، ١٢١/١ - الهامش - الباروني ، الأزهار ، ٢٥٢/٢ - معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ١٠١ ، ص ١٢٩ - النامي ، دراسات عن الإباضية ، ص ٤٦ ، ٢٢١ - عمرو خليفة النامي ، وصف مخطوطات إباضية مكتشفة حديثا في شمال إفريقيا ، (مخ) ، مقال منشور في المجلد (١٥) العدد (١) من مجلة (الدراسات الصائفة) ، ١٩٧٠م ، ترجمة سلطان بن مبارك الشيباني ، ص ٢٠ ، ٢١ - الجعبري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، ص ١٠٩ - دليل المؤلفين اللبنيين ، ص ٣٠٠ نقلا عن : عمرو ، الدبونة الصائفة ، ص ٢١ المقدمة .

(٢) النامي ، وصف مخطوطات إباضية (مخ) ، ص ٢٠ .

(٣) عمرو ، مصدر سابق ، ص ٧-٨ ، ص ٤٢-٥٦ .

(٤) بنحو وآخرين ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٢٢/٢ ، رقم الترجمة : ٦٩٠ .

العقائد الفاسدة فالحم حججهم ببراهينه الساطعة ، وقد ذكرت المصادر له مناظرات مختلفة كما نظره لنفاث وغيره^(١) .

وقد تولى القضاء على جبل نفوسة في عهد إمامين من أئمة الدولة الرستمية ، وهما الإمام أبو اليقظان محمد بن الفلح (ت : ٢٨١هـ / ٨٩٤م) ، والإمام أبو حاتم يوسف بن محمد بن الفلح (ت : ٢٩٤هـ / ٩٠٦م) ، حيث كلفه والي جبل نفوسة أبو منصور إلياس بن منصور الثَّقُوسِي (حي : ١٦٦هـ / ٧٧٧م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م) بتولي منصب القضاء^(٢) .
ومما يؤثر عنه أنه قال لأبي منصور : " إن لم تأذن لي بقتل ثلاثة فخذ خاتمك ، قتل مانع الحق ، والطاعن في دين الله ، والدال على عورات المسلمين " ^(٣) .

هذا وفي سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م تعرضت الدولة الرستمية لهجوم من قبل إبراهيم بن الأغلب (ت : ٢٨٩هـ / ٩٠١م)^(٤) الذي كان متوجها إلى تِهْرَت للقضاء عليها ، وعندما علم أهل نفوسة بذلك البروا للدلاع عن دولتهم وحوزتها ، ف وقعت معركة عنيفة بين الطرفين في مكان

(١) انظر : منها السعدي ، الشيخ صروس ومنهجه ، ص ٢٤٤ - ٢٥١ .

(٢) صروس ، التنوية الصافية ، ص ١٦ المقامة - البنطوري ، سير أهل نفوسة (مخ) ، ص ٩٤ - الدرجيني ، طبقات المشافخ ، ٨٤/١ ، الشماخي ، السير ، ١٩٢/١ - الباروني ، الأزهار ، ٢٥٢/٢ - الجيطلبي ، قواعد الإسلام ، ١٣/١ - الهامش - معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٤٠ - الجبيري ، البلد الحضاري ، ص ١٠٩ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٢١/٢ ، رقم الترجمة ٦٩٠ - بحاز ، القضاء في المغرب ، ص ١٧٦ ، ٤٩٦ .

(٣) البنطوري ، مصدر سابق ، ص ٤٨ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣٢١/٢ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩٢/١ - معمر ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٤) لقد كان ابن الأغلب - كما يصفه ابن خلدون وكما هو واضح من سيرته وتاريخه الدامي- جائراً ظلوماً سفاكاً للنماء ، وقد جعل الله عليه بالمعقوبة في الدنيا قبل الآخرة إذ أنه أصليه اختلال عقلي فأسرف في قتل أقرابه وخدمه ، فقتل من خدمه ورضاعه وبناته ما لا يحصى ، وقتل ابنه أبا الأغلب لظن ظننه به ، ولفقت ذات يوم مندبلاً لشرابه فقتل بسببه ثلاثمائة خاتم ، ومات شريداً طريداً ، ولسرى هذه هي نهاية كل ظالم مفسد كل تعالي : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْتَبَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي النَّارِ وَالْآخِرَةُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، آية : ٥٦) . انظر : ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ٩٨/٢ .

يسمى (مأثو) ^(١) ، وقد شارك الشيخ عَمْرُوس في هذه المعركة وقد بلغ من الكبر عتيا ، حيث إن عمره كان في حدود الثالثة والتسعين ، على فرض أنه ولد في سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م ^(٢) .

كان الشيخ عَمْرُوس في آخر المعركة يحمي الجيش ، ويذود عنه ، وكان على فرس سابق ، فلم يفلت عليه الأغالب ، وأعياهم أمره ^(٣) ، وعندما عجز عنه فرسان الأغالب ، لجأوا إلى الحيلة ، لصنوا حبالا في طريقه ، لعثر بها فرسه ، فأخذوه أسرا ، ومضوا به إلى إبراهيم بن الأغلب ، سرورين جذلين بما حققوه من أسر الشيخ عَمْرُوس ^(٤) .

وعندما وصلوا به إلى ابن الأغلب ، أراد أن يشمت بالجاهد المؤمن ، فقال له : * سلفي الغفو لغفو عنك * ، فأجاب الشيخ عَمْرُوس - رحمه الله - إجابة المؤمن بالله حق الإيمان ، الواصل به وبوعده حق الثقة : * إن الأعمار بيد الله ، وتلك كلمة لن تسمها مني أبدا ، ولكن أسألك في سراييلي هذه ، لا تكشفوني منه * ^(٥) .

لحاول أن يفتنه في دينه وعقيدته ، فقال له : * إذن فارجع عما أنت عليه لترتكب * ، عند ذلك انتفض الشيخ عَمْرُوس انتفاضة الأسد المصور في أسره ، فقال - بملء فيه - : * تلك كلمة لا ألها حتى ألقى بالله * ^(٦) .

^(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٥٤ الهامش - الدرراني ، طبقات المشايخ ، ٨٧/١ - الشماخي ، السير ، ٢٢٨/١ - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ٩٨/٢ - الجبلي ، قواعد الإسلام ، ١٢/١ الهامش - الباروني ، الأذهار ، ٢٨٠/٢ - معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٠ ، ج ٢ ، ص ١٢٣ - بزاز ، الدولة الرستمية ، ص ١٢٩ - عمرو بن ، الدينونة الصافية ، ص ١٩ المقدمة .

^(٢) من الصعوبة استماعة مشاركة الشيخ عمرو بن في معركة (مأثو) وهو في هذه السن المتقدمة جدا ، ولكن كما قلت عند تعرضي لمولد الشيخ عمرو بن أن في سنة ولادته إشكالية كبيرة والأول مختلفة وقرائن متضاربة ، وقد ناقشت هذه القضية في كتابي (الشيخ عمرو بن ومنهجه) باستماعة فلارجاه الرجوع إليه ، وبنيت وجهة نظري على اقتناء الشيخ عمرو بن علي غلام الخرساني المتوجه إلى تبهرت لزيارة الإمام عبد الوهاب (ت : ٢٠٨هـ) حينما ذكرت بعض المصادر الإباضية المتقدمة ، ولكن قد يكون أبو غلام الخرساني زار تبهرت بعد وفاة الإمام عبد الوهاب أي في عهد الإمام ألع بن عبد الوهاب ، فلعل مصادرنا أخطأت بذكر الإمام عبد الوهاب بدلا من الإمام ألع ، فإذا صح ذلك سيكون لشيخ عمرو أصغر سنا عند مشاركته في معركة (مأثو) ، ولكن بظل هذا مجرد احتمال ينتقل إلى الأيلة !

^(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ - الدرراني ، مصدر سابق ، ٨٩/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ٢٢٩/١ - الباروني ، مصدر سابق ، ٢٨٢/٢ - معمر ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢ ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

^(٤) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ - الدرراني ، مصدر سابق ، ٨٩/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ٢٢٩/١ - الباروني ، مصدر سابق ، ٢٨٢/٢ - معمر ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢ ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

^(٥) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ - الدرراني ، مصدر سابق ، ٨٩/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ٢٢٩/١ - الباروني ، مصدر سابق ، ٢٨٢/٢ - معمر ، مصدر سابق ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ١٠ ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

^(٦) معمر ، مصدر سابق ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ١٠ ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

عندما رأى ابن الأغلب هذه القوة من الشيخ عُمرُوس ، وهذا اليقين بالله تعالى ، بدأ يسلك معه مسلك العنف والقمع فأمر بقرضه بمقاريض من حديد ، فبدأوا يقرضون يديه فلما بلغوا عضديه ، بعد أن ظلوا طويلا يقطعون يديه ، ودماؤه تسيل ، فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها^(١) ، نعم فاضت روح البطل ، فاضت روح الجاهد ، فاضت روح العالم السورع ، لفسوز بسوء مولاهما : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فَرَحِينِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿^(٢) .

وروي أن عدد القتلى من الإباضية كان اثني عشر ألفا ، أربعة آلاف من نُفُوسَة ، وثمانية آلاف ممن كان معهم من البربر وغيرهم ، وعدد الأسرى ثمانين عالما ، وكان عدد الشهداء من العلماء أربعمائة عالم فقيه ، حتى أنه لم يبق بعدهم عالم يفتي في النوازل بجبل نُفُوسَة غير عالين ، هما أبو القاسم سدرات بن الحسن النُفُوسُوري (ت : ٣١٣هـ / ٩٢٥م) ، وأبو محمد عبد الله بن الحير الوُزْرُيفي^(٣) ، قال الشَّامِي : * فكانت في الإسلام فلة لم ترقع إلى يومنا هذا *^(٤) ، فإله المستعان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وكانت أخته المجاهدة من ضمن من شارك في هذه المعركة ، مع مجموعة من المجاهدات الإباضيات ، إلا أن الأغلبية أخذنهن أسيرات ، وكانوا لا يورعون عن الاعتداء على النساء^(٥) ، فخالفت أخت الشيخ عُمرُوس أن يعرضن للاعتداء من قبلهم ، فأفتت لمن أن تستخلف كل واحدة منهن عن نفسها من يزوجهما لمن أرادها بسوء ، محافظة على عرضهن وشرهن

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٥٧ . للدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٨٩/١ - الشماخي ، السير ، ٢٢٩/١ - الباروني ، الأذهار ، ٢٨٢/٢ - ممر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٢ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ . الدرجيني ، مصدر سابق ، ٨٩/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ٢٢٨/١ - ٢٢٩ .

(٤) الشماخي ، مصدر سابق ، ٢٢٩/١ .

(٥) ابن أولئك الذين ينعتون الإباضية بالخوارج ، ويتهمونهم باستباحة نساء المسلمين ، وغنم أموالهم وسبي ذرائعهم ، من جرائم الأغلبية ، فهل كان الأغلبية من الإباضية ؟! ، ومن هو الذي يستحق أن ينسب إليه تكفير المسلمين ، واستباحة نساءهم ، وغنم أموالهم ، وسبي ذرائعهم ؟! ، فلماذا هذا التعملي عن الحقيقة ؟! ، ولماذا هذا الكيل بمكيالين ؟! ، ولماذا يتهم الإباضية بما هم بريئون منه ، وتاريخهم النظيف شاهد عليهم ، ويتعملي عن المتهم الحقيقي ؟! مع أن جرائم ابن الأغلب منكرة في كتب أهل السنة ، ولا يستطيعون إنكارها ، فلين الإنصاف ؟!

من الانتهاك^(١) ، فلهذا دركن ما أوردكن وأطهركن ، وحوي بنات الإسلام في هذا الزمان وكل زمان أن يتأسين بكن ، في صلاحكن وتقواكن وجهادكن في سبيل الله ، والحقيقة أن المصادر لم تذكر مصيرهن بعد ذلك ، هل كتبت لمن النجاسة ، أم تعرضن للتعذيب والقتل مثلهن مثل الرجال .

وهكذا طويت صفحة هذا الإمام الجليل^(٢) ، بعد أن سطرها بعظائم الإنجازات ، ففضى سنوات عمره الطويلة ، بين طلب العلم وحلقه ، وبين الأوراق قراءة وتأليفاً وتصحيحاً ، وفي مجالس المناظرة حواراً ونقاشاً وتفصيلاً ، وعلى أرض المعارك راية الإسلام ذاباً عن حياض الفجدة ، حتى كلل جهده بالظفر بما يطمع به كل مؤمن ، وهو الفوز بالشهادة ، فكانت حسن عاتقة له رحمه الله تعالى ، وأسكنه أعالي فراديس الجنان ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَافِعًا ﴾^(٣) .

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٥٧ - الشماخي ، السير ، ١٩٥/١ - البهروني ، الأزهار ، ٢٨٢/٢ - معمر ، الإيضاحية في موكب التاريخ ، المجلد الأول ، ح ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٢ .
 (٢) لمزيد اطلاع حول حياة وسيرة هذا الإمام الجليل انظر كتابي : الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصافية .
 (٣) سورة النساء ، من الآية : ٦٩ .

(٦)

الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ يَعْقُوبَ
مُؤرِّخٌ فِي سَطُورٍ

الشيخ سالم بن يعقوب مؤرخ في سلور^(١)

هو الشيخ العلامة المؤرخ سالم بن محمد بن يعقوب من جزيرة جرّبة بنوس^(٢) ،
(بن يعقوب) قبيلته ، وهي قبيلة معروفة بجرّبة^(٣) ، ولد بمُؤمة غِرْزَن بجرّبة في سنة ١٣٢١هـ /
١٩٠٣م^(٤) .

بدأ حياته بممارسة التجارة في مدينة بنزرت الليبية ، وبقي أميا إلى سن التاسعة عشرة^(٥) ،
وكان يرغب في طلب العلم ويشاقق لذلك ، فتدارك أمر نفسه بسرعة فاتحق بدروس الشيخ عمر
بن مرزوق - من كبار المصلحين بجرّبة آنذاك - بجامع (الباسي) بمؤمة وألغ بجرّبة في سنة
١٣٤١هـ / ١٩٢٣م ، وأخذ مبادئ العلوم على يده ، ثم رحل إلى تونس ميمما شطر جامع
الزيتونة العريق ، وأقام في مدرسة الإباضية بافتتائي بسوق اللّفة ، فكان يتقل بين حلق العلم بجامع
الزيتونة منتقيا ما يطيب له منها ، وذلك أنه لم يكن مسجلا في دفاتر الجامع ، وكان الشيخ محمد
الرغوني والشيخ الماجري من أبرز أساتذته بجامع الزيتونة ، وقد كان كذلك يتلقى دروسا خاصة
على شيخ الإباضية بنوس العلامة محمد بن صالح الثميني ، الذي كان مشرفا على الإباضية
الجزائرية بنوس ، ويملك مكتبة الاستقامة القريبة من جامع الزيتونة ، وقد كانت دروس الشيخ

^(١) نشر هذا المقال سابقا في :

جريدة الوطن العُمانية ، الاثنين ١٧ من شعبان ١٤٢٤ هـ / ١٣ من أكتوبر ٢٠٠٣ الحد (٧٢٩٢) ، السنة ٢٣ ، على
هذه الواجهة :

<http://www.alwatan.com/graphics/2003/10/oct/13,10/dailyhtml/deen.html>

موقع الأمل المشرق (www.alam1.net) .

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhiyah.net) .

موقع الشبكة العمانية ، مجلة الدين ، (www.omania.net) .

^(٢) الجعيري ، البعد الحضاري ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - سلومان بن أحمد الحيلاتي الجعيري ، علماء جربة ، ت :
محمد لوجبة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٩٩٨م ، III هامش رقم (١) - بحاز وآخرون ، معجم
أعلام الإباضية ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ رقم الترجمة : ٣٦٦ - اتصال هفتي مع الشيخ أحمد مهني مصلح مدرس بمعهد العلوم
فلسفية بسلطنة عمان ، الثلاثاء ٤ من شعبان ١٤٢٤ هـ / ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٣م ، الأربعاء ٥ من شعبان ١٤٢٤ هـ /
١ من أكتوبر ٢٠٠٣م .

^(٣) اتصال هفتي مع الشيخ أحمد مهني مصلح .

^(٤) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم
ترجمة : ٣٦٦ .

^(٥) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم
ترجمة : ٣٦٦ .

الشميني ليلية محورها كساب (جامع أركان الإسلام) للشيخ العلامة سيف بن ناصر الخروصي (ت : ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م)^(١) ، وكتاب (شرح النيل) لقطب الأئمة محمد اطفيش^(٢) .

ظل في تونس لمدة خمس سنوات (١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م - ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م) ، ثم انتقل إلى جامع عريق آخر بالمشرق العربي وهو جامع الأزهر بمصر ، ناهجا فيه نفس نمجه في جامع الزيتونة ، وبقي في أحضانه لمدة خمس سنوات (١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م - ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م)^(٣) .

وقد أشار إلى أمر دراسته بالزيتونة والأزهر بنفسه في مقدمة كتابه (تاريخ جزيرة جربة) حيث قال : " وبني في هذا البحث أدرس بعض جوانب هذا التاريخ بجزيرة جربة ، هذا التاريخ الذي جمعه من أوراق متفرقة ورسائل مبعثرة في خزائن الكتب القديمة بجزيرة وتونس والقاهرة أثناء بحثي الموسع عن التراث الإباضي أيام دراستي بجامعة الزيتونة (١٩٢٩ - ١٩٣٤م) وبالجامع الأزهر (١٩٣٤ - ١٩٣٩م)"^(٤) .

وقد ذهب أصحاب معجم اعلام الإباضية إلى أنه ظل في الزيتونة لمدة ثلاث سنوات (١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م - ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م) ، وظل في الأزهر لمدة خمس سنوات (١٣٥١هـ / ١٩٣٣م - ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م)^(٥) ، وذهب الشيخ فرحات الجعبري إلى أنه ظل في تونس لمدة خمس سنوات (١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م - ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م) وفي مصر أيضا لمدة خمس سنوات (١٣٥١هـ / ١٩٣٤م - ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م)^(٦) ، والحقيقة أن هذه التواريخ التي ذكرها كل من أصحاب المعجم والشيخ الجعبري

(١) انظر ترجمة الشيخ سيف بن ناصر الخروصي العملي في : الإرشاد في شرح مهمات الاعتقاد ، سيف بن ناصر بن سليمان الخروصي ، ج ١ ، مكتبة المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية ، ممقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ٩- ١٠ ، ترجمة المؤلف .

(٢) الجعبري ، البعد الحضاري ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - بحث وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٣) الجعبري ، مصدر سابق ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - بحث وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٤) معلوم بن يعقوب ، تلويح جزيرة جربة ، دار الجويني للنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦م ، ص ١٢ .

(٥) بحث وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٦) الجعبري ، مصدر سابق ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) .

غير دقيقة ولها تناقض ، والذي يظهر أن الأصح ما ذكره الشيخ سالم بن يعقوب بنفسه عن مدة مكوثه في الزيتونة والأزهر كما مر في النص الذي نقلناه عنه ، والمرء أدري من غيره بتاريخه .

وقد كان في فترة دراسته بالأزهر ينهل من معين علماء الأزهر ، وكذلك كان يتردد على الشيخ العلامة أبي إسحاق إبراهيم اطفيش طلبا للعلم ، حيث إن الثاني كان موجودا بمصر بسبب لفيه من الجزائر من قبل الاستعمار الفرنسي^(١) .

وقد كان الشيخ سالم يسكن وكالة الجاموس بطولون من مصر ، ويقضي معظم وقته في الاستساخ ، فنسخ من مخطوطات مكتبة الإباضية بوكالة الجاموس نصيبا والرا ، كما نسخ عدة نصوص من المكتبة الوطنية بالقاهرة ، فجمع بعد ذلك مكتبة ثرية بمقر سكنه بمؤمة غيزن بجربة قل لما مثل^(٢) ، وصفها الشيخ الجعيري بقوله : " وزار مكتبته بغيزن يتبين أنها جامعة من كل شيء بطرف خاصة في كل ما له صلة بالإباضية من قريب أو بعيد " (٣) ، وقد أشار الشيخ سالم بن يعقوب إلى اشتغاله بالنسخ وجمع التراث بنفسه في النص الذي ذكرناه عنه أعلاه .

وعندما عاد إلى وطنه جربة اشتغل في الفلاحة ، وعكف على التدريس والوعظ والإرشاد بعدة مساجد منها : جامع الشيخ بمؤمة السوق ، وجامع الملاق بوالغ ، وجامع بني داود بصديان ، وجامع للأكيين بغيزن ، وقد كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر حتى أنه هدد عدة مرات بالقتل من أصحاب المنكر^(٤) .

وكان كذلك محققا في التاريخ ، وبخاصة في سير الإباضية ، فاتخذه الباحثون قبلة ينهلون من علمه ويستفيدون منه ، ومن أبرز تلاميذه : الشيخ د/ فرحات الجعيري ، وقاسم قوجة ، والصادق بن مرزوق ، ويوسف الباروني^(٥) .

(١) الجعيري ، التباعد الحضاري ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٢) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٣) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) .

(٤) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٥) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٧)

المُحَدَّثُ بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ

شَاعِرُ تَيْهَرْتِ

المُحدَّث بَكر بن حَمَّاد شاعِرٌ تَيهَرَتاً^(١)

من ضمن البحوث التي تضمنها هذا الكتاب بحثٌ تحدّث فيه عن الدولة الرستمية (١٦٠هـ / ٧٧٦م - ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) تحت عنوان: (الدولة الرستمية دولة إسلامية تجاهلها التاريخ)^(٢)، وقد تناولت فيه لغة موجزة عن العديد من جوانب هذه الدولة العظيمة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية أو الثقافية أو الاجتماعية.

لقد أجمعت هذه الدولة العديد من الأعلام الذين نبغوا في مختلف الجوانب، ومن هذه الجوانب الساحة الشعرية والأدبية، ولعل من أبرز شعراء هذه الدولة إمامها الثالث أُلح بن عبد الوهاب (حكم: ٢٠٨هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨هـ / ٨٧١م)، فقد كان شاعراً فحلاً أبدع في نظم الفريض، فمما قاله في الحث على العلم قصيدة رائية تقع في أربعة وأربعين بيتاً^(٣)، يقول في مطلعها^(٤):

العلم أبقي لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

ويقول^(٥):

اشدد إلى العلم رحلا فوق رحلة وصل إلى الآفاق أسفارا

^(١) نشر هذا البحث سابقاً في:

موقع الأمل المشرق (www.alaml.net).

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhijyah.net).

موقع الشبكة العمانية، سبيلة الدين، (www.omania.net).

^(٢) انظر المقال رقم (٨) من هذا الكتاب.

^(٣) لم أجد أحد الشعراء العمانيين ينتشروها، وهو الرحالة الأديب الشيخ علي بن أحمد الصماني عاشر في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، وتوفي في السودان في رحلة من رحلاته، وقد أورد ابن النظر القصيدة بدون تشطير في كتابه فدعم، ويذكر الكعك أن القصيدة هي من ديوان لألح مفقود لم تعلم منه إلا تلك الأبيات (انظر: ابن النظر، الدعائم من ١٣٦-١٣٣ نقلاً عن بحاز، الدولة الرستمية، ص ٢٧ الهامش - الباروني، الأزهار، ١٨٩/٢ - الكعك، موجز تاريخ العام، ص ٢١٥ نقلاً عن: بحاز، مصدر سابق، ص ٢٧ الهامش).

^(٤) الباروني، مصدر سابق، ١٩٠/٢ - بحاز، مصدر سابق، ص ٣٦٠.

^(٥) الباروني، مصدر سابق، ١٩١/٢ - بحاز، مصدر سابق، ص ٣٦٠.

وفي هذا المقال سنحاول تبسيط الضوء على شاعر من فحول شعراء الدولة الرستمية ، ترك الكثير من غرر القصائد التي أبدع في سبك أبياتها متاولا فيها مختلف أغراض الشعر ، ليس هذا فحسب بل كان عالما بالحديث وتميز الرجال كما سيأتي ، فمن هو شاعرنا ؟
أول ما تعرفت على شاعرنا تعرفت عليه من خلال أبيات جميلة له يصف فيها شدة البرد وكثرة العيوم والثلج في تَهَيَّرَتْ يقول فيها ^(١) :

ما أخصن البرد وريحانه وأطرف الشمس بتاهرت
تبدو من العيم إذا ما بدت كأنها تشر من ثُجَّتْ ^(٢)
فنحن في بحر بلا لجة تجري بنا الريح على السُمْتِ ^(٣)
نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذمسي بالسبت

وشاعرنا هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سبك (وقيل ابن سهر) بن إسماعيل الزركاني التيهري ، ولد بتَهَيَّرَتْ سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م ، وما تولى سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ، له رحلة إلى الشرق بدأها سنة ٢١٧هـ / ٨٣٢م ، سمع فيها الفقهاء ، وجابه العلماء .

كان عالما بالحديث وتميز الرجال ثقة مأمونا ثبات صدوقا إماما حافظا ، سمع بالقيروان قبل رحلته إلى المشرق من القاضي عبد السلام بن سعيد التوجعي الملقب بسحنون (ت : ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) قاضي إفريقية ، وفي البصرة لقي مسدد بن مسرهد الأسدي المحدث بالبصرة ، وعمرو بن مرزوق ، وجماعة من العلماء ، وكتب عن مسدد مسنده ورواه عنه بتَهَيَّرَتْ .

وما يحكي عن بكر بن حماد في الحديث ما رواه القرطبي في تفسيره ، واتبعه منه المقرئ في (نفع الطيب) ^(٤) ، يقول القرطبي : " وذكر أبو محمد قاسم بن أصبغ قال : لما رحلت إلى المشرق نزلت القيروان فأخذت على بكر بن حماد حديث مسدد ، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس ،

^(١) للرجيني ، طبقات المشايخ ، ٤٢/١ - بقاوت الحموي ، معجم البلدان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص٢٩٧-٢٩٨ للباروني ، الأزهار الراضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج٢ ، دار البعث ، الجزائر ، ط٣ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص٢٣-٢٤ . وانظرها كذلك في نفس الكتاب ، طبعة دار بوسلامة ، تونس ، ٢٨/٢ .
^(٢) الشَّحْتُ : وعاء تُسَمَّنُ فيه الثياب ، فارسي ، وقد تكلمت به العرب (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، تحت) .
^(٣) السُمْتُ : الطريق ، يقال : لَزِمَ هذا السُمْتُ ، والسُمْتُ : السَّبِيْرُ على الطريق بالنظر ، وقيل : هو السَّبِيْرُ بالحنن والظن على غير طريق (انظر : ابن منظور ، مصدر مابق ، سمع) .
^(٤) انظر : المقرئ ، نفع الطيب ، ٤٨/٢-٤٩ ، نقلا عن : بحار ، الدولة الرستمية ، ص٣٠٩ .

لما انصرفت عدت إليه لتمام حديث مُسَدَّد ، فقرأت عليه فيه يوماً حديث النبي ﷺ : (أنه قدم عليه قوم من مُضَرَّ من مُجْتَابِي الثَّمَار) ، فقال : إنما هو مُجْتَابِي الثَّمَار ؛ فقلت إنما هو مُجْتَابِي الثَّمَار ؛ هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالاندلس والعراق ؛ فقال لي : بدخولك العراق لأرضنا وتفخر علينا ا ا لو نحو هذا . ثم قال لي : قم بنا إلى ذلك الشيخ - شيخ كان في المسجد - فإنه له بمثل هذا علماً ؛ فقمنا إليه فسالناه عن ذلك فقال : إنما هو مُجْتَابِي الثَّمَار ، كما قلت . وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة ، جيوبهم أمامهم . والتمار جمع نَمرة . فقال بكر بن حماد وأخذ بانفه : رَغِمَ الْفِيَّيْ لِلْحَقِّ ، وَرَغِمَ الْفِيَّيْ لِلْحَقِّ . وانصرف ^(١) .

وهذه القصة تدل على مدى تواضع بكر بن حماد ، وإذعائه للحق إذا ما تبين له ، يقول المقرئ معلقاً على هذه القصة : " هذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين رحمهما الله تعالى ... " ^(٢) .

وقد أورد ابن عبد البر (ت : ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) الكثير من الأحاديث برواية بكر بن حماد ، من ذلك مثلاً قوله : حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال : حدثنا قاسم بن أصبغ قال : حدثنا بكر بن حماد قال : حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى عن مالك قال : حدثني إسحاق بن عبد الله لسال : حدثني امرأتي حميدة قالت : حدثني كيشة ابنة كعب بن مالك قالت : رأيت أبا قتادة تواضاً ثم أصغى إناءه للمهرة ، قالت : فنظر إلى فقال : أتعجبين ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنما لست بتنجس إنما من الطوافات عليكم والطوافين " ^(٣) ؛ وقوله : حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال : حدثنا قاسم بن أصبغ قال : حدثنا بكر بن حماد قال : حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى القطان عن عبد الله بن عمر قال : حدثني غيبب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " سبعة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك

^(١) محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ١٩٧ .

^(٢) المقرئ ، نفع الطوبى ، ٤٨/٢ ، نقل عن : حمز ، الدولة الرسمية ، ص ٣٠٩ .

^(٣) يوسف بن عبد الله بن عبد البر النعمري ، التمهيد ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، ص ٤١ ، الأردن ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ٣١٩/١ .

وتفرقا على ذلك ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة وأخفاها حتى لم تعلم شيئا ما أنفقت يمينه ^(١) .

ولقد ذكره العلامة المحقق أبو يعقوب الوارجلاني (ت : ٥٧٠هـ / ١١٧٤م) في سلسلة حديث ساقه في كتابه (الدليل والبرهان) ، حيث قال : * وروى عبد الوارث بن سفيان ويعيش بن سعيد قالوا : أخبرنا قاسم بن أصغر قال : أخبرنا بكر بن حماد قال : أخبرني بشر بن حجر قال : أخبرنا جرير بن عبد الله الواسطي ، عن عطساء يعني ابن السائب عن أبي البحري عن علي قال : (لياكم والاستان بالرجال فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيموت وهو من أهل النار ، وإن الرجل يعمل بعمل أهل النار ، فينقلب لعلم الله فيه ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة .. فإن كنتم ولائد فاعليسن بالأموات لا بالأحياء ^(٢) .

وكان بالإضافة إلى علمه بالحديث عالما بتمييز الرجال ، يعتمد على أقواله فحول هذا العلم ، فمن ذلك مثلا ما ذكره عنه ابن حجر في ترجمته ليهلول بن عمر القُرْدَمِي : * ... قال بكر بن حماد أكره أن ألصق بالرواية عنه لزهادة الناس فيه ^(٣) .

ومثال آخر ما نقله عنه العجلي صاحب كتاب (معرفة الثقات) في توثيقه محمد بن معاوية الأطرابلسي : * ... وقال بكر بن حماد الناهري وكان من أئمة أصحاب الحديث رأيت محمد بن

^(١) ابن عبد البر ، للتبديد ، ٢٨٢/٢ .

^(٢) هذا الأثر أصله حديث نبوي رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب (٦) ، حديث رقم (٣٢٠٨) ، من طريق عبد الله بن مسعود قال : * حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - قال : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ... ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل منكم يعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيصيق عليه كتابه يعمل بعمل أهل النار . ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع ، فيصيق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة » ، وبهذا اللفظ في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (١) ، حديث رقم (٣٣٣٢) ، وكتاب القدر ، باب (١) ، حديث رقم (٦٥٩١) ، وكتاب التوحيد ، باب (٢٧) ، حديث رقم (٧٤٥٤) ، ورواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب (١) ، حديث رقم (١) ، من طريق عبد الله بن مسعود بنفس اللفظ ، وحديث رقم (٢٦٥١) من طريق أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ، ثم يخنث له عمله بعمل أهل النار . وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ، ثم يخنث له عمله بعمل أهل الجنة » (انظر : أحمد بن علي بن حجر الصنعائي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ٣٧٢/٦ ، ٤٤٧-٤٤٨ ، ٥٨٢/١١ ، ٥٤٠/١٢ - يحيى بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ١٥٦/١٦ ، ١٥٨-١٦٣) .

^(٣) أحمد بن علي بن حجر ، لسان الميزان ، ج ٢ ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عتبان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٦٧ .

معارفة ثقة لنا وكان صاحب آداب ومعرفة بلغة العرب مقدما في ذلك* (١) ، ونلاحظ كيف أن العجلي وصف بكرًا بأنه من أئمة أصحاب الحديث .

وقد أخذ الحديث عنه عدد من العلماء منهم : القاسم بن أصبغ الذي كتب مسند مُسَدَّد بن سرهد عن بكر ، ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح القَحَطَّانِي المَعَالِيقِي الأندلسي ، ومنهم ابنه عبد الرحمن بن بكر بن حماد ، وقاسم بن عبد الرحمن التَّمِيمِي التَّيْهَرَانِي .

ويذكر الشيخ سليمان باشا الباروني أن مذهب ابن حماد مشكوك فيه إما أن يكون إباضيا أو صفريا (٢) ، إلا أن الراجح أنه غير إباضي ، وأستبعد كونه صفريا ، إذ لم يذكر أحد غير الباروني هذا الاحتمال ، إذ إن من عادة علماء الجرح والتعديل عند ترجمتهم لراو معين الإشارة إلى مذهبه خاصة إذا كان إباضيا أو صفريا أو شيعيا ، ولم ألاحظ هذا في ترجمة بكر بن حماد ، والذي يظهر لي أنه ينتمي إلى أحد المذاهب السنية ، فلعله كان مالكيا حيث إنه من إفرقية ، والمذهب المالكي ظهر في إفرقية في فترة متقدمة جدا ، وكانت دولة الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩م) هي الحاضرة له مع المذهب الحنفي ، ثم ذاع صيت المذهب المالكي بإفرقية مع ظهور القاضي سحنون ، الذي تولى القضاء بالقيسروان في سنة ٢٣٤هـ / ٨٤٨م في عهد محمد بن الأغلب (حكم : ٢٢٦ - ٢٤٢هـ / ٨٤٠ - ٨٥٦م) (٣) ، وسحنون يعد إمام المالكية بالمغرب بلا منازع وكل من جاء بعده تلميذ له وعنه تلقى علمه (٤) ، وبكر ممن سمع عن سحنون قبل رحلته إلى المشرق كما ذكرت سابقا ، فلعله تبعه في مذهبه .

(١) أحمد بن عبد الله العجلي الكوفي ، معرفة الثقات ، نج : عبد العظيم البستوي ، المكتبة الأئمة للسنة النبوية ، مركز التراث ، صتان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٢٥٤ .

(٢) الباروني ، الأزهار ، ٩٠/٢ .

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، مركز التراث للحاسب الآلي ، عشان ، الأردن ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٢٢٢ . ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداه الإيمان .

(٤) ٩٨/٢ ، (www.al-eman.com) .

(٤) ابن كثير ، مصدر سابق ، ٣٢٢/٣ .

أضف إلى ذلك أن ابن عبد البر يورد في كتابه (التمهيد) الكثير من الأحاديث من رواية بكر بن حماد ، وابن عبد البر مالكي المذهب من قرطبة ^(١) ، لعل سبب اهتمامه بجمع الأحاديث من رواية بكر كون الأخير مالكي المذهب .

والحقيقة أن أبا يعقوب الوارجلاني لم يتعرض لمذهب بكر بن حماد حينما ذكره في سلسلة حديث ساقه في كتابه (الدليل والرهان) كما مر آنفاً .

وقد نبغ بكر بن حماد في الشعر أيما نبوغ ونظم قصائد جيدة في أغراض مختلفة كالوصف والمدح والمهجع والثناء والاعتذار والزهد والوعظ .

وشعر ابن حماد مبهر بين صفحات الكتب وثايا المخطوطات ، وقد بذل الأستاذ محمد شاوش جهده في جمع ما استطاع من شعره من مختلف المصادر التي تمكن من الحصول عليها ، فعر بعد البحث الطويل المستمر حسبما يذكر على نحو المائة وعشر (١١٠) أبيات من شعره لا غير ، هذا ولم يقطع الأمل في اكتشاف غيرها في المستقبل ، ويذكر أحد سكان ولاية تيهزت في عصرنا هذا أن إمام جامع تيهزت المتوفى قبل سنوات عثر في تركيا على ديوان شعر لبكر بن حماد .

ولعل جودة شعر ابن حماد تعود إلى ترحاله المستمر ، حيث رحل إلى المشرق كما ذكرنا وهو شاب فالنقى هناك بفتاحل شعراء القرن الثالث الهجري مثل دعبيل الخزاعي ، وأبي تمام الطائي ، وعلي بن الجهم ، فكان هذه الرحلة التأثير الأكبر على فكره واستعرابه ، كما أن دراسته في القيروان أتاحت له فرصة للاختلاط بأناس كانوا عريقين في عروبتهم .

ويصنف الأستاذ بونار ابن حماد في الشعراء المطوعين ، وهم قلة ، فيقول : * إن هذه الشخصية هي أنبغ شخصية في الشعر الفناني بالمغرب العربي عامة ، ولا نجد نظيرها في عمق تفكيرها وأصالتها البيانية وامتلاكها لموهبة شعرية محترمة إلا في الأندلس ... وبحق لمؤرخ الأدب في هذا العصر أن يصرح بأن ظهور بكر بن حماد في القرن الثالث ... هو أكبر مفخرة للأدب العربي المغربي ^(٢) .

(١) محمد بن طاهر بن التيمراني ، تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، المكتبة الأنثوية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ١١٣ .
(٢) انظر ما سبق : بحار ، الدولة الرسمية ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ ، ٣١١ - ٣١٢ بتصرف ..

وأما الباروني فإنه يصفه بقوله : * ... العلامة الأديب صاحب النظم العجيب والإنشاء الغريب المشهور في الشرق والغرب بين أرباب العلم والأدب ... بكسر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي ... ^(١) .

ونذكر هنا بعض الأبيات لشاعرنا فمن ذلك ما قاله معتلرا من الإمام أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان (حكم الدولة الرستمية : ٢٨١هـ / ٨٩٤م - ٢٩٤هـ / ٩٠٦م) عن خطي ارتكبه ^(٢) :

ومؤنسة لي بالعراق تركتها	وغصن شايي في الفصون نضر
فقلت كما قال النواصي قبلها	عزيز علينا أن تراك تسيرو
فقلت جفائي يوسف بن محمد	فطال علي الليل وهو قصير
أها حاتم ما كان ما كان بفضة	ولكن أت بعد الأمور أمور
فأكرهني قوم خشيت عقابهم	فدايرتهم والدايرت تدرور
وأكرم عفو يؤثر الناس أمره	إذا ما عفا الإنسان وهو قدير

وقد اشتهر ابن حماد بشعر الزهد والتصوف حتى شبه بأبي العتاهية اعتقادا منهم أنه تأثر به أثناء رحلته إلى المشرق ، فمن شعره في الزهد ^(٣) :

قف بالقبور فناد الهامدين بما	من أعظم بليت ليها وأجساد
قوم تقطعت الأسباب بينهم	من الوصال وصاروا تحت أطواد
راحوا جميعا على الأقدام وابتكروا	فلن يروحوا ولن يخلدو لهم غادي
والله والله لو ردوا ولو نطقوا	إذا لقالوا التقى من الفضل الزاد

ويقول في نفس القصيدة :

أين البقاء وهذا الموت يطلبنا	هيهات هيهات يا بكر بن حماد
يَبْنَا ^(٤) ترى المرء في لحو وفي لعب	حتى تراه على نعش وأعواد

^(١) الباروني ، الأزهار ، ٩٠/٢ .

^(٢) البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص ٢٠٦ - بحار ، الدولة الرستمية ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

^(٣) الباروني ، مصدر سابق ، ٩٥/٢ - بحار ، مصدر سابق ، ص ٢٦٤ .

^(٤) يَبْنَا : أي يَبْنُ ، فاستُخِجَ الفتحه فحذفت بعدها الف ، ومن ذلك ما أنشده سيديه : =

إلى أن قال :

في كل يوم نرى نمشا نشبهه فرائح فارق الأحباب أو غادي
الموت يهدم ما تنبه من فرح فما انتظارك يا بكر بن حماد ؟

وكان كثير العلاقة بالملوك والأمراء ، يمدحهم ويهجوهم حتى كان ينال منهم ما يرجوه ، وقد هجا الخليفة العباسي المعتصم ، بالرغم من أنه وصله بصلات جزيلة ، كما وصله الأمراء الأغلبة والأدارسة ^(١) ، فمما قاله مادحا أبا العيش عيسى بن إدريس العلوي ^(٢) :

سائل زواغة عن طعان سيوفه ورماحه في العارض المتهلهل
وديار نفزة كيف داس حريمها والخيال تمرغ في الوشيج الذبل
غشى مفيلة بالسيوف مذلة وسقى جراوة من نقيع الخنظل
وقال أباانا إلى المعتصم يحرضه فيها على دعبل ^(٣) :

أبهجو أمير المؤمنين ورهطه وعشي ^(٤) على الأرض العريضة دعبل
أما والذي أرسى لیسرا مكانه لقد كادت الدنيا لئذاك تنزل
ولكن أمير المؤمنين بفضله بهم فيعفو أو يقول فيفضل

لعاتبه حبيب فيه وقال له : قتلته والله يا أبا بكر ^(٥) ؛ فقال :

وعائني فيه حبيب وقال لي لسانك محذور وسمك يقتل
وإني وإن صرفت في الشعر منطقي لأنصف فيما قلت فيه وأعدل

فَبَيْتًا نَحْنُ نَرْتَقِيهِ ، لَأَتَقَا مُتَّقٍ وَفَضَّةً ، وَزَنَادِرَاع

(انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، بين) .

^(١) بحار ، الدولة الرستمية ، ص ٣٦٥ .

^(٢) الباروني ، الأزهار ، ٩٠/٢ .

^(٣) الباروني ، مصدر سابق ، ٩١/٢ .

^(٤) في الأصل (ويشي) ولعله خطأ مطبعي ، وربما الأصح (ويمشي) ، فيتضح بذلك معنى البيت .

^(٥) لا أدري لماذا قال : أبا بكر ، بالرغم أن اسمه بكر بن حماد ، قيل هو خطأ مطبعي أو بسبب التباس ، أم أنه يوجد خلاف في اسمه ؟ الله اعلم .

هذا ولما عاد إلى المشرق قصد القَيْرَوَانَ فوشي به إلى صاحبها ، فهرب وكان معه ابنه عبد الرحمن ، فاعترضهم في الطريق بعض اللصوص واعتدوا عليهما فجرحوه وقتلوا ابنه ، فأنثر كثيرا لفقده ابنه ، وجاشت قريحته بروائع القصائد في رثاء ابنه معبرا فيها عما يعتلج في صدره من اللوعة والحسرة لفقده ولده ، فمن ذلك قصيدة طويلة قال في مطلعها ^(١) :

بكيت على الأحبة إذ تولسوا ولو أني هلكت بكسوا عليا
فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا ولقدك فد كوى الأكباد كيا
كفا حزنا بأني منك خلسو وأنك ميت وبقيت حيا
ولم أك آيسا فينت لما رميت التراب فوقك من يدسا

وقد اختلف في سنة وفاته فذهب إبراهيم طلاي - محقق طبقات المشايخ - إلى أنه توفي في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م ، ولم يذكر المصادر التي اعتمد عليها ^(٢) ، والدكتور مجاز يذكر أنه توفي في ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ^(٣) ، ولعله الأصح ، حيث إن الشيخ الباروني ذكر أن وفاته كانت سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م بقلعة ابن حجة بجولي مدينة تَنْهَرْت ، وهو ابن سنة وتسعين سنة ، ناقلا ذلك عن المراكشي ^(٤) .

^(١) انظر بفتحها في: الباروني ، الأزهار ، ٩٢/٢ .

^(٢) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٤٢/١ الهامش .

^(٣) مجاز ، الدولة الرستمية ، ص ٣٠٨ .

^(٤) الباروني ، مصدر سابق ، ٩٧/٢ .

(٨)

الدَّوْلَةُ الرُّسْتَمِيَّةُ

دَوْلَةُ إِسْلَامِيَّةٌ تَجَاهَلَهَا التَّارِيخُ

الدولة الرستمية دولة إسلامية تجاهلها التاريخ^(١)

مصدر

لقد سمعنا عن الكثير من الدول الإسلامية التي نشأت وسقطت على مر التاريخ الإسلامي ، كالدولة الأموية والعباسية والصفوية بالشرق ، والدولة المديونية والإدرسية والفاطمية بالمغرب ، وغيرها من الدول الإسلامية الأخرى التي فصل التاريخ في ذكرها .

وهذه الدول لها إنجازاتها ولها سلباتها ، وقد قدمت للأمة الإسلامية محاسن ، إلا أنها كذلك لم تغل من المساوى التي نجدها عند قراءة تاريخها ، وهذه طبيعة البشر القصور عن الكمال .
إلا أن هناك دولاً إسلامية قامت ونشأت واستمرت ودحا من الزمن إلى أن سقطت ، وقدمت للأمة الإسلامية الشيء الكثير ، وقد يكون ما قدمته يفوق ما قدمته الدول الأخرى المشهورة والمعروفة عند الخاصة والعامة .

ومن هذه الدول من سار على نهج الخلافة الراشدة ، وتطبيق مبدأ الشورى ، سواء في انتخاب الحاكم أو في حكم الرعية ، إلا أنه وللأسف الشديد لا نعرف عن هذه الدول الشيء الكثير ، وإذا وصلنا شيء فهو نزر قليل لا يفي للتعرف على جميع جوانب تلك الدول والظروف التي عاشتها والخدمات الجليلة التي قدمتها للأمة الإسلامية ، وكذلك لا يخلو من التشويه والتحريف .

وتجاهل هذه الدول من قبل كتاب التاريخ يعود إلى عدة أسباب كالتعصب المذهبية ، والمصالح السياسية ، والإغراءات المادية وما شابه ذلك من الأسباب التي ليس هذا محل ذكرها .

ومن هذه الدول التي يجهلها الكثير ، دولة إسلامية عريقة نشأت في المغرب في سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م ، واستمرت إلى سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ، أي أنها استمرت لمدة ١٣٦ سنة^(٢) حتى

(١) نشر هذا البحث سابقاً في :

جريدة الوطن العمانية ، على هذه الوصلة :

<http://www.alwatan.com/graphics/2002/09sep/12.9/heads/rt2.htm>

موقع الأمل المشرق (www.alam.net) .

موقع الشبكة العمانية ، مجلة الدين ، (www.omania.net) .

(٢) الباروني ، الأزهر الرياضية ، ٤٣/٢ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ - بحار ، الدولة الرستمية ، ص ١١٠ .

وقد خدمت هذه الدولة الأمة في الكثير من الجوانب سواء في الجانب الثقافي والعلمي ، أو في الجانب الاقتصادي والاجتماعي ، أو في الجانب المعماري ، وحتى في الجانب السياسي ، فضلا عن خدماتها الجليلة في نشر الإسلام في أعماق إفريقيا .

فما اسم هذه الدولة ؟ ومن أنشأها ؟ وكيف نشأت ؟ وما الذي قدمته للأمة الإسلامية ؟ هذا ما سنحاول أن نتعرف عليه من خلال هذا البحث .

إن هذه الدولة هي الدولة الرُّسْتَيْمِيَّة التي نشأت في المغرب الأوسط - الجزائر حاليا - على يد الإمام عبد الرحمن بن رستم ^(١) .

لمن هو الإمام عبد الرحمن بن رستم ؟

هو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى ، ولد في العراق في العقد الأول من القرن الثاني الهجري على أكبر تقدير ، ويرجع في نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس ، فهم أجداده ، إلا أن بعض المؤرخين يعيدون نسبه إلى اللذارقة ملوك الأندلس قبل الإسلام ، والمهم في هذا أنه سليل بيت الملوك قبل الإسلام ، سواء كانوا من الفرس أم من اللذارقة ^(٢) .

سافر أبوه به وأمه من العراق إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، إلا أن الأب وافاه أجله ، وترك يتيما وأرملة ، فتزوجت أمه برجل من أهل المغرب ، فأخذها وابنها عبد الرحمن إلى القيروان ^(٣) .

نشأ عبد الرحمن في القيروان ، وصادف هناك نشر الدعوة الإباضية في تلك الربوع فعلق لها ، ونصحها أحد الدعاة بالسفر إلى المشرق لتلقي المزيد من العلم على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت : ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) ، إمام الإباضية في ذلك الوقت ^(٤) .

^(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٨١ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٤١/١ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٥ .
^(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٤ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ١٩/١ - ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ، كولان و إ . - ليني برونسمال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٩٨٣ م ، ص ١٩٦ - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداه الإيمان (www.al-eman.com) ، ١٨٣/٣ ، ١٨٤ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، موقع الورواق (www.alwaraq.com) ، ص ٣٩٧ - محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المصطفى في خبر الأقطار ، موقع الورواق (www.alwaraq.com) ، ص ١٣٠ - الزركلي ، الأعلام ، موقع الورواق (www.alwaraq.com) ، ص ٤١٩ - بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢١٦/٢ ، رقم الترجمة : ٥٤٤ .

^(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٥ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٠/١ - بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ٢٤٧/٢ ، رقم الترجمة : ٥٤٤ .

^(٤) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٥ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٠/١ - بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ٢٤٧/٢ ، رقم الترجمة : ٥٤٤ .

توجه إلى البصرة ، وظل مع الإمام أبي عبيدة لمدة خمس سنوات يدرس في السرداب الذي انده هذا الإمام تحت الأرض خوفاً من عيون الأمويين والعباسيين من بعدهم^(١) .

عاد عبد الرحمن مع أصحابه حملة العلم إلى المغرب ، وكان من ضمنهم أول إمام للإباضية بوبع في المغرب ، وهو الإمام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المَعَالِقي البني (ت : ١٤٤هـ / ٧٦١م)^(٢) ، وقد ذكرت بعض المصادر ظهور أئمة للإباضية قبل الإمام أبي الخطاب ، كالإمام الحارث بن تليد الحضرمي (ت بين : ١٣١هـ / ٧٤٨م و ١٤٠هـ / ٧٥٧م) ، والإمام أبي الزُّبَيْرِ إِسْمَاعِيلِ بن زياد التَّمُوسِي (ت : ١٤٠هـ / ٧٥٧م)^(٣) ، إلا أن بعض الباحثين يعتبر أن الإمام أبا الخطاب هو أول إمام للإباضية في المغرب ، وذلك أنه استطاع أن يقيم دولة للإباضية في هذه الربوع^(٤) .

بعد أن وصل حملة العلم إلى المغرب ، هياؤا الأجواء لإقامة دولتهم ، فلما ساحت لهم الفرصة في سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م بايعوا أبا الخطاب المعالقي بالإمامة ، بأمر من شيخهم أبي عبيدة^(٥) . لما انقضت أربع سنوات على قيام دولة أبي الخطاب في المغرب ، وجه أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي (ت : ١٥٨هـ / ٧٧٤م) جيشاً بقيادة محمد بن الأشعث الحزاعي ، فاستطاع هذا الأخير القضاء على دولة الإمام أبي الخطاب في معركة عيفة سنة ١٤٤هـ / ٧٦١م ، استشهد فيها الإمام أبو الخطاب^(٦) .

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٥٥ - الدرر جوني ، طبقات المشايخ ، ٢٠/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٠٨ ، ١٣٧ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١١٩ ، ١٤٩ .

(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٦ - الدرر جوني ، مصدر سابق ، ٢٠/١ .

(٣) قسطنطي ، السير ، ١١٤/١ - معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٠ ، ١٤٥ ، ص ٤٧ ، ج ٢ ، ص ٢٢ ، ج ٣ ، ص ٤٤ ، ص ٢٢ - ٢٣ : عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ ، ١٤٢ - بجز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٥٦/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٨ ، ١١٩/٢ ، رقم الترجمة : ٢٥٣ .

(٤) لقاء مع الشيخ أحمد بن سعود الصبائي في سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

(٥) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١١٧ ، ١١٨ - أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٩ - ٥٧ - الدرر جوني ، مصدر سابق ، ٢٦/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٤٨ - محمد ناصر ، مصدر سابق ، ص ١٥٠ .

(٦) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ١٢١ - أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٦٩ - الدرر جوني ، مصدر سابق ، ٢٤/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ - ١٥٣ - محمد ناصر ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ .

ويقول ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية : " ... ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الأموات ، وغرس البساتين ، وإجراء الأنهر ^(١) ، واتخاذ الرحاء ^(٢) والمستلقات وغير ذلك ، وتسعوا في البلد وتفسحوا فيه ، وأنتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار ، قال : لس أحد يول بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رضاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله ... " ^(٣) .

وينقل لنا يعقوبي وصفا دقيقا لتَبَهَّرَتْ نقله عن أحد أحفاد أئمة الدولة الرستمية واسمه عبد الرحمن بن محمد فيقول : " حدثني أبو معبد عبد الرحمن بن محمد بن ميمون بن عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رستم التاهريّ قال : تاهرت مدينة كبيرة ، أهلة بين جبال وأودية ، ليس لها لضاء ، بينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاث رحلات ، في مستوى من الأرض ، ولي بعضها سباح ، ووادٍ يقال له وادي شلف ، وعليه قرى وعمارة ، يفيض كما يفيض نيل مصر ، يزرع عليه العصفور والكتان والسمسّم ، وغير ذلك من الحبوب ؛ ويصير إلى جبل يقال له أنقيق ، ثم يترج إلى بلد نفزة ، ثم يصير إلى البحر المالح . وشرب أهل مدينة تاهرت من أنهار وعيون ، يأتي بعضها من صحراء ، وبعضها من جبل قبلي ، يقال له جزول . لم يجذب زرع ذلك البلد قط ، إلا أن يصيه ربح أو برد . وهو جبل متصل بالسوس ، يسميه أهل السوس درن ، ويسمى بتاهرت جزول ، ويسمى بالزاب أوراس " ^(٤) .

وما أن وصلت سنة ١٦٦٠هـ / ٧٧٦م حتى قام العلماء وأهل تَبَهَّرَتْ بمبايعة عبد الرحمن إماما عليهم ، وهو حري بهذا المنصب ، فهو الذي استطاع أن يبنى لهم هذه المدينة ، وهو الذي خصه شيخه أبو عبيدة بقوله له : " ألت بما سمعت مني وما لم تسمع " ^(٥) .

(١) هكذا في الأصل ، والأصح (الأنهار) ، فلتنهر يجمع على أنهار ونهر ونهور (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، نهر ، قرص منجم) .

(٢) الرّحى تجمع على أرّح وأرّحاء ورّحى ورحى وأرّحية والأخيرة نغرة ، لذلك يكون استعمال (الرحاء) خطأ (انظر : ابن منظور ، مصدر سابق ، رحا ، قرص منجم) .

(٣) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٥-٣٦ .

(٤) يعقوبي ، البلدان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٥٠ .

(٥) عوض خاينقات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٨ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٤ - بحاز ، النولة الرستمية ، ص ١١٠ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٤٧/٢ ، رقم الترجمة : ٥٤٤ .

وذكر ابن الصغير كلاما جميلا في وصف مبايعة الإمام عبد الرحمن قال : * ... لما نزلت الإباضية مدينة تاهرت وأرادوا عمارتها اجتمع رؤسائهم فقالوا : قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام لرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقوم صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقسم لنا ، فقبلوا أمرهم فيما بينهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر يدبر أمر القبيل ويستحق أمر الإمامة ، فقال بعضهم لبعض : أئتم رؤساء ولا نأمن أن يتقدم واحد على صاحبه ففسد نيته ، ولعل المقدم أن يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم ، ففسد النيات ويكثر الاختلاف ويقبل الائتلاف ، ولكن هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه ، ولد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضيا وناظرا ، فقلدوه أموركم ، فإن عدل فلذلك الذي أردتم ، وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه ؛ فاجتمعوا رأيهم على ذلك ثم فضوا إليه بأجمعهم وقالوا : يا عبد الرحمن رضيك الإمام في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك وتقدمك على أنفسنا ، فقد علمت أنه لا يصلح أمرنا إلا إمام نلجأ إليه في أمورنا ، ونحكم عنده فيما يتوب من أسابنا ؛ فقال لهم : إن أعطيتوني عهد الله وميثاقه لتستطيعوا إليّ ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم ، فأعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك ، وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم ، وقدموه على أنفسهم وألقوا إليه بأيديهم * (١) .

وقد تولى الحكم في الدولة الرستمية عدد من الأئمة العدل ، يتم اختيارهم من قبل العلماء والرعية ، فكانت الدولة الرستمية سائرة على نهج الخلافة الراشدة ، وقد يتبادر إلى ذهن البعض أن الحكم في الدولة الرستمية وراثي بسبب كون جميع من حكم من سلالة الإمام عبد الرحمن ، ولكن الأمر بخلاف ذلك ، وقد تكفل بعض الباحثين بكشف اللبس في هذه القضية كالشيخ علي يحيى معمر ، وذكر عدة أدلة تدل على أن نظام الحكم في الدولة الرستمية ليس وراثيا ، وإنما كان يرسم خطى الخلافة الراشدة بتطبيق مبدأ الشورى ، وتكفل أهل الحل والعقد من العلماء باختيار الإمام الجديد (٢) .

(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٢٩ - ٣١ .

(٢) معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤ ، ح ٢٠ - ٢٤ .

ولجد الأستاذ عثمان الكماك يوضح هذه الحقيقة ليقول : " ينتخب الإمام وجوه المدينة وزعماء الذهب وشيوخ الدين بحرية ، من غير مسالة ، ولا تقاليد ، ولا ولاء في قرابة أو أصدقاء أو سلطان ، يراعون فيه المعرفة والدراية والتحكك والدهاء ، والعدل والإنصاف يجريهما على نفسه قبل ذوي قرابته وعلى ذوي قرابته قبل الحاشية أو عموم السكان ، وإن هم رأوا فيه عوجاجا لوموه بالسيف لا بالرفق واللين ، وأنزلوه من أريكته من غير وجل أو أسف أو اعتبار " (١) .

وأما عن سبب اختيار أهل الحل والعقد الإمام من أبناء الإمام عبد الرحمن فذلك يعود إلى توفر الصفات والشروط المطلوبة في الإمام من صلاح وتقوى وعلم وحنكة سياسية وغيرها من الصفات ، وقد رد د/ محمد صالح ناصر على من أقم الدولة الرسمية وأتباعها أقم طبقوا نظام الورثة والملك المضود فقال : * ... وهذه مغالطة ، لأن كتب التاريخ تشهد أن الرسميين كانوا يطبقون الشورى والانتخاب عند تولية كل إمام ، وما ذنب الرسميين إن كانت الكفاءة والواعة والتقوى ترشحهم كل مرة للفوز برضى الأمة التي ارتضتهم " (٢) .

يذهب بعض الباحثين إلى أن العنصر البربري كان نافرا من تولية بعضه البعض ، لكن وجود الرسميين وهم من غير البربر ادعى إلى إذهاب هذه الوعة ، أضف إلى ذلك أن الرسميين لا عصة لهم فلا يمكن تصور استبداد يمكن أن يحصل منهم (٣) ؛ ووجهة النظر هذه لها محلها من الاعتبار ، فكلام ابن الصغير السابق في وصف مبايعة الإمام عبد الرحمن بن رسم يؤكد ذلك ، حيث فضل أهل تَهَيَّرَت مبايعة عبد الرحمن بن رسم لكونه متصفا بالصلاح والعلم والقيادة ، وكذلك لكونه لا ينتمي إلى قبائل البربر : * ... فقال بعضهم لبعض : أنتم رؤساء ولا نأمن أن يتقدم واحد على صاحبه ففُضد نيه ولعل المقدم أن يرفع أهل بيته وعشورته على غيرهم ففُضد البات ويكثر الاختلاف ... ولكن هذا عبد الرحمن بن رسم لا قبيلة له يشرف لها ولا عشيرة له تحبه ... فقلدوه أموركم فإن عدل فذلك الذي أردتم وإن سار فيكم بغير عدل عزلموه ولم تكن له قبيلة تتعنه ولا عشيرة تدفع عنه ... " (٤) .

(١) معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ٣ ، ح ٤ ، ص ٣٢ .

(٢) محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ٢١٥ .

(٣) لقاء مع خالد بن مبارك الوهبي ، ممقط ، مطبنة عمان ، ٤ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٨ من سبتمبر ٢٠٠٥م .

(٤) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرسميين ، ص ٢٩-٣١ .

وقد اشتهرت هذه الدولة بنظام الشورى المطبق فيها ، وبعدالة أئمتها ، وصلاحتهم وتقواهم وعلمهم ، وبازدهارها ، وقد كان يعيش تحت ظلها أتباع كل المذاهب الإسلامية ، وكانوا يمارسون عبادتهم بكل حرية وأمان ، وكانت لهم مساجدهم ويوقم الخاصة التي يعيشون فيها مصابي الحرق بعدل وإنصاف من غير تفریق بين مذهب ومذهب ، قال ابن الصغیر : " ... وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار ... ليس أحد يول بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم ، لما يرى من رعاة البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته ، وأمانته على نفسه وماله ، حتى لا ترى داراً إلا قبل هذه للفلان الكوفي ، وهذه للفلان البصري ، وهذه للفلان القروي ، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين ... " (١)

وإبن الصغیر هذا نفسه كان شيعياً وقيل مالكياً ، ومال د/ محمد صالح و د/ إبراهيم بخّاز إلى أنه شيعي المذهب إلا أنه لم يبحسما في ذلك (٢) ، وذلك لتصريح ابن الصغیر بمجوله العلوية في عدة مواضع من كتابه من ذلك مثلاً قوله : " ... فنحن وإن ذكرنا سيرهم على ما اتصل بنا وعلمهم فيما لوه فلسنا ممن تعجبه طلالة ألعالم ، ولا حسن سيرهم ، لما نعلمه من براءتهم (٣) ممن والاه

(١) ابن الصغیر ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٦ .

(٢) ابن الصغیر ، مصدر سابق ، ص ١٢-١٤ .

(٣) إن تصوم الحكم على الإباضية بأنهم يبرأون من الإسلام علي - كرم الله وجهه - بعد قراءة مجتزأة لترات الإباضية ، فهذا يمثل قولاً واحداً من أئمتهم ، فهناك أيضاً من الإباضية من يرى توبة الإمام علي ونسبه على قتله أهل النهروان ، وقد أورد البرادي (حي : ٨١٠ / ١٤٠٧ م) في (الجواهر المنقطة) وكذلك الشماخي (ت : ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م) في سيرة عدة نصوص يتضح فيها جلياً ندم الإمام علي وحسرتة لقتله أهل النهروان ، من ذلك قول الإمام علي في أهل النهروان : " والله إن كنتم لأصحاب النار يوم الدار وأصحاب الجمل يوم الجمل وأصحاب صفين يوم صفين ، وأصحاب القرآن إذا تلى القرآن " ، وعن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس قال : " حدثني قنبر مولى علي قال : لما قتل علي أهل النهر توحدت أنا وإياه إلى النهر ليختمل ، قتل : فبينما نحن هناك إذ كب علي بيكي طويلاً ، فقلت : ما بيكي يا أمير المؤمنين ؟ قتل : ويحك يا قنبر تدري من صرعا ما هنا ؟ خول هذه الأمة وقرآنها ، فقلت : يا أمير المؤمنين أي والله فإبك ، قتل : ويحك يا قنبر جذعت أنفي وشفت غيظي ، فأنكب بيكي طويلاً " ، قال البرادي مطناً على هذه الرواية : " وأظهر الندامة على قتله إياهم ، وعرف ذلك من حاله " ، وكان أصحاب علي يعاقبونه على قتله لأهل النهروان ويبدون ندمهم وأسفهم على ذلك فيقولون له : " قتلتما قوما ثم صرنا تخرمهم وتمحهم وتزيين أمرهم " ، وعن عتاب بن المغيرة عن الشعبي قال : فلما قدم علي الكوفة بعد قتل أهل النهر قال له ابنه الحسن : يا أبت هل قتلتما القوم ؟ قال : نعم ، قال : لا يرى عليهم الجنة ، قال : لبت أني أدخلها ولو حبوا ، قال [أي الشعبي] : فبينما علي بالكوفة إذ اعتقدت تلك الأصوات التي كان يصيحها بالليل كأنها دوي النحل ، قال : أين أسد النهار وريحان الليل ؟ قالوا : قتلناهم يوم النهر ، قال : هم قراؤنا ومجتهدونا " ، وكان الإمام علي ياتي للتسلي ويستغفر لهم ويقول : " ما صنعنا قلنا خولنا وقتلناهمنا " ، ويذكر ابن أبي الحديد (ت : ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) نسا عن الإمام علي ينهي فيه عن قتل الخوارج فيقول : " لا تقتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه " ، ويقول الشيخ محمد بن =

= شامس البطاشي (ت : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) : " ويبدو أن عليا تاب من قتلهم فبقه صمحه ومع والندم توبة ولا عورة بما يرويه غيرنا " ، ويقول مساححة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي : " أما بالنسبة للخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - فإن الإيضاح لا يزيلون عن حكاية ما حدث في عهده ، ولا يتألمون من شخصه شيئا ، وهم أكثر الناس تقديرا له واحتراما لاصحبه رسول الله ﷺ وقرابته منه ... وإذا جئنا إلى ما كتبه الإيضاح في ذلك نجد كتابتهم تلمس بالأدب والحشمة ، وتعظيم مقام الإمام علي ، واحترام قرابته من النبي ﷺ حتى في مقام العتاب ... وهكذا كان كلامهم كله يسر باحترام الإمام علي وتقديره ، وإنما كانوا يماقبتونه على قبول التحكيم ، ونحن نقول : إن قبوله التحكيم كان ليس عن رضى منه كما يتم عن ذلك كلامه بنفسه ، وهذه القضية تحتاج إلى دراسة ولست أريد أن أخوض فيها وأتحدث عنها طويلا وإنما بحسبي ما قلته ، والذي أصرح به بأن جميع الإيضاحية مستعدون أن يطروا مصاحف تلك الفتى التي حدثت في عهد أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا يتيسوا فيها ببنت شفة ، ولا يخطوا فيها حرفا واحدا ، ولكن لا بد من احترام أهل الفهروان أيضا وعدم النيل منهم ، فوجب على المسلمين جميعا أن يتساعتوا على الكف عن الفحوص في تلك الفتى حتى تعدم للمسلمين وحدتهم ، ولا يثيروا أشتباه حدثت قبل أربعة عشر قرنا هم في اللف غنى عن إثارتها في هذا العصر الذي هم فيه أحوج ما يكونون إلى ما يجمع الشمل ويؤلف بين القلوب والله تعالى ولي التوفيق " . وحول البراءة من الإمام علي - كرم الله وجهه - فإنه ينبغي التأكيد على أن الدين لا يوزن بالأشخاص ، وإنما هو ما وافق كتاب الله تعالى والسنة الصحيحة الثابتة ، والحق لا يقاس بحب فلان أو بغضه ، فليس حب الإمام علي أو بغضه وليس موافقة الإمام علي أو مخالفته هو الميزان الذي يوزن به الحق ! ، وإنما الميزان هو الموافقة للقرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة حتى وإن خالف زيدا أو عمرا ، ولو كان الميزان علي بن أبي طالب لما خرج عليه طلحة والزبير وعاشة أم المؤمنين يوم الجمل ، ومعاوية وصرو يوم صفين ، وكذلك لما اعترض عليه عمار بن ياسر وأهل الفهروان ولم يوافقوه على التحكيم وفيهم كبار الصحابة وقرازمهم ، وكذلك لما فرقه ابن عباس بعد منظرته لأهل النهروان ، ولم يشترك معه في قتلهم ، ولو كان علي هو الميزان للحق لما وجدنا بعض كبار التابعين كالحسن البصري ينكر عليه قبوله التحكيم ويقول كما ينكر السيد : " لم يزل أمير المؤمنين علي - رحمه الله - يتعرقه النسر ، ويساعده الظفر حتى حكم ، فلم تحمك والحق معك ، إلا وانصني كلما لا أب لك وأنت علي الحق " ، وكان ملك بن أسد ينكر عثمان وعلياً وطلحة والزبير فيقول : " والله ما اعتقوا إلا على الشريد الأغر " ، وعصوما بخصوص موقف الإيضاحية من الإمام علي - كرم الله وجهه - فإن التقييم فيه هو كلام مساححة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي وقد مر ذكره . (انظر : هاشم بن غيلان ، السير : سيرة هاشم بن غيلان ، ١٣٩ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، الشمالي ، السير ، ٥١/١ ، ٥٢ - جدول بن خبوس الصديقي ، قاموس الشريعة الحجازي طرقها الوسيعة ، ٧ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ٣٠٩ - ٣١٠ - عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٥ ، تب : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، ٧٨ - خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ١ ، مركز التراث ، التاريخ ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، عتاق ، الأردن ، ١٨٢ ، ١٨٢ ، ١٨٢ - أحمد بن محمد بن عبد بن جابر البغدادي ، أنساب الأشراف ، ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، ٢٩٦ - السيد ، الكامل في اللغة والأدب ، ٢/ ١١٤ - ١١٥ - محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ٣ ، مركز التراث ، التاريخ ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، عتاق ، الأردن ، ٢٣٥ ، ٤١ ، ٦١ - أحمد بن محمد بن عبد ربه ، المقف الفرد ، ٥ ، تب : عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ١٠٤ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٣١/٧ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ - محمد بن شامس البطاشي ، كلفنغ عن الإضاحية في اختلاف الصحابة ، مكتبة الضامري ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٢٢ - أحمد بن حمد الخليلي ، موقف الإيضاحية من الخليليين عثمان وعلي ، شريط سمعي ، تسجيلات مشرق الأنوار ، روي ، سلطنة عمان - لقاء مجلة جبرين مع مساححة الشيخ الخليلي حول السجدة الإسلامية ، مجلة جبرين : مجلة تصنف سوية تصدورها اللجنة الثقافية بنادي طلبة عمان في الأردن ، موقع مكتبة اللدوة ، صفحة مساححة الشيخ ، لتأريخ وحرارات ، على هذا الرابط <http://www.alnadwa.net/alkhalilii/jabreen.htm>) - ناصر بن سليمان لاسبيعي ، الخوارج والحقيقة الغائبة ، مكتبة الجول الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ٨٧ - (٩١) .

رسول الله ﷺ وقال: « من كنت مولاه فعليّ مولاه »^(١) وقد كان يعيش في تَهْرَمْت العاصمة الرسمية في عهد الإمام أبي القظان محمد بن الفلح (حكم : ٢٦١هـ / ٨٧٤م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م)^(٢).

وليس هذا فحسب بل كان يعيش في الدولة الرسمية أصحاب الديانات الأخرى كاليهود والنصارى ، وكانوا يعملون في مهن مهمة كالطب والتجارة والصناعة خاصة صناعة أصباغ النسيج ، وقد كانت للنصارى كمية واحدة على الأقل يمارسون فيها عبادتهم^(٣).

(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميّين ، ص ٣١ . والرواية التي استدل بها ابن الصغير رواها الترمذي من طريق زيد بن أرمك بنسب اللفظ حديث رقم : ٣٧٢٢ ، ورواها ابن ماجة في سننه من طريق سعد بن أبي وقاص بنسب اللفظ حديث رقم : ١٢١ ، ومن طريق البراء بن عازب بلفظ : « فهذا ولي من أنا مولاه ، اللهم وال من والاه ، اللهم عد من عاداه » حديث رقم : ١١٦٦ ، والحقبة أن هذه الرواية طعن في صحتها عدد من أهل العلم ، قال ابن حزم : « وأما « من كنت مولاه فعليّ مولاه » فلا يصح من طريق الثقات أصلاً » ، وقال ابن تيمية : « وأما قوله : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » فليس هو في الصحاح ، لكن هو مما رواه العلماء ، وتنازع الناس في صحته ، فنقل عن البخاري وإبراهيم الحاربي وطلقة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضخوه ، ونقل عن أحمد بن حنبل أنه حمله كما حمله الترمذي » ، وقال - أي ابن تيمية - : « وأما الزيادة وهي قوله : « اللهم وال من والاه وعد من عاداه .. » إلخ ، فلا ريب أنه كذب » ، وقال الزيلعي : « وكمن من حديث كثرت رواته وتحدثت طرقه ، وهو حديث ضعيف ؟ كحديث : الطور ، وحديث الحاجم والمحموم ، وحديث : من كنت مولاه ، فعليّ مولاه ، بل قد لا يزيد الحديث كثرة الطرق إلا ضعفاً » ، ومن أهل العلم من أولاه بمعنى أن علياً يتولى من يتولا الرسول ﷺ ويحب من يحبه ﷺ ، قال القرني : « معناه : من كنت أولاه فعليّ يتولا ، من الولي ضد العدو ، أي : من كنت أحبه فعليّ يحبه ، وقيل معناه : من يتولاني تولاه » ، وقال فطاب الأئمة محمد بن يوسف الطفيش في هذا الحديث : « ويجاب بأن الحديث غير ثابت ، ودعوى توأته مكفرة ، وقد طعن فيه أبو داود السجستاني وأبو حاتم الرازي وغيرهما من أئمة الحديث ، ولم يذكر في البخاري ومسلم وأحمد وإسحاق ، وأيضاً المولى بمعنى : الناصر ، بليل آخر الحديث ، وأيضاً لم يُعرف في العربية "مفعل" بمعنى : "أفعل" ، فلا يتوابعه أول الحديث المذكور فيه لفظ "أولى" فيجعل على آخره ، وأيضاً لو صح أن المولى بمعنى : الأولى ، فلفظ المعنى : أولى بأمر من الأمور ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَادَى الثَّمَانُ بِإِزْهَابِهِمْ ﴾ [آل عمران ، من الآية : ٦٨] ، وتوكل : " نحن أولى بسلطاننا ، وأولى بأستقنائنا " وليس المراد التصرف ، وأيضاً يصح الاستفسار في أي شيء هو أولى ، والتقسيم : هو أولى بإنسان في كذا وإنسان في كذا ، كالصخرة أو تدبير المال أو التصرف ، فيظنر مما سبق أن هذه الرواية لم تجتمع عليها طوائف الأمة ومدارسها الإسلامية ، فهي غير موجودة في كتب الرواية الإخبارية ، وقد تبين لنا من خلال كلام العلماء تنازع أهل الحديث بين محسن ومضعف لها ، وقد انفردت المدرسة الطولية بتسحيحها وادعاء توأته ، فهي غير ملزمة للأئمة ، ولا يمكن الاحتجاج بها . (انظر : محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، دار إحياء التراث ، مصر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٩٧٨ - محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٣٠١ - أحمد بن عبد الحلِيم ابن تيمية ، منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقرنية ، ج ٧ ، تب : محمد أمين الشبراوي ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ١٧٢ - ١٧٤ . عبد الله بن يوسف الزيلعي ، نصب الرولية لأصحابنا الهداية ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ١١٥٩/١ - محمد بن عبد الرحمن المجلبر كفسوري ، تحفة الأحاديث بشرح جامع الترمذي ، ج ١٠ ، تب : علي محمد مومض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ . محمد بن يوسف الطفيش قطب الأئمة ، شرح عقيدة التوحيد ، تب : مصطفى بن الناصر ويثن ، جمعية التراث ، غرداية ، الجزائر ، ط ١ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص ٦٠٤ - ٦٠٥) .

(٢) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ١٤ .

لها البساتين وزراعة الحبوب والعصفر والكتان والسمن والنخل والتين والزيتون ومختلف الفواكه ، فكانت تدر عليهم أرباحا طائلة ، وقد كانت تكثر فيها الأثمار ، وأقام الرستميون غزاقات وأحواض للماء كبيرة اكتشفها الأريون ، وكانت محكمة التصميم الهندسة ، ليحافظوا على الماء أيام الجفاف ، بل إنهم أوصلوا الماء إلى البيوت عن طريق الأنابيب وشق القنوات^(١) .

واهتموا كذلك بالرعي وتربية الماشية ، لكثرة المراعي المحصنة في الدولة الرستمية ، فكانوا يربون الغنم والبقر والجمال والخيول والبعال والحمر ، حتى أن يعقوبى وصف بعض مناطق الدولة الرستمية بأنها : " بلد زرع وضرع"^(٢) .

كانت تجارة الماشية رائجة ، وتصدر إلى الدول المجاورة ، وكانوا يستغلونها في إنتاج الصوف^(٣) ، قال ابن حوقل يصف الماشية في تيهرت وأحواضها : " وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبعال والبراذين الفراهية ، ويكثر عندهم العسل والسمن"^(٤) .

حتى أن بعضهم كان يمتلك مئات الآلاف من الماشية ، التي كانت عمادا لبيت مال المسلمين ، قال الإمام عبد الوهاب : " لولا أنا ومحمد بن جرير ويبيب بن زلفين لحرب بيت مال المسلمين : أنا بالذهب ، ومحمد بن جرير بالحرث ، وابن زلفين بالأنعام"^(٥) .

وكذلك كان لهم اهتمام كبير بالصناعة ، فكانت توجد في الدولة الرستمية العديد من الصناعات والحرف كالنجارة والحداذة والحياطة والديباغة والطحن ومعاصر الزيتون ، وصناعة السفن والقوارب ، وصناعة الزجاج والفخار والتحف والعمود ، والخشب المنحوت والمخطوط

(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٧٩-الدرجوني ، طبقات المشائخ ، ٢٠٣/٢-بحار ، الدولة الرستمية ، ص ١٦٨ ، ١٧٦ ، ٣٧٣ .

(٢) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ١٠٦-الدرجوني ، مصدر سابق ، ٨٥/١ ، ٢٩٣/٢-الشملي ، المصدر ، ١٧٤/١ ، ١٨١-أبو القاسم بن حوقل التنسيبي ، كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م ، ص ٧١ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٢-المعتمدي ، أحسن التقاسيم ، ص ١١٤ ، ١٨٩-أحمد بن أبي يعقوب بن واضح يعقوبى ، كتاب لبنان ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٠٣ ، ١١١-الهاروني ، الأزهار ، ١٩/٢-الهامش-بحار ، مصدر سابق ، ص ١٤٢-١٥٨ .

(٣) يعقوبى ، مصدر سابق ، ص ١١٢ .

(٤) بحار ، مصدر سابق ، ص ١٥٨-١٦٣ .

(٥) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص ٨٦ .

(٦) الشملي ، مصدر سابق ، ١٧٧/١ .

والموه والمرصع بالعاج أو الصدف ، وصناعات الذهب والفضة ، حتى أنها كانت تضرب منها الدراهم والدنانير ، فكانت لها عملاقها الخاصة التي كشفت عنها الآثار ^(١) .

وقد اهتم الرستميون بالتجارة بما اهتمام ، فأنشأوا الأسواق في مختلف المدن ، ففي تَهْرُوت مثلا يذكر البكري (ت : ٤٨٧هـ / ١٠٩٤ م) عن الوراق (ت : ٣٦٢هـ / ٩٧٢ م) أن ما أسواقا عامرة بمختلف البضائع ^(٢) ، وكانت هذه البضائع والمؤن تأتي من داخل الدولة نفسها أو من الدول الأخرى عن طريق العلاقات التجارية ، حيث إنه كانت للدولة الرسمية علاقات تجارية مع الكثير من الدول كالأندلس ومصر وبلاد السودان وغيرها من الدول في المشرق والمغرب ، فكانت القوافل التجارية تخرج من الدولة الرسمية محملة بشق أنواع البضائع والمؤن إلى تلك الدول ، وتعود كذلك محملة بالبضائع التي تنتج في تلك البلاد ، وكانت تجارة الذهب وبيع الرقيق رائجة في ذلك الوقت ، وللدولة الرسمية نشاط كبير فيها ، ووصل النشاط التجاري في الدولة الرسمية إلى درجة التخصص في الأسواق ، فكان لها سوق النحاس ، وسوق الأسلحة ، وسوق الصاغة ، وسوق الأقمشة ، وغيرها من الأسواق ^(٣) .

وقد قام الأئمة الرستميون بإنشاء بيوت للأموال في مدن الدولة الرسمية ، وبيت مال مركزي في العاصمة تَهْرُوت مع دار للزكاة ، وكانت موارد بيوت المال تختلف عن موارد دار الزكاة ، فدار الزكاة موردها هو أموال الزكاة فقط ، وكانت تصرف لمستحقيها الشرعيين الذين حددهم الله تعالى في كتابه في قوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِسِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّ السَّبِيلَ لِرَيْضَةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٤) .

^(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٦ ، ٣٨ ، ٦١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ - الدرجيني ، طبقات المشفق ، ٢ / ٣٠٣ ، ٥١٧ - الشماخي ، السير ، ١٧٧/١ - الطيغوبي ، كتاب البلدان ، ص ١٠٢ ، ١٠٩ - البروني بقشا ، الأزهار ، ١٠ ، ١٦ ، ١٩ ، الهامش ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٧ - أبو الربيع البروني ، مختصر تاريخ الإباضية ، ص ١٢ - بحار ، الدولة الرستمية ، ص ١٤ ، ص ١٦٤ - ١٧٤ ، ص ١٨١ .

^(٢) بحار ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ .

^(٣) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٨٢ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢ / ٣٢٠ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٧٧/١ ، ١٩٠ - الطيغوبي ، مصدر سابق ، ص ١١٥ - عبد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (أبو القاسم) ، المسلك والملك ، تح : محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٦٠ - ٧١ ، ٨١ - ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٢٨٢/٣ - محمد صالح ناصر ، دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ، مكتبة الضامري ، السبب ، سلطنة عمان ، ص ١٢ ، ٣١ - بحار ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ - ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٢١ - ٢٢٧ .

^(٤) سورة التوبة ، آية رقم : ٦٠ .

وأما دور الأموال فكانت مصادرها الجزية وخراج الأراضي والضرائب والرسوم التي تؤخذ على القوافل التجارية والتجار والحرفيين ، وكانت أموال هذه الدور تسخر في أجور الموظفين في الدولة ، وفي بناء المساجد والطرق والاسواق ومصالح المسلمين^(١) .

أيضا فإننا نجد أن الرستميين اهتموا بالجانب العلمي والفكري اهتماما كبيرا ، ولا أدل على ذلك أن من الشروط الأساسية في إمام الدولة حتى يتم انتخابه ، أن يكون علما بأمور الشريعة والسياسة والحكم^(٢) .

لأهتمت الدولة بإنشاء المؤسسات التعليمية كالكتاب - أماكن للتعليم - وكذلك إقامة حلق العلم في المساجد سواء في التفسير أو الحديث أو الفقه أو اللغة وغيرها من العلوم ، حتى أن أئمة الدولة الرستمية كانوا يساهمون في التعليم بأنفسهم ولا يأخذون من ذلك أو يتكبرون ، فنجد الإمام عبد الوهاب قضى سبع سنوات يعلم الناس أمور الصلاة في جبل نفوسة ، والإمام الفتح الذي دارت عليه أربع حلق للعلم قبل أن يبلغ الحلم ، والإمام أبو القبطان الذي كان مجلسه يفض الناس طائفة تصلي وطائفة يقرأون القرآن وطائفة يتدارسون فنون العلم^(٣) .

وكذلك اهتمت الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار ، ومن مكتباتها المشهورة مكتبة (المعضومة) بنهزت ، التي كانت تحوي آلافا من المجلدات والكتب وذخائر الآثار^(٤) ، أوصلها بعض الباحثين إلى ثلاثمائة ألف مجلد^(٥) ، فكانت تحوي بين رولها كتباً في علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وتوحيد ، وكتباً في الطب والرياضيات

(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٤٠ - الشماخي ، السير ، ١١٦/١ ، ١١٦ - بحار ، الدولة الرستمية ، ص ٢٢٧ - ٢٤٥ .

(٢) يشترط الإباضية في الإمام أن يكون رجلاً ، مسلماً ، ورعاً ، سليم الحواس والعقل ، ليست به عاهة ، وأن يكون حراً ، بلغاً ، متمتعا بمؤهلات القيادة من الإقدام وحسن السياسة والحكمة وسعة الصدر وربطه الجائن وعلو الهمة ، والخبرة بشؤون الدين والدنيا ، وأن يكون عالماً مجتهداً ، أو أن يكون من حوله علماء يستمد منهم خبرته ويرجع إليهم في حل المشكلات (انظر : محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٥٩٢ - لحمد الخليلي ، شرح منظومة غاية المراد ، ص ١١٧) .

(٣) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ ، ١١٧ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١١٧ - الدرجيني ، طبقات الشافعي ، ٦٦/١ ، ٨٣ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٤٠/١ ، ١١٦ ، ١٨١ - ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٤٠/٣ - ٤٠/٤ - بحار ، مصدر سابق ، ص ١١٨ ، ٢٨١ - بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٦١/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ ، ٢/ ٢٨٢ ، رقم الترجمة : ٦٠٩ ، ٣٥٩/٢ ، رقم الترجمة : ٧٨٤ .

(٤) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٧٠ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٩٥ - ٩٤/١ .

(٥) ديوز ، مصدر سابق ، ٣٩٦/٣ .

وهندسة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة^(١) ، ومن المكتبات الأخرى المشهورة (خزنة نُفُوسَة) الجامعة لآلاف الكتب^(٢) .

وكذلك لم تخل منازل العلماء في الدولة الرستمية من وجود المكتبات الخاصة ، إلا أن المصادر لا تذكر الشيء الكثير عن هذه المكتبات ، ولكن بالرغم من ذلك وردت إشارات في بعض المصادر يمكن أن نستنج من خلالها كثرة المكتبات الخاصة في مختلف ولايات الدولة الرستمية ، فمن ذلك ما ذكره الدرجيني عن أبي العباس أحمد بن محمد القُرْطُطَانِي القُفُوسِي (ت : ٥٠٤ هـ / ١١١١ م) عندما كان يطلب العلم بجبل نُفُوسَة ، وجد بمكتبات أَمَسْتَان - قرية واقعة بجبل نُفُوسَة - فقط ثلاثة وثلاثين ألف جزء من كتب المشاركة^(٣) ، فعكف عليها واختار أحسنها فائدة وقرأها^(٤) .

ومن المكتبات التي حفظت لنا المصادر شيئا عنها ، مكتبة توجد في قرية تَمُوسْت بجبل دَمُر - جبل الحَارِيَّة حاليا بجنوب تونس - ، حيث ذكرت المصادر أن مجموعة من الطلبة من جِرَّة قالوا : " أردنا الطلوع إلى جبل دَمُر لدراسة الكتب بتمُوسْت ... فشيحنا أبو زكرياء يحيى ونحن خارجون من جِرَّة إلى جبل دَمُر ، فحنا على العلم ، وقوى عزائنا على الذهاب إلى تَمُوسْت ، وأشعرنا بواجبنا ، فقال : " إن رجعتم إلى أهليكم على هذه الحال ، فأنتم كمن ترك الإسلام عمدا " ^(٥) وقد استنج الشيخ دبوذ إمكانية أن تكون تَمُوسْت مكتبة تحوي على عدد من الكتب وغب الطلاب في قراءتها^(٦) .

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٧٠ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٩٤/١ - ٩٥ .

(٢) البربروني ، الأزهري ، ٢٠٩/٢ - بحر ، الدولة الرستمية ، ص ٢٨٩ .

(٣) المشاركة أو أهل المشرق : مصطلح يستعمله إباضية المغرب ويتصدون به إباضية المشرق كالصيرة والحجر ومصر وصقل ولبنين وخراسان ، وفي المقابل فإن إباضية المشرق يطلقون على إباضية المغرب : المغاربة وأهل المغرب (انظر : ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١١٠ ، ١٣٥ - مجموعة علماء ، السير (مخ) : كتاب الإمام أبي عبيدة مسلم وحاجب الطائي إلى أهل المغرب في قضية الحرث وعبد الجبار ، ورقة ٢٧٥ - مجموعة علماء ، السير وال جوابات : سيرة الشيخ محمد بن محبوب إلى أهل المغرب ، ج ٢ ، مخ : سيرة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢٣٣ - ٢٦٨ - أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١١٥ ، ١٢٥ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٤٩/١ ، ٦٦ ، ٢٩٢/٢ - البرادي ، الجواهر المنقاة (مخ) ، ورقة ٢١٨ ، ٢١٩ - عبد الله بن حميد السلمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج ٢ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٦١ - ٢٦٢) .

(٤) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٤٤٥/٢ .

(٥) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٤٢٧/٢ - الشماخي ، السير ، ٨٢/٢ .

(٦) دبوذ ، تاريخ المغرب الكبير ، ٤٠٣/٣ .

وهذه النهضة العلمية لا بد وأن يواكبها نهضة في مجال التأليف ، فحازت الدولة الرسمية لصب السبق في ذلك ، فقد أتمتها وعلماؤها للأمة الكثير من المؤلفات في مختلف فنون العلم سواء الدينية أو الدنيوية ، وكان أئمة الدولة الرسمية في مقدمة الركب في ذلك ، كالإمام عبد الرحمن الذي ألف كتابا في التصير ، وكتابا جمع فيه خطبه ، والإمام عبد الوهاب الذي ترك لنا كتابا يعرف بـ (كتاب مسائل نُقُوسَة)^(١) ، وأما الإمام أفلح فقد ترك الكثير من المؤلفات منها ما طبع والكثير لا يزال مخطوطا^(٢) ، ويذكر البرادي أنه وقف على سفر كامل يضم أجوبة لأئمة الدولة الرسمية ومن ضمنهم الإمام أفلح^(٣) ، وكان له عناية بالحديث وروايته^(٤) ، وإذا جئنا إلى الإمام أبي اليقظان نجد أنه كان من المكثرين في التأليف ، فيذكر الدرجي أنه ألف تاليفا مشتملا على أربعين جزءا في الاستطاعة^(٥) ، ومن مؤلفاته كذلك (رسالة في خلق القرآن) وغيرها من المؤلفات^(٦) .

هذا بالنسبة لأئمة الدولة الرسمية ، وأما علمائها فحدث عنهم في مجال التأليف بلا حرج ، ولا يتسع المقام هنا في هذا البحث المختصر لتسليط الضوء على مؤلفات علماء الدولة الرسمية ، ولكن لمخص من بينهم بالذكر - للتمثيل لا الحصر - الشيخ العلامة هود بن مُحَكَّم الهُوَارِي صاحب كتاب (تفسير كتاب الله العزيز)^(٧) ، والشيخ العلامة عَمْرُوس بن فتح النفوسي ترك العديد من المؤلفات النفيسة ككتاب (أصول الدُّبُوتَةِ الصَّالِيَةِ) ، وكتاب (في الرد على الثَّاكِنَةِ وأحمد بن الحسين) وغيرها^(٨) .

كذلك فإن الدولة الرسمية لم تقم بجانب العلوم العقلية كعلم الكلام وغيره ، فكانت تجري بين العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية والتيارات الفكرية المناظرات والمناقشات العلمية بحرية

(١) قلم الشيخ إبراهيم محمد طلاي بتحقيق الكتاب ، وطبع بالمطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، ١٩٩١م .

(٢) بحاز وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ٦١/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ .

(٣) البرادي ، الجواهر المنتقاه (مع) ، ورقة ٢١٩ .

(٤) الربيع بن حبيب الأزدي ، الجامع الصحيح ، ج ٢ ، مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٥هـ / ١٩٩١م ، ص ٢٥٠ - ٢٥٥ .

(٥) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣١٩/٢ .

(٦) بحاز ، الدولة الرسمية ، ص ٢٩٨ - ٣٢٩ - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٦١/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ .

(٧) رقم الترجمة : ٥٤٤ ، ٢٨٣/٢ ، رقم الترجمة : ٦٠٩ ، ٣٥٩/٢ ، رقم الترجمة : ٧٨٤ .

(٨) نظر عنه المقال رقم (٤) من هذا الكتاب .

(٩) نظر عنه المقال رقم (٥) من هذا الكتاب .

تامة وبلا تضييق ، وذلك أن الدولة الرسمية عاش في كنفها الكثير من أتباع المذاهب الإسلامية ، واليهود والنصارى كما ذكرنا ^(١) ، ويمدنا ابن الصغير عن ذلك فيقول : " من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم ، قربه وناظره اللفظ مناظرة ، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سيئه كذلك " ، وابن الصغير نفسه كانت له مناظرات مع علماء الدولة الرسمية من الإباضية ^(٢) .

كذلك نجد أن الدولة الرسمية كان لها اهتمام بالأدب العربي من شعر ونثر ، فأما النثر فيظهر ذلك جليا من خطب أئمة الدولة الرسمية ومراسلاتهم ، وأما الشعر فكان لهم نصيب فيه ولكن ليس كالتنثر ، ومن شعراء الدولة الرسمية الإمام الفلح بن عبد الوهاب ، ومن قصائده العصاء تلكم القصيدة الفريدة في فضل العلم والتي تقع في أربعة وأربعين بيتا ^(٣) ، يقول في مطلعها ^(٤) :

العلم أبقى لأهل العلم آتارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا
حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

ويقول ^(٥) :

اشدد إلى العلم رحلا فوق راحلة وصل إلى العلم في الأفاق أسفارا

ومن شعراء الدولة الرسمية الفحول شاعر تَهِرَّتْ بكر بن حماد الزناتِي التَّيْهَرْتِي ^(٦) ، ومن شعره ^(٧) :

قف بالقبور فناد المامدين ما من أعظم بليت فيها وأجساد
قوم تقطعت الأسباب بينهم من الوصال وصاروا تحت أطواد
راحوا جميعا على الأقدام وابتكروا فلن يروحوا ولن يفلدو لهم غادي
والله والله لو ردوا ولو نطقوا إذا لقالوا التقى من أفضل الزاد

^(١) بحاز ، الدولة الرسمية ، ص ٣٢٩ - ٣٤٢ .

^(٢) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرسميين ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

^(٣) قام أحد الشعراء العمانيين بتطويرها ، وهو الرحالة الأديب الشيخ علي بن أحمد العماني عاش في أواسط القرن الثالث عشر الهجري ، وتوفي في السودان في رحلة من رحلاته (انظر : الباروني ، الأزهار ، ١٨٩/٢) .

^(٤) الباروني ، الأزهار ، ١٩٠/٢ - بحاز ، مصدر سابق ، ص ٣٦٠ .

^(٥) الباروني ، مصدر سابق ، ١٩١/٢ - بحاز ، مصدر سابق ، ص ٣٦٠ .

^(٦) انظر مقال رقم (٧) في هذا الكتاب .

^(٧) الباروني ، مصدر سابق ، ٧٣/٢ - بحاز ، مصدر سابق ، ص ٣٦٤ .

كذلك لأن تَبَهَّرَتْ تميزت بجمالها المعماري ، فكان لها القصور والبيوت والمساجد والأسواق والفتادق والحمامات يحيط بكل ذلك سور ، وكانت تمر خلالها المياه حتى تصل إلى البيوت ، وقد تفتن الرستميون في بناء عاصمتهم حتى وصفت بعراق المغرب ، وبيخ المغرب ^(١) .

وقد أظن المؤرخون والرحالة في وصف جمالها وحسنها ، وقد ذكرت شيئا مما ذكره المقدسي وابن الصغير ، ولستمع إلى ابن الصغير وهو يصف تَبَهَّرَتْ في عهد الإمام ألسح فيقول : " ... وشيخ في ملكه ، وابنى القصور ، واتخذ بابا من حديد ، وبنى الجفان ، وأطعم لها أيام الجفاف ... وعمرت معه الدنيا ، وكثرت الأموال والمستللات ، وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات ، وتنافس الناس في البنيان ، حتى ابنى الناس القصور والضباع خارج المدينة ، وأجروا الأهر ^(٢) ... " ^(٣) .

ومن أشهر مدن الدولة الرستمية : مدينة (تَبَهَّرَتْ) العاصمة ، ومدينة (وَهْرَان) ، ومدينة (شَلْفُ) ، ومدينة (الغدير) ، والمدينة (الحضراء) ، وغيرها من المدن ^(٤) .

وكان للمرأة دور بارز في الدولة الرستمية ، فهناك العديد من العائلات والمصلحات ، كأمثال أخت الإمام ألسح ، وأخت الشيخ غَمْرُوس ، اللتين تعدان من عالمات الدولة الرستمية ، ولا أدل على بروز المرأة في المجتمع الرستمي وانتشار العلم بينهن من كلام أحد أفراد الدولة الرستمية واصفا ذلك : " معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم مولة بيت فيها القمر " ^(٥) ، هذا بالنسبة للإمام فما بالنا بالحرائر .

كذلك فإن أئمة الدولة الرستمية اهتموا بنشر الأمن والسلام في ربوعها ، وكان لهم الولاية والقضاة الذين يعينون الإمام في تسير دفة الحكم والمحافظة على حقوق الشعب ، وكانت لهم الشرطة التي تحافظ على الأمن والنظام في مدن الدولة وأسواقها ^(٦) .

^(١) الباروني ، الأزهار ، ٨/٢ .

^(٢) هكذا في الأصل ، وقد نبهت سابقا أن الأصح أن يقال : انهار ونهر ونهور (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، نهر) .

^(٣) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٦١ - ٦٢ .

^(٤) الباروني ، مصدر سابق ، ٤٥/٢ - ٦٦ .

^(٥) الشماخي ، المسير ، ١٩٥/٢ .

^(٦) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٤٥ ، ٦٢ ، ٦٣ - الباروني ، مصدر سابق ، ١٦٤/٢ ، ٢١٩ .

وكان للدولة الرستمية مساهمة فعالة في نشر الإسلام في إفريقيا السوداء عن طريق ممارسة التجارة مع تلك المناطق التي لم تكن تعرف الإسلام قبل وصول تجار الدولة الرستمية حاملين معهم مثل الهدايا ، فمن هؤلاء العلماء التجار الشيخ عبد الحميد الفُرْزَانِي (ق : ٣٠٣هـ) ، وصفه الثَّوْرِيُّ بِأَنَّهُ " عالم كبير من أهل الدعوة " (١) ، ومنهم أبو يحيى بن أبي القاسم الفُرْطَانِي (ق : ٣٠٣هـ) ، الذي كان السبب في إسلام أحد ملوك بلاد السودان ، حيث إنه قام بدعوته إلى الإسلام وذكره بنعم الله عليه ، فأسلم الملك وحسن إسلامه ، وأسلمت الرعية بعده (٢) ؛ وقيام الشيخ غمروس بن فتح بإرسال عالم كبير (٣) إلى بلاد السودان ليفقه أهلها في أمور دينهم (٤) .

وقد كان أئمة الدولة الرستمية يرسلون الوفود إلى ملوك السودان لتعزيز العلاقات التجارية والتفالية بين الطرفين ، فمن ذلك ما قام به الإمام اللح بن عبد الوهاب من إرسال محمد بن عرفة إلى ملك السودان مهدية ، فأعجب ملك السودان بمهية محمد بن عرفة وفروسيته وصباحة وجهه ، فقال له بلفظه ما ترجمته : " أنت حسن الوجه حسن المهية والأفعال " (٥) .

ووصل مدى التأثير الثقافي للإباضية في بلاد السودان أن تأثرت الكثير من القرى السودانية بالمذهب الإباضي ، فتشير بعض الكتب إلى وجود قرى عديدة تعتق المذهب الإباضي في السودان في القرن الماضي (٦) ؛ وذكر د/ إبراهيم بنحاز عدم اعتماد الوجود الإباضي في بلاد السودان معتمدا على ما ذكره ابن بطوطة من مشاهدته في نهاية القرن السابع الهجري لجماعة من الإباضية يسكنون في قرية (زَاغْرِي) في بلاد السودان ، ويسمون (صَفْتَلُو) (٧) .

وقد أثبت الباحث شاخت (Schacht) استمرار الوجود الإباضي في بلاد السودان ، بناء على ما لاحظته في مساجد بعض مناطق بلاد السودان من وجود هندسات مشابهة تماما لما عند الإباضية في وادي مِيزَاب أو وَاْرَجِلَان ، كإغراب المستطيل الشكل ، والمثلثة ذات الشكل

(١) فدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٢/٣٢٧ .

(٢) الشماخي ، السير ، ٢/٨ - بنحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٥١/٢ ، رقم الترجمة : ٩٨٢ .

(٣) لم تذكر المصادر التي وقعت بين يدي اسمه ، واكتفت بوصفه بأنه عالم كبير .

(٤) محمود إسماعيل ، الخوارج ، ص ٢٢٣ نقلا عن : بنحاز ، الدولة الرستمية ، ص ٢٨٨ .

(٥) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٧١ .

(٦) ليفيش ، إزهاق الباطل ، ص ٦٧-٦٨ نقلا عن : بنحاز ، مصدر سابق ، ص ٢٨٩ .

(٧) محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ابن بطوطة) ، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار) ، فتح : طلائع حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٦٨٩-٦٩٠ ، بنحاز ، مصدر سابق ، ص ٢٨٩ .

المستطيل المخروطي ، وعدم وجود المنبر في بعض المساجد ^(١) ؛ بل إن بعض الرحالة من شباب عُمان أكد لي وجود قرى تمذهب بالمذهب الإباضي إلى اليوم في مالي والسفحال ، ومن تلك القرى قرية (باللاي) في مالي ^(٢) .

ولقد امتدت حدود الدولة الرستمية في فترة من فتراتها الزاهرة من حدود مصر شرقا إلى مدينة تلمسان في أقصى المغرب الأوسط غربا ^(٣) .

وبعد هذا العمر المديد وهذه الإنجازات الضخمة التي قدمتها الدولة الرستمية للأمة الإسلامية ، هجم عليها أبو عبد الله الشيعي داعية الفاطميين في سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ، فدمرها وعاث فيها فسادا ، وقتل أهلها ، ولم يكف بذلك ، بل قام بإحراق مكتبة المعصومة بعد أن أخذ منها الكتب الرياضية والصناعية والفنية ، ف قضى بذلك على تراث عظيم من تراث الأمة الإسلامية لحسبنا الله ونعم الوكيل ^(٤) .

وما قيل في رثائها ^(٥) :

علي طلل أقوى وأصبح أغبرا ^(٦)	خليلي عوجا بالرسوم وسلمما
عفته الفوادي الراتحات فأقفرا ^(٧)	أما على رسم بيهبرت داتسر
فدمرها المقسدار فيمن تدمرا	كان لم تكن بيهبرت دارا لمعشر

^(١) Schacht J : Sur La Diffusion , opcit , p.١١-١٩ . نقلا عن : بحار ، الدولة الرستمية ، ص ٢٨٩-٢٩٠ . والنظر : محمد ناصر ، دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ، ص ٣٥-٣٩ .

^(٢) مكلمة هفتية مع الشيخ عبد الله بن مبارك العمري ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م .

^(٣) بحار وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٨٤/٢ ، رقم الترجمة : ٦٠٩ .

^(٤) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٦٩-١٧٠ . الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٩٤/١ - ٩٥ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٥٩٨/٦ - ابن خلدون ، تزيين ابن خلدون ، ١٨٤/٣ ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) . أحمد بن علي المقرئزي ، تماثيل الحفاه بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٧ .

^(٥) ابن عذارى المرارشي ، البيان المغرب ، ١٩٩/١ . لم يذكر ابن عذارى صاحب الأبيات ، وذكرها الباروني بشأن نقلا عن ابن عذارى ، ولم يبق على قائلها (نظر : الباروني ، الأزهار ، ٣٠٠/٢ - ٣٠١) .

^(٦) عوجا : أي اعطفا ومرأ ولقبا ، يقال : عاج بالمكان وطليه ، عوججا وعوجج وشعوجج : عطف ؛ وعجت بالمكان أخرج أي أتمت به ؛ يقال : عاج بالمكان وعوجج أي : أقام ؛ وقيل : عاج به أي : عطف عليه وسأل والم به ومعن عليه (نظر : ابن منظور ، لسان العرب ، عوج) .

أقوى : أي أفر وحلى ، يقال : قويت الدار قوا ، وأقوت إقواء إذا اقوتت وخلفت ؛ والقوت : القتر من الأرض ، أبدلوا الواو ياء طلبا للخشعة ، وكسروا التثاق لمجاورتها لباء ؛ وأرض قواء وقواية ، الأخيرة نادرة : ققرة لا أحد فيها (نظر : ابن منظور ، مصدر سابق ، قوا) .

وقال الشيخ سليمان باشا الباروني (ت : ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م) في رثائها^(١) :

فما نبك أطلالا تقلص ظلها	وتندب آسار الذين بقوا ذكرا
بني رستم من قام بالعدل ملكهم	فأمست بهم تبهرت كالروضه الزهرا
تحف بما الأتغار والزهر باسم	بروض بساين هي الجنة الحضرا
أقاموا منار الدين دهرا وشيدوا	معاله واستهلوا البر والبحرا

هذه هي الدولة الرستمية الإسلامية ، والتي للأسف الشديد تجاهلها الكثير من المؤرخين والكتّاب القدماء أو اخدثين ، وقد يذكرها البعض بقصد التحني عليها وتشويهها ، والتعتم على الإنجازات العظيمة التي حققتها خدمة للأمة الإسلامية ، وكل هذا يعود إلى الأهواء السياسية ، والتعصب المذهبية المقيتة التي عادت على هذه الأمة بالشر والويل ، بالرغم من أن الدولة الرستمية أظلت بظلها الوارف مختلف المذاهب الإسلامية بل والديانات الأخرى ، فكانت حقوقهم محفوظة وكرامتهم مصانة .

ومن أمثال هؤلاء المؤرخين الذين ظلموا الدولة الرستمية ، وكان حري بأمثالهم الإنصاف : ابن عبد الحكم (ت : ٢٥٧هـ / ٨٨٨م) صاحب كتاب (فتوح مصر والمغرب والأندلس) ، والبلاذري (ت : ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) صاحب كتاب (فتوح البلدان) ، وحتى ابن خلدون الذي شهد له بالموضوعية لم يسلم من ذلك^(٢) .

فمسي أن تكون هذه الأجيال الإسلامية المباركة في هذا الوقت قد أدركت هذه الحقيقة المرة ، وأدركت أن ما يعانيه المسلمون اليوم من ذل ومهانة وصغار على أيدي أعداء الأمة الإسلامية ، يعود في المقام الأول إلى المسلمين أنفسهم ، بسبب اشتغالهم بالتعصب المذهبية والتشيع على إخوانهم من غير مذاهبهم ، مما أدى إلى إيغار الصدور ، وفتت العلاقات بين المسلمين ، ففتح الباب على مصراعيه أمام أعداء الأمة ليعثوا في جسدها فسادا ، بعد أن أفكك أبنائها بصراعاتهم العقيمة ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل وصل الأمر ببعض من ينسبون أنفسهم إلى الإسلام إذا

(١) الخزازي : جمع غلغية ، والغلغية : السحابة التي تنثأ غلوة ، وقول : الغلغية السحابة تنثأ فتنثر غلوة ، وقيل : لغلغية سحابة تنثأ سحابا (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، غدا) .

(٢) نظار القنصيدة كاملة في : الباروني ، الأزهر ، ٢٠٦-٢٠٥ .

(٣) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص٦ مقدمة المحققين .

أصيب أحد إخوانهم المسلمين من غير مذهبهم باعتداء سافر غاشم من قبل أعداء الإسلام ،
يفرحون لذلك ويسرون ، والله المستعان ، فهل من صحوة من هذا السبات ، وهل من عودة إلى
قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾^(١) .

^(١) سورة الأنبياء ، آية رقم : ٩٢ .

(٩)

حَرَكََةُ التَّأْلِيفِ عِنْدَ الْعُمَانِيِّينَ

فِي

الْقُرُونِ الْهَجْرِيَّةِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى

حَرَكَةُ التَّأْيِيفِ عِنْدَ الْعُمَانِيِّينَ فِي الْقُرُونِ الْمَهْجِرِيَّةِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى^(١)

إن التاريخ العماني تاريخ ذو شجون ، حوى الكثير من العبر والمعطات ، وبه الكثير من الأفراح والأفراح ، والتراث العماني تراث واسع ومتنوع ، يحتاج من الباحثين جهدا جبارا ومضنيا لجمع شتاته وتسوية أوراقه .

ولقد ترك لنا أئمة عمان وعلمائها الكثير من المؤلفات والبحوث التي تحتاج إلى الأيدي الفتية من أبناء الأمة الإسلامية لإماطة اللثام عنها ، ولنفص غبار الزمن وتناسي الأجيال عن تلك المؤلفات العظيمة التي تركها لنا الأجداد .

ومما يتميز به التراث العماني التنوع والانتساع في التأليف ، فقد اهتم العمانيون بالكثير من فنون العلم ، فطرقوا أبوابها وولوجوا ميادينها وتسمنوا ذراها ، فأبدعوا في التأليف وأضافوا الجديد على ما تركه من سبقهم من العلماء .

لإنا لو تأملنا الكثير من فنون العلم سنجد أن الرعاع العماني ساهم بشكل فعال في تلك الفنون ، وبشكل متقن ومتمكن ينم عن قوة علمية وملكية عقلية ، فجد لهم المؤلفات في التفسير والحديث وعلوم القرآن والفقه وأصوله والتوحيد وعلوم اللغة والتاريخ والطب والفلك وعلوم البحار وغيرها من فنون العلم ، فألفوا في هذه العلوم المختصرات والمطولات التي وصل بعضها إلى التسعين مجلدا كـ (قاموس الشريعة) للشيخ العلامة جُمَيْل بن خميس السُّعدي (ق : ١٣ هـ -)^(٢) ، بل وقاموا بنظم بعض العلوم خاصة في الشريعة واللغة ، وأقرب مثال لذلك

^(١) نشر هذا البحث سابقا في :

مجلة الحياة ، العدد الثامن ، رمضان ١٤٢٥ هـ / نوفمبر ٢٠٠٤ م ، ص ٢٢٢ ، نشر جمعية التراث ، غرداية ، الجزائر .
جريدة الوطن ، سلطنة عمان ، الجمعة ٢٦ من صفر ١٤٢٥ هـ / ١٦ من إبريل ٢٠٠٤ م ، العدد (٧٥٧٧) ، السنة ٣٤ ، وتظنه كذلك على هذه الوصلة :

<http://www.alwatan.com/graphics/2004/04apr/16,4/dailyhtml/deen.html>

موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) .

موقع الشبكة العمانية ، سيلة الدين ، (www.omania.net) .

^(٢) جميل بن خميس السعدي ، كالموسى الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة ، ج ١ ، تص : عبد الحفيظ شلبي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ٥ مقدمة للمحقق - ضلبي ، معجم مصادر الإباضية ، ص ٤١٤ - محمد صالح ناصر ، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) ، قرص مدمج ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، رقم الترجمة : ١٤٨ .

(جوهر النظام) للإمام عبد الله بن حميد السلمي (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) ، وتصل عدد آياته إلى بضعة عشر ألف بيت ^(١) ، (و سلاسل الذهب) للشيخ محمد بن شامس البطاشي (ت : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ، الذي نظم شرح كتاب النيل للإمام محمد اطفيش (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) في ١٢٤ ألف بيت ، وانتهى من ذلك في سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ^(٢) .

دعونا من الكلام العام ولنأت إلى الأمثلة الحية نستشهد بما على ما ذكرنا قبل قليل ، وسأكتفي بذكر بعض النماذج للتمثيل لا الحصر ، حيث إن المؤلفات العمانية في القرون الهجرية الثلاثة الأولى كثيرة ومتنوعة لا يستوعبها هذا البحث المختصر ، فهي تحتاج إلى دراسة موسعة مستقلة ، ولكن كما يقال : ما لا يدرك كله لا يترك جله .

لقد اهتم العمانيون بالتأليف منذ القرون الهجرية الأولى بل من القرن الهجري الأول ، فلالإمام المؤسس للمذهب الإباضي الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي (ت : ٩٣هـ / ٧١١م) ترك لنا موسوعة علمية نفيسة تعرف بـ (ديوان الإمام جابر) في سبعة أحمال ، وقد عُدَّه بعض الباحثين أول من جمع الحديث في ديوان ، وعُدَّ من أوائل المؤلفين في الإسلام ، إلا أن هذا الديوان ضاع بسبب الفتن والحروب ^(٣) .

ولكن بقيت بين أيدينا نصوص من تأليفه ، فمن مؤلفاته التي حفظتها لنا يد القدر (كتاب النكاح) ، إلا أنه لا يزال مخطوطاً بالمكتبة البارونية بجزيرة جربة بنونس ، ولعله

(١) انظر : عبد الله بن حميد السلمي ، جوهر النظام في علمي الأحكام والأديان ، ج ١ ، تح : الشيخ إبراهيم العري والشوخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش ، مطبعة الأوزان الحديثة ، سلطنة عمان ، ط مقممة أبي إسحاق إبراهيم اطفيش - ضيائي ، معجم مصطلح الإباضية ، ص ٢٢٢ - محمد ناصر ، معجم اعلام الإباضية (قسم المشرق) ، رقم الترجمة : ٧٨٩ .

(٢) ضيائي ، معجم مصطلح الإباضية ، ص ٣٢٢ - محمد ناصر ، معجم اعلام الإباضية (قسم المشرق) ، رقم الترجمة : ١٢٣٥ .

(٣) محمد بن جعفر الأزكوي ، الجامع لابن جعفر ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ص ٤٨ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٤٢ - ١٤٥ - محمد بن إبراهيم الكندي ، بولن الشرع ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج ٣ ص ٣٤٩ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ج ٥١ - ٥٢ ص ٤٣٢ - الدر جيني ، طبقات المشايخ ، ٨١/١ - ٨٢ - حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٧٨١ - يحيى محمد بكوش ، فقه الإمام جابر بن زيد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص ٧٥ - سلمي ستر ، الإمام جابر بن زيد وأثره ، ص ١٢٥ - بحارز وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ١٠٩/٢ ، رقم الترجمة : ٢٢٠ .

جزء من ديوانه المفقود ، وقد فهرسه د/ النامي في أطروحته ، وذكر عنه كذلك معلومات قيمة في رسالته حول المخطوطات الإباضية المكتشفة حديثاً^(١) .

ومن المؤلفات المنسوبة إليه (كتاب الصلاة) ، إلا أنه ليس من تأليفه ، بل رواه حبيب بن أبي حبيب الجرمي (ت : ١٦٢هـ) عن عمرو بن قرم (ق : ١هـ و ٢هـ) عن الإمام جابر^(٢) ، وعمرو بن قرم هو أحد تلاميذ الإمام جابر^(٣) ، والحقيقة أن (كتاب الصلاة) عليه بعض الملاحظات ، وذلك لاحتوائه على بعض المرويات التي تخالف كل ما روي عن الإمام جابر من طرف طلابه الملازمين له كأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (١٤٥هـ / ٧٦٢م) وضمام بن السائب (حي : ١٠٠هـ / ٧١٨م) والربيع بن حبيب (تولى بين ١٧٥هـ / ٧٩١م - ١٨٠هـ / ٧٩٦م) وغيرهم ، فمن ذلك مثلاً إثبات الكلام في مواضع معينة من الصلاة^(٤) .

وإذا عدنا إلى ما قاله علماء الرجال في كل من عمرو بن قرم وحبيب بن أبي حبيب ، نجد أن عمرو بن قرم وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وأبو داود السجستاني وابن حبان^(٥) ، وأما حبيب بن أبي حبيب فقد ضَعَفَهُ عدد من علماء الرجال قال الذهبي : فيه لين ما ، وغزوه أحمد بن حنبل ، وفتح فيه يحيى القطان ، ونفى يحيى بن معين عن كتابته حديثه وسماعه^(٦) .

لعل هذه الزوايا المخالفة للثابت عن الإمام جابر جاءت من طرف ابن أبي حبيب ، لعله خلط بين ما سمعه من عمرو بن قرم وغيره ، خاصة أن الأخير وثقه عدد من علماء الرجال كما مر ، أو لعله خلط بين شيوخ عمرو بن قرم ، فنسب ما رواه عمرو بن قرم عن أحد شيوخه إلى الإمام جابر ، وهذا أظهر بدليل كلام المزني عند

(١) النامي ، وصف مخطوطات إباضية ، ص ٤-٥ . نفس المؤلف ، دراسات عن الإباضية ، ص ٧٩ .

(٢) النامي ، وصف مخطوطات إباضية ، ص ٥ . نفس المؤلف ، دراسات عن الإباضية ، ص ٧٩ .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن المزني ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٥٤١ - الذهبي ، تاريخ الإسلام ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٨٢٢ - أحمد بن علي ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١١٩٢ .

(٤) لقاء مع خالد بن مبارك الوهبي ، مستط ، سلطنة عمان ، ٢٢ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٢٦ من سبتمبر ٢٠٠٥م .

(٥) المزني ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٥٤١ - الذهبي ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٨٢٢ - ابن حجر ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١١٩٢ .

(٦) المزني ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٤٧٥ - الذهبي ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٢٠٢ - ابن حجر ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٣٥ .

ترجمته لابن أبي حبيب قال : " قال عبد الصمد : كل شيء من الفرائض والمناسك فهو عن عمرو بن حُرَيم ليس عن جابر بن زيد " (١) ، وهناك تعليل آخر وهو أن يكون عمرو بن حُرَيم من صغار طلاب الإمام جابر ، فلم يلازمه كثيرا ، فلعله حفظ عنه بعض الروايات والأقوال التي لم يصل إليها الإمام جابر إلى الاستقرار والفصل ، فلعله قال بما في مرحلة ما ثم تراجع عنها لوقوفه على ما يدمغ ذلك القول ، والذي يؤكد ذلك قول الإمام جابر عندما أخبر بأن طلابه يكتبون آراءه : " إنّا فُه وإنّا إليه لراجعون ، يكتبون رأيا لعلّي أرجع عنه غدا " (٢) .

والذي يؤكد كون عمرو بن حُرَيم لم يلازم الإمام جابر كثيرا عدم وجود ذكر أو ترجمة له في مصادر الإباضية وكتب الطبقات لديهم ، بعكس طلابه الآخرين كابي عبيدة والربيع وضمام وغيرهم ، وإن كان هناك بعض الباحثين من اعتبر عمرو بن حُرَيم من أكثر الناس رواية عن الإمام جابر (٣) ، إلا أنه لم يذكر دليله على ذلك ، وكيف يقال عن عمرو بن حُرَيم أنه من أكثر الناس رواية عن الإمام جابر ولا نجد له ذكرا في مصادر الإباضية المتقدمة ، أو إشارة إلى هذه الميزة التي تميز ١٤ ١٤ ، بعكس ما نشاهده عند ذكر الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مثلا .

والحقيقة أنني لم أتمكن من معرفة ما إذا كان عمرو بن حُرَيم ينتمي إلى المدرسة الإباضية أم لا ؟ خاصة أنه أزدي بصري (٤) ، وكما هو معلوم أن البصرة كانت معقل الإباضية في القرون الهجرية الأولى ، وقبيلة الأزدي الحاضرة لهم (٥) ، إلا أن الأظهر أنه لا ينتمي إلى المدرسة الإباضية ، ويوافقني على ذلك بعض الباحثين (٦) ، والذي يجعلني أميل إلى ذلك : أولا عدم الإشارة إليه في

(١) المزني ، تهذيب الكمال ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٤٧٥ .

(٢) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٢٨٢ - يوسف بن إبراهيم الوراق جاني ، الدليل والبرهان ، ج ٢ ، تح : سالم بن حمد الحارثي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٧٧ .

(٣) إبراهيم بن أحمد الكندي ، جابر بن زيد كلام من أئمة الحديث ، ندوة من أعلامنا الأولى ، المديرية العامة للشلط الثقافي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢١٦ .

(٤) المزني ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٥٤١ - الذهبي ، تاريخ الإسلام ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٨٢٢ - ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١١٩٢ .

(٥) محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ٢٤٨ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٦) لقاء مع خالد بن مبارك الروهي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٢٢ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٢٦ من سبتمبر ٢٠٠٥م .

الزلزلة ويوم القيامة كما بنا في الهامش ، ولكن لا يمكن التكهن بذلك خاصة وأن للرؤوف معان أخرى كالفتنة مثلا ، وربما ذكر ذلك النص عرضا في رسالته ، فلا يمكن أن نتكهن بمحتوى الرسالة من خلال نص مجتزأ ، وقد بحثت عن هذه الرسالة فلم ألق عليها ، فلعلها مفقودة ولم ين منها إلا إشارات العلماء المتقدمين إليها في نصوصهم ، ونقلهم بعض محتوياتها كما رأينا مع محبوب بن الرُّحَيل .

ومن آثاره كذلك مراسلات ومكاتبات وأجوبة لتلاميذه وأصحابه ، منها ثمان عشرة رسالة موجهة إلى الإباضية في عدة مواطن ، وتوجد نسخة مخطوطة من هذه الرسائل بالمكتبة البارونية ، ونسخة أخرى في مكتبة الشيخ صالح بن عمر بن يَسْحَن بوادي مِزَاب بالجزائر (١) ، وقد قام الشيخ فرحات الجعيري بتحقيق هذه الرسائل تحقيقا أوليا (٢) .

وكذلك من آثاره (فقه الإمام جابر بن زيد) جمع وتحقيق الأستاذ يحيى بكوش ، وقد طبع مرتين ؛ وأخيرا (من جوابات الإمام جابر بن زيد) ترتيب الشيخ سعيد بن خلف الخروصي وقد طبع بسلطنة عُمان (٣) .

وقد أكد الأستاذ بكوش أن للإمام جابر رحمه الله رسائل متفرقة موجودة اليوم في خزائن الكتب ، فمنها ما هو في دار الكتب المصرية ، ومنها ما هو في وزارة التراث والثقافة بسلطنة عُمان ، ومنها ما هو في بريطانيا ، وفي المكتبة البارونية بجزيرة ، ولعلها جزء أو بعض جزء من ديوانه (٤) .

والإمام المحدث الربيع بن حبيب الأزدي (تولى بين ١٧٥هـ / ٧٩١م - ١٨٠هـ / ٧٩٦م) (٥) الذي تسلم إمامة المذهب الإباضي بعد وفاة شيخه الإمام أبي عبيدة

(١) الناس ، وصف مخطوطات إباضية ، ص٢٠٢- فرحات الجعيري ، تحليل رسائل الإمام جابر بن زيد تمهيدا لتحقيقها ، الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان ، جامعة آل البيت ، وحدة الدراسات العمانية ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص٧٠ .

(٢) انظر : الجعيري ، مصدر سابق ، ص٧٠ .
(٣) عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص١٨١- بكوش ، فقه الإمام جابر ، ص٧٥- سامي سقر ، الإمام جابر بن زيد وأثره ، ص١٧- بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٩٦٢ ، رقم الترجمة : ٢٢٠ .

(٤) بكوش ، مصدر سابق ، ص٧٥ .
(٥) سعيد بن مبروك القنوبي ، الإمام الربيع بن حبيب مكانته ومسنده ، مكتبة الضامري ، السبب ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص١٦ ، ١٩- صالح بن أحمد البوسودي ، رواية الحديث عند الإباضية ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص٤٩ ، ٥٩ .

مسلم بن أبي كريمة التميمي (ت : ١٤٥هـ / ٧٦٢م) ، كذلك ترك لنا آثارا مهمة وقيمة لعمما تركه :

١- مسند الإمام الربيع : وهو عمدة الإباضية في الحديث ، ويعوي حوالي (٧٤٣) حديثا ، ويعتبر سنده من أصح الأسانيد وأعلاها ، حيث إنه يروي فيه عن شيخه أبي عبيدة عن الإمام جابر بن زيد عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد يخرج عن هذا السند في القليل النادر .

٢- كتاب العقيدة : ويضم حوالي (١٤٠) السرا ، وهي تشكل الجزء الثالث من ترتيب أبي يعقوب الوارجلاني (ت : ٥٧٠هـ / ١١٧٤م) المطبوع تحت اسم (الجامع الصحيح) .

٣- روايات الإمام أبي سفيان محبوب بن الرحيل (ت : في النصف الثاني من ق ٢هـ) عن الإمام الربيع ، وهي تشكل بعض الجزء الرابع من (الجامع الصحيح) .

٤- آثار الربيع : كتاب ألفه تلميذه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة (ت : أوائل ق ٣هـ) ، جمع فيه روايات الإمام الربيع عن ضمام بن السائب (ق : ٢هـ) عن الإمام جابر .

٥- آراؤه وأجوبته الفقهية : وهي مبنوثة في كتب تلامذته ومن بعدهم كابي غانم الحُرَاساني (ت : ٢٢٠هـ / ٨٣٥م) صاحب المدونة ^(١) .

والإمام أبو سفيان محبوب بن الرحيل (ط : ٤ : ١٥٠ - ٢٠٠هـ) ^(٢) ، ويذكر بعض الباحثين أن الغالب في وفاته أنها كانت في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني ^(٣) ، تذكر بعض المصادر كالجواهر للبرادي (حي في : ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م) أن له كتابا ولم يشر إلى اسم الكتاب أو محواه ^(٤) ، وقد أشار إليه د/ النامي ولم يذكر له عنوانا ، ولكنه اكتفى بذكر (كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل) وأشار أنه يحتوي على آراء الإباضية في الخوارج ^(٥) .

وذكر د/ مبارك الرأشدي أن له كتابا في السير يروي عنه الدرَجيني (ت : ٦٧٠هـ / ١٢٧١م) والشَّماخي (ت : ٩٢٨هـ / ١٥٢١م) سير الإباضية الأوائل ، ولكن للأسف

(١) القنوبي ، الإمام الربيع مكانته ومسنده ، ص ٤٩ - ٥٠ . البوسعيدي ، رواية الحديث عند الإباضية ، ص ٥٦ . الدرَجيني ، طبقات المشائخ ، ٢٧٨/٢ .

(٢) محمد بن محمود الرحبي ، محبوب بن الرحيل حياته وآثاره ، نسخة مرقونة ، معهد العلوم الشرعية ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٢٠٠١م ، ص ٤٨ .

(٣) البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص ٢١٨ - السالمي ، السمة للمرضية ، ص ١٩ .

(٤) قلبي ، دراسات عن الإباضية ، ص ٥٠ .

الكتاب مفقود^(١) ، والظاهر أن الكتاب الذي أشار إليه د/ الرّاشدي هو نفسه الذي أشار إليه د/ الثّامي ، حيث إننا نجد د/ الثّامي يقول - مشيراً إلى اعتماد كل من الدّرجيني والشّماخي على كتاب أبي سفيان للحصول على معلومات عن الإباضية الأوائل - : " ... فيما احتفظ الدّرجيني في طباقته " بمعلومات مفيدة عن علماء الإباضية الأوائل من كتاب أبي سفيان محبوب " ، ثم علق في الهامش : " ذكرت المعلومات نفسها تقريباً عن أبي سفيان في سر الشّماخي ، غير أنه لسنا نعلم هل يستخدم الدّرجيني فقط أم أنه استطاع الحصول على عمل أبي سفيان الأصلي " .^(٢)

وبالفعل لإننا نجد الدّرجيني في كتابه (طبقات المشايخ) يذكر نصوصاً نقلها عن أبي سفيان ، فيكاد لا تخلوا صفحة من ذكره^(٣) ، والذي يظهر أنه ينقل تلك المعلومات من سيرة ابن محبوب التي كتبها في التابعين ومن بعدهم من أئمة الإباضية ، وقد أشار الدّرجيني إلى هذه السيرة ووصفها وصفاً دقيقاً يتم عن اطلاعه عليها حيث يقول : " ومنهم محبوب بن الرحيل العبدي رحمه الله ، أحد الأخيار الأبحار ، ومن سبق إلى تخليد سر السلف الأخيار ، وألف^(٤) مما يحصل عنده عنهم من الآثار ، وجمع ذلك في سلك واحد بين غرائب الفقه ، وعجائب الأخيار ، وذكر مناقب المجتهدين من مجاهدين في سبيل الله وأنصاره ، نه على مثالب من بدا منه إقصار ، والمشعرين التداير ، والمولين الأدبار ، واعتذر عن قام عمره واستحق قبول الاعتذار " .^(٥)

ونجد محقق الطبقات إبراهيم طلاي أشار إلى أن الدّرجيني يقصد هنا سيرة أبي سفيان وأنه نقل عنها ، فيقول : " يعني هذا سيرته التي كتبها في التابعين ومن بعدهم من أئمة الإباضية رحمه الله ، وقد اعتمدها صاحب الطبقات ، ونقل عنه كثيراً وهو المعنى بأبي سفيان " .^(٦)

ولن نذهب بعيداً عن الإمام محبوب بن الرحيل ، فإن ابنه الإمام أباه عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل (توفي سنة : ٢٦٠هـ / ٨٧٣ م)^(٧) ترك ثروة علمية ضخمة ، فمن مؤلفاته

(١) الرّاشدي ، الإمام أبو عبيدة وفقهه ، ص ٢٤٢ .

(٢) الثّامي ، دراسات عن الإباضية ، ص ٥١ .

(٣) انظر مثلاً ٢٠٦/٢ ، ٢٢٥ ، ٢٧٥ وغيرها من طبقات المشايخ .

(٤) في الأصل: واللفظ مما يحصل عنده عنهم من الآثار ... الخ . والذي يظهر أنه خطأ مطبعي والأصح (وألف)

فيوضح بذلك المعنى والله أعلم .

(٥) الدّرجيني ، طبقات المشايخ ، ٢٧٨/٢ - ٢٧٩ .

(٦) الدّرجيني ، مصدر سابق ، ٢٧٨/٢ الهامش .

كتاب (الجامع) في الفقه يقع في سبعين جزءاً ، (و سيرته إلى أهل المغرب) وهي مختصرة ، ولا يزال مخطوطاً^(١) ، وله كذلك رسالة في السنة ومصطلح الحديث تحت عنوان (أبواب مختصرة من السنة) كذلك لا تزال مخطوطاً ، وقد أشار إليها د/ مصطفى باجو في بحثه (تطور علم الأصول في المصادر العمانية)^(٢) .

ولا زلنا مع أسرة آل الرحيل ، فمن نبع من هذه الأسرة العلمية الشيخ العلامة بشر بن محمد بن محبوب بن الرحيل (توفي تقريباً : ٢٧٣هـ / ٨٨٦م)^(٣) فترك لنا كتباً ومؤلفات عديدة منها كتاب (البيستان) في الأصول ، وكتاب (الرضف) في التوحيد ، وكتاب (أحكام القرآن والسنة) ، وكتاب (الإمامة) ، وكتاب (الخرزلة) يقع في سبعين جزءاً ، وله كتب أخرى عديدة^(٤) .

والشيخ العلامة موسى بن أبي جابر الإزكوي (توفي : ١٨١هـ / ٧٩٧م)^(٥) ، ممن ألفت في الفقه ، فيذكر الشيخ البطّاشي أنه يفهم من مؤلفات أصحابنا أن للشيخ موسى بن أبي جابر مؤلفات في الفقه لكن لم تصل إلينا^(٦) .

ومن العلماء الذين ذكرت المصادر لهم مؤلفات الشيخ موسى بن علي الإزكوي (ت : ٢٣١هـ / ٨٥٤م)^(٧) ، فمن مؤلفاته كتاب (الجامع) المسمى (جامع موسى بن علي) ، والظاهر أنه مفقود كما ذكر الشيخ البطّاشي^(٨) .

(١) سبب بن حمود البطلاني ، إتخاف الأعيان في تواريخ بعض علماء عمان ، ج١ ، مكتبة المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدبلوماسية والتاريخية ، سلطنة عمان ، مسقط ، ط٢ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص٢٥١ .

(٢) البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص٢١٨ - اللبطلاني ، فرائد الإسلام ، ٥٦ - ٥٥/١ ، الهامش - القاضي ، دراست عن الإنسانية ، ص٥٠ - الجبيري ، البعد الحضاري ، ص١٠٧ - الهامش - الجبيري ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، ص٢٠ - فرزدي ، الإمام أبو عبيدة ، ص٢٧ الهامش ، ص٥٠ الهامش .

(٣) د/بحاز إبراهيم بكير و د/حسن المنيع ، الملتقى العلمي حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديماً وحديثاً ، بحث (تطور علم الأصول في المصادر العمانية) ، د/ مصطفى باجو ، ص١٢٢ الهامش ، منشورات جمعة آل البيت ، الأردن ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، جمعية عمال المطابع ، الأردن ، عمان .

(٤) البطلاني ، مصدر سابق ، ٢٥٥/١ .

(٥) السالمي ، اللغة المرصدة ، ص١٩ - البطلاني ، إتخاف الأعيان ، ٢٥١/١ .

(٦) البطلاني ، مصدر سابق ، ٢٢٢/١ .

(٧) البطلاني ، مصدر سابق ، ٢٢٢/١ .

(٨) البطلاني ، مصدر سابق ، ٢٢٨/١ ، ٢٤٠ .

(٩) البطلاني ، مصدر سابق ، ٢٤٨/١ .

والشيخ أبو المؤثر الصلت بن حميس الخروصي (ت : ٢٧٨هـ / ٨٩١م)^(١) ، من مؤلفاته كتاب (الأحداث والصفات) ، وكتاب (البيان والبرهان) وله سير أخرى ، وله قصيدة في الولاية والبراءة^(٢) .

ومع اهتمام أئمة عُمان الأوائل وعلماؤها بالفسر والحديث والفقه والعقيدة ، فقد كان كذلك لهم اليباع الأطول في علوم اللغة والأدب ، ومن أشهر علمائهم بل من أشهر علماء المسلمين في اللغة إمام اللغة والأدب الخليل بن أحمد الفراهيدي عاش في القرن الثاني الهجري (١٠٠هـ / ٧١٨م - بين : ١٦٠هـ / ٧٧٦م و ١٧٥هـ / ٧٩١م)^(٣) ، وقد ترك لنا العديد من المؤلفات في اللغة والأدب منها : كتاب (العين) ، وكتاب (النحو) ، وكتاب (العروض) ، وكتاب (الشواهد) ، وكتاب (النقط والشكل) ، وكتاب (النغم) ، وكتاب (العوامل) ، وكتاب (فانت العين) ، وكتاب (الإيقاع) ، وغيرها^(٤) .

والمُرد أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (ت : ٢٨٥هـ /)^(٥) ، كذلك من علماء اللغة العامين الأفاضل في تلك الفترة وقد ألف الكثير من الكتب ، فذكر أنه ألف أكثر من أربعين كتابا ، منها : كتاب (الكامل) ، وكتاب (الروضة) ، وكتاب (المقضب) ، وكتاب (الرد على سيويه) ، وكتاب (معاني القرآن) ، وكتاب (إعراب القرآن) ، وغيرها من كتب اللغة والأدب^(٦) .

(١) البيهقي ، إتحاف الأعيان ، ٢٦٢/١ - محمد ناصر وأخرون ، مجمع أعلام الإباضية (قسم المشرق) ، قرص مدمج ، رقم الترجمة : ٧١٧ .

(٢) للسلمي ، اللعة المرصية ، ص ٢٧ - البيهقي ، مصدر سابق ، ٢٦٦/١ - محمد ناصر وأخرون ، مصدر سابق ، رقم الترجمة : ٧١٧ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٥ - يقول الحموي ، معجم الأدباء - موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٤٦١ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢١٦ - البيهقي ، مصدر سابق ، ١٠٦/١ .

(٤) ابن النديم ، مصدر سابق ، ص ٢٥ - ٢٦ - يقول الحموي ، مصدر سابق ، ص ٤٦١ - ابن خلكان ، مصدر سابق ، ص ٢١٥ - البيهقي ، مصدر سابق ، ٩٠/١ .

(٥) محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ٥ - أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٦٥١ - ابن قديم ، مصدر سابق ، ص ٣٦ - محمد بن أحمد الذهبي ، المعبر في خبر من غير ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٠٠ - البيهقي ، مصدر سابق ، ١٠٧/١ - ١١٢ .

(٦) ابن النديم ، مصدر سابق ، ص ٣٦ - البيهقي ، مصدر سابق ، ١١١/١ - ١١٢ .

ومتهم إمام اللغة أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي العُماني (ت : ٣٢٩هـ / ٩٣٣م)^(١) ، ترك لنا ثروة ضخمة من المؤلفات أوصلها بعضهم إلى خمسة وعشرين كتاباً منها : (الاشتقاق) ، و (الملاحن) ، و (الخيل الكبير) ، و (الخيل الصغير) ، و (الأمالي) ، و (المقصور والمدرد) ، و (الأنواء) ، وأشهرها على الإطلاق كتاب (الجمهرة في اللغة) ، وغيرها من المؤلفات^(٢) .

وأكثف هذا القدر ، فلحديث عن حركة التأليف عند العُمانيين حديث ذو شجون لا تسوعه هذه العجالة ، ويحتاج إلى دراسات وبحوث موسعة ، ولبما ذكرت الكفاية للتمثيل على ما لم أذكر من مؤلفات أئمة عُمان وعلمائها ، وقد استمرت حركة التأليف عند العُمانيين إلى يومنا هذا بلا انقطاع .

وأخيراً أقول إنه لما يؤسف له ويندَى له الجبين أن عدداً لا بأس به من هذه المؤلفات الضخمة والمتسعة لم تزل تحفظها وحققها من العناية سواء من ناحية المحافظة عليها من عوادي الزمن ، أو من ناحية التحقيق والشرح ، أو من ناحية الطباعة والنشر ، وذلك يعود لأسباب كثيرة ليس هذا محل طرحها ، لعسى الله تعالى أن يقض لها من ينتشلها من تحت الركام ويلبسها الثوب القشيب الجديرة به ...

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٧ - ياقوت الحموي ، معجم الأديباء ، ص ٨٨٥ - البطائني ، إتخاف الأعيان ، ١١٣/١ ، ١٨٠ .
(٢) ابن النديم ، مصدر سابق ، ص ٢٧ - ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ص ٨٨٧ - البطائني ، مصدر سابق ، ١٤١/١ .

(١٠)

الْوَهْبِيَّةُ وَالْوَهَّابِيَّةُ : النِّشْأَةُ وَالنَّسَبَةُ

الْوَهْبِيَّةُ وَالْوَهَابِيَّةُ : النِّشْأَةُ وَالنَّسَبَةُ (١)

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة بعض المؤلفات والمقالات يزعم فيها أصحابها أن مصطلح (الْوَهْبِيَّةُ) هو نفسه مصطلح (الْوَهْبِيَّةُ) (٢)، ضارين بحقيقة التاريخ عرض الحائط، إذ إن هناك لفرقا كبيرا بين المصطلحين، لمصطلح (الْوَهْبِيَّةُ) ينسب إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن رهب الراسبي - كما سيأتي - الذي استشهد في معركة التَّهْرُوزَان سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م، بينما مصطلح (الْوَهَابِيَّةُ) نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب التميمي (ت : ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م)، الذي ظهر بتجدد في القرن الثاني عشر الهجري، ويعده الوهابية إماما لهم.

وتجد أصحاب هذه الكتب والمقالات يتذرعون بالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن (ت : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) الإمام الثاني في الدولة الرستمية، زاعمين نسبة هذا المصطلح إليه، وبما أن الإمام عبد الوهاب أحد أئمة الإباضية، واسمه عبد الوهاب، فإنه يمكن هؤلاء الصائدين في الماء العكر تقرير مصطلح (الْوَهَابِيَّةُ) على القارئ البسيط، والصالحه بالإمام عبد الوهاب، مع إيراد بعض النصوص عن بعض العلماء المتقدمين لإضفاء نوع من المصداقية العلمية على مزاعمهم، وتحريف تلك النصوص - وما أكثر التحريف (٣) - بإضالة حرف (الف) لفظ إلى (الْوَهْبِيَّةُ)

(١) نشر هذا البحث سابقا في :

موقع الشبكة العمانية، سبلة الدين، (www.omania.net).

(٢) على سبيل المثال كتاب (تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية) للدكتور محمد بن سعد الشوير، فحاول أن يثبت أن مصطلح (الوهابية) هو نفسه (الوهبية) وزعم أنه ينسب إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، واعتمد على بعض المصادر ككتاب (المعجز المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب) لأحمد بن يحيى الوثنوني، وكتاب (الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي) للممشرق الفرد بل وغيرها، وقد عدت إلى تلك المصادر فلم أجد فيها ذكرا لـ (الوهابية) بل جميعها كتفت تذكر (الوهبية)، ولاحظت أن دا الشوير قام بتحريف النصوص ونسب إلى مؤلفي تلك الكتب كلاما لم يتقوله، وحاولا بذلك إثبات زعمه وإلزام الإباضية الوهبية بالوهابية! انظر : كتاب (تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية) للدكتور محمد بن سعد الشوير، موقع سيد التواتد على هذا الرابط :

<http://saaid.net/book/open.php?cat=٨٨&book=١٣٠٢>

(٣) من ذلك مثلا تحريفهم لبعض النصوص في كتاب (الأنكار) للإمام النووي، وما قام به عمر الأشقر من تحريف في كتابه (المعتقة في الله) حيث حرف رواية في صحيح البخاري رقم (٤٧١) ، ورقم (٧١٨٢) ، لينسب لمعتقه ونص الرواية : " يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : ربنا لبيك وسعديك . فينادي بصوت : إن الله بأمرك ... قلح " ، ونجد الأشقر حرف الرواية إلى : " يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك . فينادي بصوته : إن الله بأمرك ... الخ " ، وحرف فينادي بصوت إلى فينادي بصوته ! ، فثبت عقيدته للقدسة من أن الله يتكلم بصوت وخرتب تعالى الله عما يتوله المبطلون علوا كبيرا (انظر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح =

فتكون (الوَهَابِيَّة) ، وهذا الشكل تكتمل خيوط المسرحية ، ويمكن أن تمرر على القارئ البسيط حَسَنَ النية بكل سهولة ويسر .

والحقيقة أنني أشبه معارلات هؤلاء المحمومة للنضج من لقبهم المعروف لدى العامة قبل الخاصة كبيت العنكبوت ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْآيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) ، أفلم يعلموا أنه يمكن تعقب تحريفاتهم بكل سهولة ويسر ، ولضح خيانتهم للأمانة العلمية ١٢

وبعد أن رأيت هذا اللعب بالحقائق التاريخية والتحريف في النصوص ، والتليس على القارئ من قبل أصحاب تلك المؤلفات والمقالات ، رأيت ضرورة بيان حقيقة مصطلح (الوَهْبِيَّة) (وَالْوَهَابِيَّة) ، والفرق الكبير بينهما ، وبيان الفترة التي نشأ فيها كل مصطلح من المصطلحين ، وكذا إلى من يُنسبان .

وقبل أن أبدأ بعرض ما فتح الله تعالى به عليّ حول هذه القضية ، أُرغب أن أبين للقارئ أنني هنا أسعى إلى إثبات ورود مصطلح (الوَهْبِيَّة) بهذه الصيغة في مصادر المسلمين المقدمة أو المتأخرة سواء كانت إباضية أو غير إباضية ، بل وورود هذا المصطلح بهذه الصيغة المذكورة في العديد من مؤلفات وبحوث المستشرقين الذين عوا بالكتابة حول المسلمين عامة والإباضية في شمال إفريقيا خاصة ؛ وكذلك لأنني هنا أتناول دراسة هذين المصطلحين والفرق بينهما من الجانب التاريخي فقط ، فمثلا لا أتناول بالدراسة الفرق بين (الوَهْبِيَّة) و(الوَهَابِيَّة) من الناحية العقائدية والفقهية والفكرية والسلوكية ، لذلك ليس هذا محله ، ويحتاج إلى أبحاث مستقلة وموسعة ١

وأما بخصوص نسبة المصطلح هل هو إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي أم إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ؟ فلا يضيرنا نحن الإباضية نسبه إلى الإمام الأول أم الثاني ، فكلا الإمامين من أئمتنا الذين نفخر بالانتماء والانساب إليهم ؛ مع أن الواقع والتاريخ ونصوص العلماء تثبت نسبة هذا المصطلح إلى الإمام عبد الله بن وهب كما سنرى ؛ لكن أن يتم تحريف المصطلح من (الوَهْبِيَّة) إلى (الوَهَابِيَّة) لأغراض بعيدة كل البعد عن الحقيقة التاريخية ،

= البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ٥٦٤/٨ ، ٥٥٥/١٣ - حسن بن علي المساقف ، السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجنورها التاريخية ، دار الإمام الرواس ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١١٢-١١٣ .
(١) سورة العنكبوت ، من الآية : ٤١ .

لهذا ما لا نقبل به ، ولا يقبل به كل باحث عن الحق متجرد عن الهوى ؛ وبعد هذه المقدمة المقتضية ندخل في صميم موضوعنا ...

إن مصطلح (الوَهْبِيَّة) ضارب بجرائده في عمق التاريخ الإباضي ، وقد وقع الخلاف في نسبة هذا المصطلح ، فقبل نسبة إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) الإمام الثاني للدولة الرستمية ، وقبل نسبة إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن وهب الرأسي ، وعلى القول الثاني أغلب أئمة الإباضية وهو الصحيح كما سيأتي .

وإحقيقة أن هذا المصطلح لم يكن له استخدام عند الإباضية ، بل كانوا يطلقون على أنفسهم أهل الحق والاستقامة ، وجماعة المسلمين ، وأهل الدعوة ، والإباضية^(١) ؛ إلى أن انشقت فرقة من الإباضية بشمال إفريقيا تحت قيادة يزيد بن لندن في سنة ١٧١هـ / ٧٨٧م ، بعد وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم ، فأنتكروا إمامة الإمام عبد الوهاب ، ووقعت فتنة عظيمة ، فأطلق الإباضية على أتباع ابن لندن لقب (التُّكَّار)^(٢) ، وأطلقوا على أنفسهم لقب (الوَهْبِيَّة) ، لس نسبة إلى

(١) كان الإباضية يطلقون على أنفسهم قبل أن يشتهروا بالإباضية عدة تسميات منها : (المسلمون) و(أمة المسلمون) و(جماعة المسلمين) و(أهل الدعوة) و(أهل الاستقامة) و(الشُّرَّة) ؛ وليس معنى ذلك أنهم يتفوقون الإسلام عن مخالفيهم ، ولكن عندما رأى أئمة الإباضية الأوائل كالإمام جابر وأبي عبيدة تحزب المسلمين إلى فرق وطوائف واتخاذهم لأسماء جعلوها حكرا عليهم كأهل السنة وغيرها ، اتخذ الإباضية لهم أسماء تمكن ما يحملونه من عقيدة وفكر ناصحين فأطلقوا على أنفسهم (جماعة المسلمين) لمحافظة على الإسلام نقياً طاهراً من الدخن كما جاء به النبي ﷺ ، واستقامتهم على دين الله تعالى ؛ وأما سبب شهرتهم بالإباضية فهو يعود إلى عبد الله بن إباض المرزي التميمي (حي بعد ٦٧هـ / ٦٨٦م) ، وقد سماهم بذلك بنو أمية ، وذلك بسبب بروز الإمام عبد الله بن إباض ومنافحته عن المذهب ضد للخوارج الغلاة الذين أطلقوا على أتباعه لقب القحط ، وخذ بنو أمية المتعاطفين لهذا المذهب ولكل داع إلى الحق والتضامن على الظلم ؛ وأما الإمام المؤسس للمذهب الإباضي فهو الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي (١٨هـ / ٦٣٩م - ٩٢هـ / ٧١١م) ، وقد استطاع الإباضية إقامة عدة دول إسلامية في اليمن ، وعلان ، وشمال إفريقيا ، وشرق إفريقيا ، ولا يزال لهم وجود في عمان وشمال إفريقيا وشرقها ؛ وقد دلب كثير من الكتاب إلى نسبة الإباضية إلى الخوارج ، وعدم الترقيق بينهما ، ولكن الحقيقة بخلاف ذلك فهناك فرق كبير بين الإباضية والخوارج ، بل إن الإباضية يبرأون من الخوارج ، وقد ناقشت ذلك باستفاضة عند عرضي لمصطلح الخوارج في كتابي (الشيخ عمروس ومنهجه ، ص ٩٤-٩٥) ، وانظر كذلك مقال (الخوارج وزييف التاريخ) المقل رقم (١١) من هذا الكتاب (انظر : التماسي ، دراسات عن الإباضية ، ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٧٣ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٢- محمد ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، ص ٢٤-٢٦ ، ٣١ ، ٩٦ ، ١١٥- عرض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ٧٥-١٠٢- مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٢٤-١٤٩- صالح اللوسجدي ، رؤية الحديث عند الإباضية ، ص ١٧٩- مهنا بن راشد السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب أصول الدونونة الصلافية ، مكتبة الجول الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٤٤ ، ٩٤-٩٥) .

(٢) التُّكَّار أو التُّكَّات : هم جماعة خرجت على الإمام عبد الوهاب ، وأنكروا إمامته ونكروا اليمن التي قطعوها له ، لذلك سماوا بالتُّكَّات وبالنكَّار ، ويعرفون كذلك بالجنووية من كلمة نجوى أي الخديعة والسرية التي عرفت عنهم عند مناقشة مسألة إمامة الإمام عبد الوهاب التي أنكروها ، وبالقزيرية نسبة إلى قتيههم عبد الله بن يزيد القرظي ، أو نسبة =

الإمام عبد الوهاب ، بل إلى الإمام عبد الله بن وهب ، تعبيرا عن محافظتهم على منهج الإباضية الأوائل وعدم المحرجه عن كما تحرف النكار^(١) .

إذا عدنا إلى بعض المصادر المتقدمة سواء الإباضية أو غير الإباضية نجد أنها تذكر مصطلح (الوَهْبِيَّة) بهذه الصيغة ، ولا نجدها تشر بتاتا إلى (الوَهَابِيَّة) ، وسأخذ بعض الأمثلة على بعض المصادر غير الإباضية ، فمثلا ابن الصغير (حي : ٢٩٤هـ / ٩٠٦م) مؤرخ الدولة الرستمية نلاحظه أورد هذا المصطلح في كتابه عندما قال : " ... وتسمى منهم [أي من الإباضية] قوم بالوهبية ، وهذا الاسم لست أعرفه ، وقد سمعت أنهم إنما سموا بهذا الاسم لاتباعهم عبد الوهاب ... " (٢) .

نلاحظ أن ابن الصغير يجهل أصل هذا المصطلح ويعتمد على ما سمعه من بعض الأشخاص من أنه نسبة إلى الإمام عبد الوهاب ، فيلاحظ وجود نوع من الشك وعدم الجزم في كلام ابن الصغير ، إذ إن المصطلح في الحقيقة إنما هو نسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، ولكن الذي يهمنا هنا هو تداول هذا المصطلح - أعني مصطلح (الوَهْبِيَّة) وليس (الوَهَابِيَّة) - في القرون المحرجة الأولى ، فابن الصغير عاش في القرن الثالث الهجري .

والرفيق القيرواني (ت : ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م) أورد ذكر هذا المصطلح في كتابه ، ويرى أن سبب تسمية الإباضية بـ (الوَهْبِيَّة) نسبة إلى الإمام عبد الوهاب ، الإمام الرسمي الثاني للدولة الرستمية (٣) .

= إلى زعيمهم السوسلي يزيد بن قندين الذي خرج على الإمام عبد الوهاب وأنكر إمامته ، ويعرفون بالشفقية بسبب الشعب الذي أخذوه ، وبالمستاره نسبة إلى اسم قبيلة من قبائل البربر الرنيسة المؤيدة لهم ، والنكار ابتدعوا ألولا في الفقه والعقيدة بها الكثير من الغلو وتخالف المعمول به في المذهب الإباضي ، فقبرا منهم أئمة المذهب الإباضي ، وتعود جذور النكار إلى عهد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، حيث أظهر بعض تلامذته ألولا في العقيدة والنقح تخالف المعمول به في المذهب الإباضي ، فقبرا منهم الإمام أبو عبيدة وطردهم من مجلسه ، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن عبد العزيز ، وأبو المعروف شعيب ، وعبد الله بن يزيد القزاري ، وهؤلاء يعدهم النكار من أئمتهم (انظر : معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ١٤٢/٢ - ٢٠٠م ، علي يحيى معمر ، الإباضية مذهب إسلامي معتدل ، مكتبة الضامري ، السبب ، سلطنة عمان ، ط٤ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص٤٤ - ٤٤ ، التامس ، دراسات عن الإباضية ، ص٢٠١ - ٢٠٨ - الجعبري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، ص٢١٢ الهامش) .

(١) معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ١٤٢/٢ - ٢٠٠م ، مصر ، الإباضية مذهب إسلامي معتدل ، ص٤٢ - ٤٢ ، التامس ، مصدر سابق ، ص٢٠٨ - ٢٠٨ - الجعبري ، مصدر سابق ، ص٢١٣ الهامش - بجز ، الدولة الرستمية ، ص٣١٤ .

(٢) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص٤٣ - ٤٤ .

(٣) إبراهيم بن القاسم بن الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقيا والمغرب ، تح : المنجي الكحي ، تونس ، ١٩٦٨م ، ص١٧ .

وأما ابن حوقل (ت : ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) فإنه أشار إلى عدد من البلدان موضحاً أن أهلها إما إباضية أو وَهَبِيَّة ، والذي يظهر أنه ظن وجود فرق بين الإباضية والوَهَبِيَّة ، والحقيقة أنه لا فرق بينهما ، والذي يهمننا هنا هو ذكره لمصطلح (الوَهَبِيَّة) ، فيقول : " فأما أهل قَسْطِلِيَّة وقصبة ونظفة والحامة وسماطة وبشرى وأهل جبل نفوسة لشُرَاةٍ إما إباضية ... أو وَهَبِيَّة " (١) .

وأما الإدريسي (ت : ٥٦٠هـ / ١١٦٤م) فإنه في وصفه لمدينة وَارِجْلَانَ يذكر مصطلح (الوَهَبِيَّة) مشيراً إلى أن مذهب سكان وَارِجْلَانَ وَهَبِيَّة إباضية ، فيقول : " قبائل مياسرة وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد نقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدتهم وهم وَهَبِيَّة إباضية " (٢) .

وكذلك نجد ياقوت الحموي (ت : ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م) ذكر مصطلح (الوَهَبِيَّة) في عدة مواضع من كتابه ، من ذلك مثلاً وصفه لجبل نُفُوسَة حيث قال : " نُفُوسَة ... : جبال في المغرب بعد الريقية عالية ... وجميع أهل هذه الجبال شُرَاةٌ وَهَبِيَّةٌ وإِباضِيَّة ... " (٣) ؛ وعندما نقل نصاً عن ابن حوقل حول مدينة قَسْطِلِيَّة ، قال : " ... قال ابن حوقل : في بلاد الجريد من أرض الزاب الكبيرة قَسْطِلِيَّة ، قال : وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين ... وأهلها شُرَاةٌ وَهَبِيَّةٌ وإِباضِيَّة ... " (٤) ، والظاهر أن الحموي كذلك يظن وجود فرق بين الإباضية والوَهَبِيَّة حيث عطف الإباضية على الوَهَبِيَّة ، وكما يقال : العطف يقتضي التباين ؛ ولكن - وكما قلنا - الوَهَبِيَّة هم الإباضية ، إذ إن ياقوت الحموي وكذلك ابن حوقل كونهما من غير الإباضية ربما ظنا وجود فرق بين المصطلحين .

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٩٦ ، نقلاً عن : بجز ، الدولة الرستمية ، ص ١٠٢ .
 (٢) محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٩٢ .
 (٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، باب النون والفاء ، قرص منجم ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م .
 (٤) ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، باب القاف والسين ، قرص منجم .

ويقول النووي (ت : ٧٣٢ / ١٣٣١م) في معرض حديثه عن ولاية روح بن حاتم على القيروان : " ورغب في موادة عبد الوهاب بن رستم الإباضي صاحب تهرت ، وهو الذي تسب إليه الوهبيّة " (١) .

ولجد ابن خلدون (ت : ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) يقول : " وكان يزيد قد أذل الخوارج ومهد البلاد فكانت ساكنة أيام روح ورغب في موادة عبد الوهاب بن رستم (٢) وكان من الوهبيّة لوادعه " (٣) .

ويقول أبو عبد الله الحميري (ت : ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤م) في حديثه عن جزيرتي جرّة وزيزو : " وجع أهل هاتين الجزيرتين وهبيّة " (٤) .

وفي كتاب (المعيار المغرب) لأحمد بن يحيى الوئشيري (ت : ٩١٤ هـ / ١٥٠٨م) نجد فتوى لعلي بن محمد اللخمي (ت : ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م) مفتي الأندلس وشمال إفريقيا ، سئل فيها عن الوهبيّة وكيف يعاملون ، وقد أورد مصطلح (الوهبيّة) بهذه الصيغة ، وأسعرض نص الفتوى وهي تحت عنوان : (كيف يعامل معتقو المذهب الوهبي ؟) ، ونص الفتوى : " وسئل اللخمي عن قوم من الوهبيّة سكنوا بين أظهر أهل السنة زمانا وأظهروا الآن مذهبهم وبنوا مسجدا ويمتعون فيه ويظهرون مذهبهم في بلد فيه مسجد مبني لأهل السنة زمانا ، وأظهروا أنه مذهبهم وبنوا مسجدا يمتعون فيه ويأتي الغريباء من كل جهة كالخمسين والستين ، ويقومون عندهم ، ويعملون لهم بالضافات ، وينفردون بالأعياد بوضع قريب من أهل السنة . فهل لمن بسط الله يده في الأرض الإنكار عليهم ، وضرهم وسجنهم حتى يتوبوا من ذلك ؟

فأجاب : إذا كان الأمر كما ذكرت فهذا باب عظيم يخشى منه أن تشتد شوكتهم ، ويفسدوا على الناس دينهم ويميل الجهلة إليهم ، ومن لا يميز لواجب على من بسط الله يده في الأرض أن يستهيبهم . فإن لم يتوبوا سجنوا وضرّوا . وبإلغ في ذلك ، فإن لم يتوبوا فقد اختلف في قتلهم .

(١) أحمد بن عبد الوهاب النووي ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٩٣٧ .

(٢) الصمّوع عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم .

(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداه الإيمان (www.al-eman.com) ، ٩٨/٢ .

(٤) محمد بن عبد الله الحميري ، الروض المعطر في خبر الأقطار ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٥٩ .

وعن ابن حبيب يترك من تاب منهم إلا أن تكون له جماعة في موضع ، فلا يترك . وإن تاب حتى يفرق جمعهم ويشتهر فساد اعتقادهم خشية الغرير بإضلالهم وهم أشد في كيد الدين من اليهود والنصارى للمعرفة بكفرهم ولا يلتبس أمرهم^(١) الخ^(٢) .

وتوجد فتوى أخرى لعالم آخر يدعى السُّورِي قبل هذه الفتوى مباشرة ، سئل فيها عن (الوَهْبِيَّة) ، وبداية السؤال كالتالي : "وسئل السوروي على الوهبيّة سكتوا بين أظهر أهل السنة وأظهروا بدعهم ... الخ"^(٣) .

ولا بأس أن نذكر بعض النصوص لبعض المستشرقين لمزيد تأكيد على أن المؤرخين والباحثين كانوا يعرفون (الوَهْبِيَّة) والنطق الصحيح لهذا المصطلح ، ويسبوه إلى الإمام عبد الله بن وهب الرُّاسِي ، فمن المستشرقين مثلاً الفرنسي (ألفرد بل : Bel) (ت : ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م) ،

(١) إنني أحترم المذهب المالكي وأتباعه كما أحترم المذاهب الإسلامية الأخرى ، ولا أحمل المذهب المالكي وأتباعه من المصنفين والمعتنقين جريرة من انتسب إلى المذهب المالكي أو غيره من الفلأة ، وأصدر أمثال هذه الفتاوى التي تستببح دماء المسلمين الموحدين وتدعو إلى قتلهم وضربهم وسجنهم وتشريدهم في الأرض ليس لشيء إلا لأنهم خلفوهم في الفكر فبناطه وإنا إليه راجعون . وأين أمثال هذه الفتاوى من الدولة الرسمية وغيرها من الدول الإباضية التي كملت على مر التاريخ ، وكيف أنها أوت جميع الطوائف والمذاهب الإسلامية ، وكان لكل أصحاب مذهب مساجدهم ومنازلهم الخاصة المعروفة بهم ، فكفوا ومارسوا عبادتهم بكل حرية ، بل كان فيها اليهود والنصارى وكانت لهم كتاتيبهم الخاصة ، وكان العلماء من مختلف المذاهب يتناظرون داخل الدولة الرسمية بكل حرية ويسر ، وكتاب (تاريخ الأئمة فرستمين) لابن الصغير - الشيمي وقيل المالكي - خير شاهد على ذلك ، فليد إليه من أراد معرفة التاريخ الفاسح والمشرّف للإباضية ، وابن الصغير نفسه كان يعيش في تَهَبَرْت عاصمة الدولة الرسمية ، وقد شهد لأئمتها وعلمائها بالصلاح والعدل ، وكذلك أين أمثال هذه الفتاوى الإجرامية من قيام الإمام عبد الله بن يحيى الكندي طالب الحق (ت : ١٢٠هـ / ٧٤٧م) عندما فتح صنعاء وحررها من جور بني أمية فأعاد الأموال المكتمة في خزائن ولاية بني أمية إلى قراء صنعاء ولم يأخذ منها هو أو أصحابه ولو درهما واحدا بالرغم من حاجتهم إليها !! أم أين أمثال هذه الفتاوى مما قلّم به الإمام ناصر بن مرشد العربي (حكم صن : ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م - ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م) الذي أعد إلى الشيعة بمشاور من عثمان أموالهم بعد أن فكها من أيدي البرتغاليين !! (انظر : السماخي ، السمر ، ٩١١/١ - ٩١٢ - السامسي ، تحفة الأعيان ، ٤/٢ ، ١٠ - ١٧ - مهدي طالب هشيم ، الحركة الإباضية في المشرق العربي ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، مكتبة الأرمين ، شارع الجاوس ، ط١ : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص١١٦ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص١٢١) .

(٢) أحمد بن يحيى النوشريسي ، المعول المعرب والجمع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ، ج١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ص١٦٨ .

(٣) النوشريسي ، مصدر سابق ، ١٦٨/١٣ .

يقول : " وقد سماها أيضا الوهبيين نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي ، زعيم الخوارج ^(١) في معركةهم الأولى بالنهروان ... " ^(٢) .

وأما المستشرق البولندي (تاديوس ليفيتسكي : Tadeusz Lewicki) ^(٣) (حي لي : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) فإنه ألف كتابا تحت عنوان : (المؤرخون وكتاب السير والرواة الإباضيون الوهبيون في أفريقيا الشمالية من القرن الثامن وحتى القرن السادس عشر الميلادي) ^(٤) ، ومجده في عدد من صفحات كتابه يذكر مصطلح (الوهبيّة) ^(٥) .

وقد ذكر المستشرق (ماوريسو كمار : M. Canard) أن (تاديوس ليفيتسكي) أشار في مقاله (التوزيع الجغرافي للتجمعات الإباضية في أفريقيا الشمالية في القرون الوسطى) إلى أن (الوهبيّة) مشتق على الأرجح من اسم الإمام عبد الله بن وهب الراسبي ^(٦) .

من المصادر السابقة - وهي غير إباضية - نلاحظ أن مصطلح (الوهبيّة) كان متداولاً لدى المؤرخين معروفًا ، وأما (الوهائيّة) فلم يكن له وجود في أوساط المسلمين قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب ، حيث بدأ تداول مصطلح (الوهائيّة) على السنة أهل العلم وفي مصنفاتهم .

وأما المصادر الإباضية سواء المغربية أو الشرقية فهي من باب أولى ألا نجد فيها ذكراً لمصطلح (الوهائيّة) ، بل نجدها زاخرة بمصطلح (الوهبيّة) ، ولا نجد علماء الإباضية أي حرج أو تحفظ من ذكره ، بل يفخرون بذلك ، وصنفوا مؤلفات ورسائل ضعنوا عناوينها مصطلح

^(١) الإباضية ينفون عن انتمسب إلى الخوارج ، بل إنهم يتبرأون من الخوارج (الأزارقة ، والندجات ، والصفرية) ، ويدعون عليهم في أولهم ومؤلفاتهم (انظر : مقال (الخوارج وزيف التاريخ) ، المقال رقم (١١) من هذا الكتاب) .

^(٢) أنورد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، تب : عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٩٨٧ م ، ص ١٤٥ .

^(٣) المستشرق تاديوس ليفيتسكي يعتبر من أهم الباحثين من المستشرقين الذين صرفوا همته وجهدهم العلمي فيما يزيد على نصف قرن لدراسة الإباضية في شمال إفريقيا ، فاعتم بتاريخ الفرقه وبأدبياتها ، وبعادات القبائل البربرية وتقالدها وتتميز دراسته بالتوثيق والإحاطة ، وقد أتبع له الإطلاع على عدد كبير من المخطوطات الإباضية في شمال إفريقيا ومكتبات بولندا ، غذا بعضها في عداد المفقود (انظر : تاديوس ليفيتسكي ، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : ماهر جزائر وريما جزائر - دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ٢٠٠٠ م ، ص ٨-٩) .

^(٤) تاديوس ليفيتسكي ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

^(٥) انظر مثلاً : ص ٢١ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٧٩ وغيرها .

^(٦) ماوريسو كمار ، أصل تاديوس ليفيتسكي عن المغرب والإباضيين بصورة خاصة ، ملحق بكتاب : تاديوس ليفيتسكي ، المؤرخون الإباضيون ، ص ٢٠١ .

(الوَهْبِيَّةُ) ، من ذلك مثلا : كتاب (تلخيص عقائد الوَهْبِيَّةِ في نكتة توحيده خالق البرية)^(١) للشيخ إبراهيم بن بِيحَمَانَ السَّجَّيْ من علماء وادي مِيزَاب بالجزائر (ت : ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م) ، وكتاب (العقيدة الوَهْبِيَّة)^(٢) للشيخ أبي مسلم ناصر بن سالم البَهْلَانِي من علماء عَمَّان (ت : ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) ، وكتاب (دلغ شبه الباطل عن الإباضية الوَهْبِيَّةَ الحققة)^(٣) للشيخ أبي اليقظان إبراهيم من علماء وادي مِيزَاب بالجزائر (ت : ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) .

والذي يظهر أن تداول هذا المصطلح في المصادر الإباضية بدأ في القرن الثالث الهجري ، وقد ذكرنا كلام ابن الصغير حول انتشار هذا المصطلح في الدولة الرسمية ، ومجد رواية لعالم من علماء الإباضية عاش في القرن الثالث الهجري ، وهو عبد السلام اللُّوَاتِي إذ يقول : * جاز عليّ ابن ازجوج فقال : كنت بلمطة يوما فسبّ بعضهم الوهبيّة ، وكان معهم مؤذّب ، فقال - أي المؤذّب - : لا تلعن القوم ، لاني كنت بمكة ، فلما قضينا مناسكنا ، أخذ الناس يعرضون أدبائهم على الإمام الكبير ، فقام رجل منهم يقال له لبيب بن زلفين ، فعرض دينه ، فرفع إليه الإمام رأسه ، فقال : هكذا صفة دين الله القوي الذي جاء به محمد ﷺ والحمد لله رب العالمين العلي الكبير *^(٤) .

(١) الكتاب لا يزال مخطوطا في مكتبات وادي ميزاب بالجزائر (انظر : بحاز وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ١٤/١ ، رقم الترجمة : ١٦) .

(٢) لقد قام الباحثان الفاضلان الأخوان صالح بن سعيد القنوبي وعبد الله بن سعيد القنوبي بتحقيق هذا الكتاب القيم ، ونشرته مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، في طبعته الخامسة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، وقد طبع قبل ذلك عدة طبعات ، فكانت اول طبعة حجرية بالمطبعة البارونية بمصر ، ثم طبعة دار الدعوة بلوبيا سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ثم دار الفتح بلبنان سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م ، ثم طبعة وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان في سنة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م بعد أن كتبت صورته في سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، وفي سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م طبعة مكتبة مسقط وراجعه الباحث سلطان الشيباني ، ثم حققه الباحثان الفاضلان وطبع في طبعته الخامسة من قبل مكتبة مسقط (انظر : ناصر بن سالم البهلاني ، العقيدة الوهبيّة ، تح : صالح بن سعيد القنوبي وعبد الله بن سعيد القنوبي ، مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط٥ : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص٢ - ناصر بن سالم البهلاني ، العقيدة الوهبيّة ، مراجعة : سلطان الشيباني ، مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص٢) .

(٣) الكتاب لا يزال مخطوطا بمكتبة بها عسي محمد بواوي ميزاب بالجزائر (انظر : بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٣١٨/١) .

(٤) مؤلف مجهول ، كتاب المطلق في أخبار وروايات أهل الدعوة ، طبعة مرقونة ، تح : سليمان بن إبراهيم بلخيز فورجلاني ، معهد الحياة ، القرارة ، الجزائر ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ص١٠٢ .

ونجد أبا زكرياء (ت : ٤٧١هـ / ١٠٧٨ م) يذكر نصوصا استخدمها مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) ويريد به الإباضية ، من ذلك مثلا : * وبلغنا أن أبا الربيع توجه يريد الرقيقة ، فوجدها متفرة راجعة إلى مذهب النكار ، فلم يسزل بهم حتى ردهم إلى مذهب الوهيبية * (١) ، ومن ذلك مثلا قول عامل أبي تمام المعز لدين الله الفاطمي (ت : ٣٦٥هـ / ٩٧٥ م) بـ (الحائِسة) لأبي القاسم يزيد بن مخلد الوستائي (ت : ٣٥٨هـ / ٩٦٨ م) : * ... أنتم الوهيبية تحسبون إعادة الحج وتؤثرونه لكثرة فضله * (٢) .

وكذلك بالنسبة للمؤرخين الذين جاءوا بعد أبي زكرياء كالدرجيني (ت : ٦٧٩هـ / ١٢٧١ م) والبرادي (حي : ٨١٠هـ / ١٤٠٧ م) والشماخي (ت : ٩٢٨هـ / ١٥٢٢ م) وغيرهم (٣) ، مجدهم يذكرون مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) ، ولا يذكرون (الوُهَيْبِيَّة) ؛ بل إن البرادي تعقب ما ذكره ابن الصغير حول أصل هذا المصطلح من أنه نسبة إلى الإمام عبد الوهاب - ولد ذكرنا نص ابن الصغير سابقا - وبين أن أصل هذا المصطلح هو نسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، وليس إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، وأن النطق الصحيح له هو (الوُهَيْبِيَّة) ، فلو كان نسبة إلى الإمام عبد الوهاب - كما يذكر ابن الصغير - لكان (الوُهَيْبِيَّة) ؛ فيقول : * ... وقتت في كتاب الذي ذكرته بجبل نفوسة بخط الشيخ إسماعيل الجيطالي [ت : ٧٥٠هـ / ١٣٤٩ م] ... أن الوهيبية سماها بذلك لاتباعهم عبد الله بن وهب الراسي ، وكذلك هو عندنا ، فلو نسبت إلى عبد الوهاب لكانت الوهيبية ، فإن قيل فالألف في الوهاب زائدة والحروف الزوائد تسقط عند النسب من الاسم ، قلنا ولو كان كذلك فأين التضعيف الذي في الهاء ؟ ، فإذا الاسم من الوهيبية بالتشديد وهذا فساد ، وإنما هو الوهيبية ، قال الشاعر :
مالي أرى مذهب الوُهَيْبِيَّ منقرضا الإمام الفلح وابنه أبو اليقظان (٤) * .

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٩٥ .

(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٢١١ .

(٣) انظر مثلا : الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ١١١/١ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ١٢٥ - الشماخي ، السير ، ٢٤٦/١ ، ٢١٢/٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) أبو القاسم البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص ١٧٤ .

ونلاحظ في نص الشيخ البرادي أن الشيخ إسماعيل بن موسى الجبّالي (ت : ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) رجح كون هذا المصطلح نسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي، وأورد - كما ينقل عنه البرادي - بصيغة (الوُهَيْبِيَّة) .

وإذا جئنا إلى المصادر الإباضية المشرقة نجدها كذلك تذكر مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) بهذه الصيغة ونسبه إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي، فمثلا الشيخ القلّهاتي (ق : ٦هـ) يورد هذا المصطلح في كتابه (الكشف والبيان) في معرض ذكره للفرق والمذاهب الإسلامية فيقول : " ... في ذكر الفرقة الأولى الوهبيّة وهم النسويون إلى عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي وهو أول إمام عقوده بعد علي بن أبي طالب ، وكذلك الإباضية إمامهم عبد الله بن إباح من تيم اللات رهط الأحفد بن قيس وهما فرقة واحدة ... " (١) ، ومصدر آخر من مصادر الإباضية المشرقة يورد مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) كذلك بهذه الصيغة وهو كتاب (كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة) للإزكوي (ق : ١١هـ) فيقول : " ... في اعتقاد الفرقة الوهبيّة الإباضية ... " (٢) .

ويلاحظ أن بعض علماء الإباضية المشاركة يُنسبون إلى (الوُهَيْبِيَّة) فمثلا سلّمة بن مُسَلِّم القوثي العُماني (عاش في نهاية ق : ٤هـ وبداية ق : ٥هـ) نجد في غلاف مخطوط كتابه (الإبائة) أنه : سلّمة بن مُسَلِّم القوثي الصّخاري العُماني الوُهَيْبِي الإباضي المَحَبِّي (٣) .

وتوجد رسالة كاملة لمؤلف مجهول (نهاية ق : ٦هـ / ١٢م أو بداية ق : ٧هـ / ١٣م) (٤) ، تحت عنوان : (ذكر أسماء بعض شيوخ الوهبيّة) (٥) ، جمع فيها مؤلفها

(١) محمد بن سعيد القلّهاتي ، الكشف والبيان ، مخطوط ، رقم : ٧٧٧ ، الباب السادس والأربعون ، مكتبة السيد محمد بن أحمد اليوسعدي الممتشتر الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية ، مسقط ، سلطنة عمان . وانظر نسخة المطبوعة من كتاب الكشف والبيان بتحقيق : سيدة إسماعيل كلف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ٤٢٢/٢ .

(٢) مرحان بن عمر بن سعيد المرهني الإزكوي ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، مخطوط ، رقم : ١١٥ ، ورقة : ٢٧٤ ، مكتبة السيد محمد بن أحمد اليوسعدي الممتشتر الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية ، مسقط ، سلطنة عمان .

(٣) سلّمة بن مسلم العوثبي ، كتاب الإبائة في اللغة العربية ، ج ١ ، تع : عبد الكريم خليفة وآخرون ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ١٢-١٥ ، ٤٦ .

(٤) تقيوس ليفيتسكي ، المؤرخون الإباضيون ، ص ٢٠٠ .

(٥) انظر الرسالة في : الشماخي ، السير ، ٢٢٥/٢-٢٢٤ .

أسماء عدد كبير من أئمة وعلماء الإباضية الذين ظهروا في المغرب وقسمهم حسب المناطق التي ظهروا بها ، وقد ضمتها أسماء عدد من الأئمة الذين ظهروا قبل الإمام عبد الوهاب ، فلو كان مصطلح (الوهبيّة) ينسب إلى الإمام عبد الوهاب لما ذكر أولئك الأئمة المتقدمين عليه ١٩ ، لما يدل على أن هذا المصطلح يعود في نسبه إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ؛ فمن ضمن الأئمة الذين ذكروهم على سبيل المثال : الإمام الحارث بن تليد الحضرمي وقاضيه عبد الجبار بن ليس المرادي (توفيا بين : ١٣١هـ / ٧٤٨م و ١٤٠هـ / ٧٥٧م) ، والإمام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المفاري (ت : ١٤٤هـ / ٧٦١م) ، والإمام أبو حاتم يعقوب بن حبيب المنزوري (ت : ١٥٥هـ / ٧٧١م) ، وابن مظفر الجناوني (حي بعد : ١٦٠هـ / ٧٧٦م) ، وأبو النيب إسماعيل بن درار الغداسي (حي : ٢١١هـ / ٨٢٦م) ، والإمام عبد الرحمن بن رستم (ت : ١٧١هـ / ٧٨٧م) ، وعاصم السنزاني (ت : ١٤١هـ / ٧٥٨م) ، وأبو داود القبلي القفراوي (حي : ١٤٠هـ / ٧٥٧م) ؛ فلناحظ أن كل هؤلاء مقدمون على الإمام عبد الوهاب ، وبعضهم من حلة العلم إلى المغرب ، وبعضهم ممن بويع بالإمامة وأقام أولى الدول الإباضية بالمغرب ، فكيف ينسبون إلى من جاء بعدهم ؟

ولقد يتعلق البعض بما ذكره الإمام القطب محمد يوسف أطفيش (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) في (شرح عقيدة التوحيد) حيث قال : " إذا قلنا الوهبيّة نسب إلى عبد الله بن وهب الراسي فلا إشكال في تسعة أصحابنا العمانيين والخراسانيين وغيرهم وهبيّة ؛ وإذا قلنا نسب إلى الإمام عبد الوهاب في المغرب ، فكيف يسمى أهل المشرق كأهل عمان وخرسان وهبيّة ؟

الجواب : أنهم يسمون وهبيّة لأنهم مقرون بأنه إمام عدل على الصواب ، وأنه وإياهم مثلهم مذهب وديانة واحدة ، وقد قال الربيع وهو في البصرة : عبد الرحمن بن رستم إمامنا ^(١) .
قبل مناقشة ما ذكره الإمام القطب ، ينبغي الإشارة إلى أن الإمام الذي ذكره الإمام الربيع هو الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن وليس الإمام عبد الرحمن ، فمصادر التاريخ الإباضية تورد النص

(١) محمد أطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ١٩٧ .

بقولها : * وكان الربيع يقول في مجالسه : عبد الوهاب إمامنا وتقينا وإمام المسلمين * (١) ، وهذا الذي يقتضيه كلام الإمام القطب إذ إنه يستدل بكلام الإمام الربيع للتدليل على المكانة الكبيرة والرفعة للإمام عبد الوهاب لدى أمة الإباضية خاصة والإباضية عامة ، فلهذا اتسبوا إليه .

نأتي الآن إلى مناقشة ما ذكره الإمام القطب ، نلاحظ أن الإمام القطب لم يرجح أحد القولين على الآخر ، وإنما حاول أن يجد مسوغا لنسبة إباضية المشرق إلى (الوُحَيْبِيَّة) هذا على فرض أنه ينسب إلى الإمام عبد الوهاب ، لإباضية المشرق يعترفون ويقرون بإمامة الإمام عبد الوهاب كما يعترف ويقرر بها إباضية المغرب ، ويعتزون الإمام عبد الوهاب من كبار أئمتهم ومن لحول علمائهم ، ومن الذين أسهموا في الترسخ والحفاظ على الوجود الإباضي بشمال إفريقيا بل والنهوض به ، فكان له دور كبير في تثبيت الوجود للدولة الرستمية الفقية التي تولى إمامتها بعد وفاة مؤسسها الإمام عبد الرحمن ، فكانت له جهود مشهودة في تطوير الدولة الرستمية على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، وقد بلغت حدود الدولة الرستمية في عهده من حدود مصر شرقا إلى مدينة تلمسان في أقصى المغرب الأوسط غربا ، ولا ننسى أنه ترك بعض المؤلفات العلمية ككتاب (مسائل نفوسة الجبل) ، الذي وصفه البرادي بأنه سفر ضخم (٢) .

نعم تلك أسباب منطقية لنسبة الإباضية إلى الإمام عبد الوهاب ، ولكن هل الإمام عبد الوهاب تفرد بتلك الإنجازات دون غيره من أئمة الإباضية ؟

بالطبع لا ، فإننا نجد من أئمة الإباضية سواء المشاركة أو المغاربة من قدم ما قدمه الإمام عبد الوهاب ، وربما ما يفوق ما قدمه الإمام عبد الوهاب ، فلماذا لم ينتسب الإباضية إليهم ؟

فتعلا لماذا لم ينتسبوا إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم وهو الذي تمكن من أن يصنع للإباضية دولة واسعة بعد طول جهاد وتضحيات من الإباضية ، فحق لهم الحلم المشهود ؟ يقول جودت عبد الكريم : * ... وإذا كان بعض المؤرخين قد أظنوا في ذكر أخباره [يقصد الإمام عبد الرحمن] فهناك من ذكر نفا منها أو أهملها استصغارا لشأنه وشأن مملكته ، مع أنه بالإمكان مفراته بعدد الرحمن الداخل ، وإدريس الأول ، وعبد الله الشيعي ، إذ تمتع كل منهم بشخصية

(١) ليو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٩٧-الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٥٥/١-الشمالي ، السير ، ١٢٤/١ .
 (٢) نظار : البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص ٢١٩- مهنا السعدي ، الشيخ عروس ومنهجه ، ص ٣٩-٤٧ ، ١٦٢-١٧٢ ، ونظر كذلك كتاب : (الدولة الرستمية) للكتور بحز إبراهيم بكير .

دينية وحرية وعلمية ، واتباعوا استراتيجية واحدة ، فلولوا المغرب بمفردهم واستطاعوا أن يجمعوا الأناصر حولهم فيؤسسوا دولاً مشرقية الرأس مغربية الجسم * (١) ؛ ولكن نجد أن الإباضية لم ينسوا أنفسهم إلى الإمام عبد الرحمن ؟

والواقع يقتضي أن ينتسب أتباع حركة معينة أو فكر معين إلى مؤسس ومنظر تلك الحركة ، أو على أقل تقدير من له بروز متميز فيها وإن لم يكن له ذلك التنظر للحركة التي أوجدها ، ولكن يظل الرمز الأول لأتباعه ؛ فنجد مثلا أن الإباضية ينتسبون إلى الإمام جابر بن زيد كونه المؤسس والنظر للمذهب الإباضي ، وهكذا بقية المذاهب الإسلامية ينتسبون إلى من يعدونه الإمام المنظر لتوجههم ، وكذا أصحاب كل توجه بغض النظر عن ماهيته ؛ وبما أن الإمام عبد الله بن وهب الراسي كان من أوائل المنكرين للتحكيم ، واختاره من أنكر التحكيم إماما لهم ؛ ويعد اشككة أو أهل التهوران هم النواة الأولى للإباضية (٢) ، فمن البديهي أن ينتسب الإباضية إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، فيطلقون على أنفسهم (الوهبيّة) ، وهذا أقرب للمنطق والواقع ، فمن الغرابة بمكان أن ينتسب الإباضية إلى الإمام عبد الوهاب الذي عاش في القرن الثاني الهجري ، ويتركون الإمام عبد الله بن وهب وهو من الصحابة الأجلاء ، ويتركون الإمام جابر وهو من كبار التابعين ومن خاصة طلاب ابن عباس ؟

وأما ما ذكره الإمام الربيع حول كون الإمام عبد الوهاب " إمامنا وتقيتنا وإمام المسلمين " ، فكذلك بقية أئمة الإباضية ينسحب عليهم هذا الوصف ، فلماذا يتفرد به الإمام عبد الوهاب فقط دون غيره ؟ ؛ والذي يظهر أن ما دفع الإمام الربيع إلى وصف الإمام عبد الوهاب بهذا الوصف هو تلكم الفتنة التي اجتاحت صفوف الإباضية بالمغرب من قبل ابن فنين وأتباعه المنكرين لإمامة عبد الوهاب ، والتي وصل شرورها إلى البصرة ، فأراد الإمام الربيع - وهو مرجع الإباضية في ذلك الوقت - القضاء على هذه الفتنة واجتثاثها من جذورها قبل أن تتفحل ، وقبل أن يتأثر عوام الإباضية بآبئ فنين ومن معه ، لوصف الإمام عبد الوهاب بذلك - وهو حري بذلك الوصف - في مجالسه وأمام مشائخ وعوام الإباضية لتوحيد الصف ورتق الفتق ، وكان يصرح بالبراءة من ابن

(١) جودت عبد الكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرسمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، شارع زيوروت يوسف ، الجزائر ، ١٩٨٤م ، ص ٦٢ .

(٢) السلمي ، الخوارج والحقيقة الغلغلة ، ص ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٨٥ .

فدين ومن معه ^(١) ، وبالفعل نجح في ذلك ، ولم يعد التُّكَّار المغرب وظلوا في بعض المواطن بالمغرب إلى أن اندثروا ولم يعد لهم وجود ، وبقي الإباضية إلى يومنا هذا .

وأخيراً فإن الإمام القطب في (شرح النيل) مجده يرجع أحد القولين على الآخر ، فذهب إلى أن (الوَهْبِيَّة) نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي لا إلى عبد الوهاب ، فقال : * ... الوهبية نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي لا إلى عبد الوهاب ، لأن الأول أنسب لقدمه ، ولأن النسب إليه على القياس ، وأما الثاني فقياس النسب إليه وهابي ، ولعل المراد الأول ، ولكن لفظ الإباضية الوهبية حقيقة عرفية لمن على ما سحن عليه فتخرج التُّكَّار والقرية لأنهم لم يدينوا بما دنا * ^(٢) .

وكما ذهب الإمام القطب إلى ترجيح نسبة مصطلح (الوَهْبِيَّة) إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي ، فقد ذهب أغلب علماء الإباضية إلى ما ذهب إليه الإمام القطب ، كالشيخ محمد بن سعيد القلّهاتي في كتابه (الكشف والبيان) ، وقد ذكرت نصّ القلّهاتي سابقاً ، والشيخ عبد الله البارزوني (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) حيث يقول : * ثم عقد المسلمون الإمامة لابنه عبد الوهاب وهو الذي ينسب إليه المذهب فيقال : وهبي ، وقيل النسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي ، وهو أقرب ... * ^(٣) .

ومجد أصحاب المعجم يقولون : * نسب الإباضية إلى عبد الله بن وهب الراسبي ، ولذلك يقال : الإباضية الوهبية ، وكل من خرج أو الشق عن الإباضية الأم اتخذ نفسه اسماً ، أو أطلق عليه اسم ، كالتُّكَّارية والخلفيّة والنفاثية وغيرها ... وكلها انقضت وبقت الإباضية الوهبية ، التي التزمت منهاج عبد الله بن إباض القعود والتروي * ^(٤) .

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين من الإباضية كالذكور محمد صالح ناصر ، والذكور إبراهيم بخاز إلى القول بنسبة مصطلح (الوَهْبِيَّة) إلى الإمام عبد الوهاب ^(٥) ، ولكن - مع احترامنا الشديد لمكانة الباحثين الكريمين لهما ممن أخذت عنه العلم جزأها الله خيراً - الأصح

^(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٩٧ - للرجزي ، طبقات المشايخ ، ٥٥/١ ، السور ، ١٣٤/١ .

^(٢) لطيف ، شرح كتاب النيل ، ٤٥٢/١٧ .

^(٣) عبد الله البارزوني ، رسالة سلم العامة والمبتدئين ، ص ١٨ .

^(٤) بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٧٨/٢ ، رقم الترجمة : ٦٠٢ .

^(٥) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٤٣ الهامش - بحاز ، الدولة الرستمية ، ص ٣٣٠ .

نسبة هذا المصطلح إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي للأدلة والقرائن العديدة التي ذكرتها سابقا ، ولترجيح لحول أئمة الإباضية هذا القول ، هذا فضلا عن أن الباحثين الكريمين لم يذكروا أدلتهم على هذا الترجيح ، والحقيقة أن الباحثين تراجعوا عن ذلك في معجم أعلام الإباضية سالف الذكر ، ثم إنما اعتمدا فيما قلاه على ابن الصغير فهو الذي ذكر أن (الوَهْبِيَّة) قد تكون نسبة إلى عبد الوهاب ، خاصة وأقما في صدد تحقيق كتاب ابن الصغير .

ولم أجد - حسب اطلاعي - أحدا من علماء الإباضية أو من غير الإباضية ذكر مصطلح (الوَهْبِيَّة) بصيغة (الوَهَابِيَّة) ، إلا محاولة ارتجالية - من وجهة نظري - للشيخ الدكتور عمر خليفة النامي - مع احترامي الشديد لمكانته العلمية - تفرد بها معتمدا على اجتهاد شخصي مبني على أدلة لا يعتدى كوفها مجرد ظن منه ، فنجدها - كما سنرى - لا تصمد أمام النقاش والتحليل .

لقد ذهب د/ النامي إلى القول بنسبة هذا المصطلح إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، حيث يقول : " يجدر بنا أن نذكر هنا أن الاسم [يقصد (الوَهْبِيَّة)] استعمل بالدرجة الأولى من قبل الربري في شمالي إفريقيا ، ومن الممكن أن الشكل الصحيح للاسم حوّر لتسهيله على النطق الربري ، فأصبح الوهبيية بدلا من الشكل الصحيح وهو الوهابيية . والحقيقة الأخرى التي تدعم القول بأن اسم الوهبيية مشتق من عبد الوهاب هو أن الاسم لم يظهر قبل معارضة النكار لإمامة عبد الوهاب ، وهي المعارضة التي شقت الأمة الإباضية في شمالي إفريقيا إلى فريقين ، أتباع يزيد بن لندن الذين سموا بالنكار ، وأتباع عبد الوهاب الذين كان يجب أن يسموا بالوهابيية ، على اسمه ، كما أشير من قبل ، ولكن الاسم عدّل فأصبح الوهبيية " (١) .

نلاحظ في النص السابق أن مستند د/ النامي في ما ذهب إليه أمرين ، الأول : أن هذا الاسم استعمل بالدرجة الأولى من قبل الربري في شمالي إفريقيا ، ومن الممكن أن الشكل الصحيح للاسم حوّر لتسهيله على النطق البربري ، فأصبح (الوَهْبِيَّة) بدلا من الشكل الصحيح وهو (الوَهَابِيَّة) .

(١) النامي ، دراسات عن الإباضية ، ص ١٩٦ .

من الملاحظ أن هذا الدليل الأول للدكتور النامي بُني على * ومن الممكن * ، أي أنه مجرد ظن واحتمال لا يوجد عليه دليل يؤكد ، ثم اللسان البربري الذي استطاع أن ينطق بالكثير من المصطلحات كـ (الإباضية) و (التَّكَّار) و (النُّكَّات) و (الفرثية)^(١) وغيرها ، عجز عن أن ينطق بـ (الوَهَّابِيَّة) فحرفها إلى (الوَهَّيَّة) ؟ ، وهذا يجربنا إلى القول بأن البربر إذن لا ينطقون اسم إمامهم عبد الوهاب هكذا وإنما يقولون عبد الوهب وهذا بعيد جدا .

أضف إلى ذلك أن إباضية شمال إفريقيا لم يعدموا في قرن من القرون من وجود حلول العلماء المتضلعين في اللغة العربية وغيرها من علوم الشريعة ، والذين تركوا العديد من المؤلفات في اللغة وغيرها ، وأتقن البربر اللغة العربية بما لا يقل عن العرب أنفسهم ، وحفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ويقرؤون القرآن الكريم قراءة عذبة مجودة ، هل هؤلاء الذين حفظوا كتاب الله في صدورهم وهو المعجز في بلاغته ، وصنفوا المختصرات والمطولات باللغة العربية عجزوا عن النطق بـ (الوَهَّابِيَّة) فحرفوها إلى (الوَهَّيَّة) ؟

ثم إننا نجد البربر - الذين اعتبرهم د/ النامي وهو من البربر عاجزين عن النطق الصحيح - يقولون : " ... الوهبيَّة سموا بذلك لاتباعهم عبد الله بن وهب الراسي ، وكذلك هو عندنا ، فلو نسبت إلى عبد الوهاب لكانت الوهابيَّة ، فإن قيل فالألف في الوهاب زائدة والحروف الزوائد تسقط عند النسب من الاسم ، فلنا ولو كان كذلك فإين الضعيف الذي في الماء فإذا الاسم من الوهبيَّة بالشديد وهذا فساد ، وإنما هو الوهبيَّة * ، والنص للبرادي وقد مر علينا ؛ فنلاحظ هنا أن اعتراضات البرادي اللغوية لها وجهتها ولوقها ، فكيف استطاع هذا اللسان البربري أن يتعمق هذا التعمق في اللغة العربية وهو عاجز عن النطق بـ (الوَهَّابِيَّة) ؟

وأما مستنده الثاني هو : أن الاسم لم يظهر قبل معارضة التُّكَّار لإمامة عبد الوهاب ، وهي المعارضة التي شقت الأمة الإباضية في شمالي إفريقيا إلى فريقين ، أتباع يزيد بن فندين الذين سموا

(١) القرثية : هم أتباع أبي سليمان بن يعقوب بن الطح ، الذي كان من الإباضية وأظهر لوالا لم يقل بها أحد من الإباضية ، فنجاه علماء عصره وعلى رأسهم والده ، ومن ضمن المسائل التي نقوا بها : نجاسة فرت الحيوان المأكول للحم وما يطبخ فيه من طعام ، ولهذا سموا القرثية ، تحريم دم العروق ولو بعد غسل الصنح ، نجاسة عرق الجنب والمجانين ، ولم تعد هذه الأكوال قائلها وبعض من تبعه ، وقد استمروا حتى القرن ٦هـ ، ثم اندثروا (انظر : معسر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ٢٠٥/٢ - ٢٦ - معسر ، الإباضية مذهب إسلامي معتدل ، ٤٦ - النلسي ، دراسات عن الإباضية ، ص ٢١٨) .

بالتكثار واتباع عبد الوهاب الذين كان يجب أن يسموا بالوهابية ، على اسمه - على حد تعبير د/ التامي - إلا أن الاسم عُذِّل فأصبح الوهبة .

بالفعل فإن مصطلح (الوَهْبِيَّة) لم يكن له وجود في التراث الإباضي حتى حدوث ذلك الانشقاق - وقد تطرقنا إلى الحديث عن هذا الجانب سابقا - ولكن ليس من الضرورة أن يكون المصطلح نسبة إلى الإمام عبد الوهاب ، بل الأقرب إلى الواقع أنه نسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب كعبر من إباضية شمال إفريقيا على مخالفتهم على نهج الإباضية الأوائل وعدم انحرفهم عنه كما انحرف الآخرون ، وهذا ما يؤكدته فحول أئمة الإباضية كالجلبطالي والبرادي وقطب الأئمة كما مر علينا ، ولو كان هذا المصطلح حكرا على إباضية شمال إفريقيا ما الداعي أن يصف عدد من علماء الإباضية بعض المؤلفات المعيرة عن العقيدة الإباضية ويضمنون عناوينها مصطلح (الوَهْبِيَّة) ؟ ، ككتاب (العقيدة الوهبة) لأبي مسلم البهلاني وهو مشرفي عماني ، فهل أبو مسلم يعرض في كتابه عقيدة خاصة بـ (الوَهْبِيَّة) إباضية شمال إفريقيا تفردوا بها دون سائر الإباضية ؟ بالطبع لا ، وإنما هو يعرض في كتابه العقيدة التي يعتقدونها ويؤمن بها الإباضية بعض النظر عن أوطانهم وأزمانهم ، فلو لم يكن مصطلح (الوَهْبِيَّة) عام ينسحب على كل إباضي لما جعله أبو مسلم عنوانا لكتابه ؟

كذلك ماذا عن الرسالة التي ألفها أحد علماء الإباضية تحت عنوان : (ذكر أسماء بعض شيوخ الوهبة) ، وقد أشرت إليها سابقا ، وبينت هناك أنها تضمنت أسماء لعدد من أئمة الإباضية الذين ظهوروا قبل الإمام عبد الوهاب ، وبعضهم مشاركة من أصول يمنية وعلى رأسهم الإمام أبو الخطاب المغنبري ؟ ، فلو لم يكن مصطلح (الوَهْبِيَّة) ينسحب على كل إباضي لما عَدَّ مؤلف تلك الرسالة الإمام أبا الخطاب وغيره من المشاركة وَهْبِيَّة ؟

هذا بخصوص مصطلح (الوَهْبِيَّة) الإباضية ، فماذا عن مصطلح (الوَهَابِيَّة) ، متى ظهر هذا المصطلح ومن المقصود به ؟

ذكرت في بداية بحثي هذا أن مصطلح (الوَهَابِيَّة) هو نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب التميمي ، المولود في سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م في بلدة العيينة بنجد ، والمتوفى في سنة

١٢٠٦هـ / ١٧٩١م ، والذي بدأت دعوته في سنة ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م بعد وفاة والده ،
وبعده الوهابية أو السلفية^(١) - كما يجوز أن يطلق عليهم - إمامهم^(٢) .

سأكتفي بعرض بعض النصوص من مؤلفات السلفية (الوهابية) أنفسهم ، والتي اعترفوا فيها
بأن مصطلح (الوهابية) ظهر مع ظهور محمد بن عبد الوهاب ، وأن هذا المصطلح هو نسبة إلى
إمامهم محمد بن عبد الوهاب ؛ بل نجد بعضهم تقبل هذا المصطلح والانساب إليه ولم يجد غضاضة
في ذلك ، إذ إن بعضهم يكره أن يطلق على حركتهم (الوهابية) ويفضل السلفية أو النجدية ؛

(١) الحقيقة أن مذهب (السلف) هذا الذي يردده الوهابية في أؤلئهم ومؤلفاتهم ، ولنه يجب أن نفهم الكتاب والسنة بفهم
السلف ، لا وجود له في أرض الواقع ! ، فالسلف بدأ من السجدة إلى كبار التابعين ومن جاء بعدهم اختلفوا في التفسير
من المسائل ؟! ، فأى سلف هذا الذي منتهى به الكتاب والسنة ؟! ولكن ربما المقصود بالسلف ابن تيمية وابن القيم واتباع
نحلتهم ، وما دعوى (السلف) هذه إلا محاولة للتبرير بالسبب وعوام الناس ليتقبلوا تحريفاتهم ؛ يقول السيد حسن
الستاق : " يدعى الوهابيون بأنه يجب فهم الكتاب والسنة بفهم السلف وهم بذلك يعتبرون فهم السلف من الألة الشرعية
الواجب اتباعها وكولهم هذا يتضمن مغالطتين : الأولى : أن السلف غير متفقين في فهم السلف بل ليس لهم مذهب موحد
معروف حتى يصبح أو يقال مذهب السلف أو فهم السلف أو يجب فهم الأمور بفهم السلف ، وكتب الحديث والأثر ككتاب
" المصنف " للحافظ عبد الرزاق وابن أبي شيبة فيه نماذج متحدة عن اختلاف السلف وأهل القرن الثالثة في المسائل
الشرعية ... والمغالطة الثانية : أنه ليس في الكتاب والسنة دليل يفيد أنه يجب تعطيل عقولنا التي وهبها الله سبحانه
وتعالى إياها وفهم الكتاب والسنة بفهم غيرنا ما دام أن السلف وصل إلى درجة الفهم والالتجاهد !! " ، ويقول أيضا :
" إن الوهابيين السلفيين في هذا العصر يدعون بأن الذي يتولونه من آراء وأقوال هو مذهب السلف تمويهها على العامة
والبسطاء ليروجوا عليهم ما يريدون من أقوال وآراء مخطنة !! وقد لاذع هؤلاء وخاصة المجسمة والمشبهة منهم بأن
ما يتولونه هو مذهب السلف ! وإذع هؤلاء المشبهة والمجسمة أن فهمهم للسلف هو مذهب السلف وهو المرجع
الشرعي الذي لا يجوز التحول عنه !! وهم في الواقع قد علوا عن السراط المستقيم ، والطريق السوي القويم ، لأنهم
تركوا الكتاب والسنة وفهم العرب لهما وراءهم ظهرها ، مع اعتصامهم على سراب بقية لا وجود له في الواقع البتة بل
هو خيال قائم في أذهانهم ويمسكون به على البسطاء من غيرهم وهو قولهم : هذا مذهب السلف !! " ، ثم قال : " فهذا
الإمام أحمد يقول وقد سئل عن مسألة فالتى فيها ، فقول له : هذا لا يقول به ابن المبارك . فقال : ابن المبارك لم ينزل من
السماء " ، ثم قال : " مع أن ابن المبارك سلف للإمام أحمد . وهذا الإمام أبو حنيفة قبل أحمد يقول : ما جاء عن رسول
الله ﷺ فاعلى الرأس والعين ، وما جاء عن الصحابة افتخرا ، وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال " ،
ونجد السيد الستاق ينكر أنه مع ادعاء هؤلاء أن ما يتولونه هو مذهب السلف وأنه متفق ومجمع عليه بين الأمة ، نجدهم
لم أنفسهم قد اختلفوا في أصول الدين ! وتبينوا في أسس التوحيد المدين !! فكيف يدعون تناقض السلف في المسائل
التوحيدية ؟! وهم مختلفون فيها . ثم بعد ذلك ذكر نماذج من اختلاف السلف في مسائل عقائدية مثل : خلق القرآن ،
والرواية ، والميزان ، والتأويل والتفويض ، ومن هو أفضل من الصحابة ، والإرجاء ، والتدرج ، وغيرها ؛ فكيف يقال
بعد ذلك بمذهب السلف والسلف مختلفون ؟! وقد ألف السيد الستاق كتابا تحت عنوان (ألبشارة والإتحاف بما بينهم من
الخلافا) بين فيه الخلاف الواقع بين الوهابية أنفسهم ! (انظر : الستاق ، السلفية الوهابية ، ص ٩٧-٩٨) .

(٢) عثمان بن عبد الله النجدى ، عنوان السيد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ٢٢ ، مع : عبد الرحمن بن عبد المطلب آل الشيخ ، دار
الملك عبد العزيز ، الرياض ، السعودية ، ط ١ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٢ ، ١٨٠ - صلاح الدين المختار ، تاريخ
المملكة العربية السعودية في ما ضيها وحاضرها ، ج ١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٣٧٦هـ /
١٩٥٧م ، ص ٣٦ ، ٥٦ - حسن بن فرحان المالكي ، داعية ولويس نبيا ، دار الرازي ، سمن ، الأردن ، ط ١ :
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٩ .

يقول د/ سليمان بن عبد الرحمن الحقييل : * الوهابية لقب لم يختاره ^(١) أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأنفسهم ^(٢) ، لكن أطلق عليهم من قبل خصومهم ... واللقب الصحيح لدعوة الشيخ هو الدعوة السلفية * ^(٣) ؛ ويقول : * وعلى أي حال فإن عددا قليلا من العلماء التابعين لدعوة الشيخ محمد أو المتعاطفين معها ، بدأوا في السنوات الأخيرة لا يتحاشون استعمال كلمة وهابية في كتاباتهم . ولا بد أن هذا الموقف جاء نتيجة اعتقاد هؤلاء بأن ما كان يدعو إليه الشيخ وأنصاره بات واضحا بدرجة كبيرة ، وأن ما تحمله هذه الكلمة من معاني في الزمن الماضي أصبح أضعف من ذي قبل في أذهان الكثيرين * ^(٤) .

إذا فلاحظ هنا أن د/ سليمان الحقييل اعترف أن هذا المصطلح ينسب إلى محمد بن عبد الوهاب ، وأنه بدأ عدد من علماء الوهابية يعترفون بهذا المصطلح ويستخدمونه كرمز لحركتهم ، وأما التبرير الذي أورده د/ الحقييل من كونهم أصبحوا لا يتحاشون استخدام هذا المصطلح في السنوات الأخيرة يعود إلى اعتقادهم بأن ما كان يدعو إليه الشيخ وأنصاره بات واضحا بدرجة كبيرة ... الخ ، فهذه وجهة نظر د/ الحقييل .

ونص آخر لأحد الوهابية وهو أحمد بن حجر آل طامي يعترف فيه بهذا المصطلح بل ويفتخر به ، فيقول : * ومن معاملة الله لهم - أي خصوم الدعوة - مقتضى مقصدهم هو أنهم قصدوا بلقب الوهابية ذمهم ، وأنهم مبتدعة ، ولا يحيون الرسول كما زعموا ، صار الآن لقبها لكل من يدعو إلى الكتاب والسنة ، وإلى الأخذ بالدليل ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومحاربة البدع والخرافات ، والتصمك بمذهب السلف * ^(٥) .

وهذا مسعود الندوي يقول : * إن من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام [يقصد بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب] تسميتها بالوهابية ، ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه

(١) هكذا وردت في النص ، وأظن الأصح " لم يختاره " للجزم .

(٢) من أتباع المذاهب الإسلامية اختلفوا لأنفسهم لقبهم الذي يسمون به سواء خوارج ، إباضية ، حنفية ، ملكية ، شافعية ، حنابلة ، معتزلة ... الخ

(٣) سليمان بن عبد الرحمن الحقييل ، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقته دعوته ، مؤسسة المختار ، الرياض ، السعودية ، ط٢ : ١٣٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص ٨١ .

(٤) الحقييل ، المصدر السابق ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٥) أحمد بن حجر آل طامي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة المنعم ، الكويت ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٢٠ ، نقلا عن : الحقييل ، مصدر السابق ، ص ٨٢ .

التسمية أن يشعروا أنها دين خارج عن الإسلام ... ولكن بغض النظر عن هذه الأكاذيب والافتراء فلا أرى حرجاً في هذه التسمية^(١) ، ويقول في موضع آخر : " ولم نجد حجة قاطعة تدلنا على أول من نادى بهذا الاسم ولكن الظاهر أن المخالفين أقدمهم بهذه التسمية في حياة شيخ الإسلام نفسه . وهذا رأي مرغليوث ، ومع أنه ليس حجة في هذا الباب إلا أن هناك قرآن آخر يؤكد هذا ، وقد ورد هذا اللفظ في قصيدة للملا عمران رضوان والغالب أنه أحد معاصري شيخ الإسلام فقد قال :

إن كان تابع أحد متوهباً فانا المقر بأنني وهابي

ومعاصر مصري آخر قد ذهب إلى هذا الرأي وأن الأعداء كانوا قد بدأوا في استعمال هذا اللقب في أيام الحروب الأولى^(٢) .

إذا هذه اعترافات وإقرارات بهذا اللقب نضيفها إلى ما سبق ؛ وهذا إقرار آخر لأحد القطان يقول فيه : " وأيا كان الأمر فليس في التسمية ما يعيب الحركة الوهابية ... "^(٣) .

ومجدد الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ يعترف ويقر بهذا المصطلح فيقول : " كلمة الوهابية أصبحت في عصرنا الحاضر لا تمثل لنا مشكلة ما ... وعرف الناس أن الوهابية لا تعني سوى طائفة من أهل السنة متمسكين بعقيدة السلف ... "^(٤) .

وأخيراً يقول د/ سليمان الحقيقل : " مما سبق يتضح أن بعض المعاصرين لا يتحاشون من استخدام كلمة الوهابية بينما ما زال بعض الباحثين يتحاشون استخدام لقب الوهابية "^(٥) .

وأختم هذا البحث بكلام قيم للأستاذ الباحث حسن بن فرحان المالكي تناول فيه تحليل مصطلح (الوَهَابِيَّة) وأصوله ، وتعقب من اعترض على هذا اللقب من الوهابية ، وبين أن علماء الدعوة الوهابية استخدموا هذا المصطلح ولم يجدوا أي امعاض من استخدامه ، فيقول : " مع أن

(١) مسعود التنوي ، محمد بن عبد الوهاب مُصلح مظلوم ومقرئ عليه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية ، ط٢ : ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ، ص١٦٥ .

(٢) التنوي ، مصدر سابق ، ص١٦٧ .

(٣) أحمد القطن وأخرون ، إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة السنن ، الكويت ، ١٤٠٩هـ ، ص٢٩ ، نقل عن : الحقيقل ، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص٨٢ .

(٤) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، المختار من مجلة المنار ، ج٢ ، ١٤١٢هـ ، ص٥٠-٥٠ ، نقل عن : الحقيقل ، مصدر سابق ، ص٨٢-٨٤ .

(٥) الحقيقل ، مصدر سابق ، ص٨٥ .

كلمة (الوهابية) ليست صفة ذم ولا مدح ، فليست ذمًا حتى لو اعترفت الوهابية أنها مذهب ، فالمذهب الذي يعتمد على أدلة صحيحة لن يضره الاسم الجديد ، ولا تسمية الناس له ، وليس من شروط المذهب أن يكون في القرون الثلاثة الأولى ، كما أن التيار أو المذهب الذي يبنى فكره وعمله على أدلة ضعيفة ؛ لن يفعمه التسمي بأحسن الأسماء ولو كان في القرن الأول ، فالعبارة بصحة العلم وصفاء الإيمان وحسن العمل وليس بالتسمي ولا بالتمييز .

وعجبي ممن يكرر من المقلدين بأن لفظة (الوهابية) إنما أطلقها الخصوم ، ويدندنون حول اللقب والتسمية مع أن اللفظة أو التسمية خارج الروع هذا أمر .

أما الأمر الثاني : فقد كان علماء الدعوة يميزون استخدام (الوهابية) ويردونها في كتبهم دون خوف من اقام مذهب ، بل ربما ألفوا الكتب والرسائل في عقائد الوهابية ودعوتهم ولا ضير في ذلك .

ومن علماء الدعوة الذين استخدموا مصطلح (الوهابية) سليمان بن سحمان ، وقبله محمد بن عبد اللطيف (الدرر السنية ٤٣٣/٨) وغيرهما ، وكذا المدافعون عنها كالشيخ حامد الفقي ومحمد رشيد رضا وعبد الله القصيمي وسليمان الدخيل وأحمد بن حجر أبو طامي ومسعود الندوي وإبراهيم بن عبيد صاحب التذكرة وغيرهم ، يستخدمونها ، مع أن الشيخ حامد الفقي رحمه الله قد حاول أن يشكك في نيات كل من استخدم هذا المصطلح واقترح أن يطلق عليها (الدعوة المحمدية) لأنها تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ! وليس إلى والده (عبد الوهاب) وقد قلده من المتأخرين الشيخ صالح الفوزان في إنكاره على أبي زهرة وغيره ، ومطالبة الفقي والفوزان بأن نطلق على الوهابية (الدعوة المحمدية لا الوهابية) لأن الشيخ اسمه (محمد) هذا اقتراح منهما غريب عجيب ، لسبب يسر وهو : أن أغلب المذاهب المشهورة لا تسمى بأسماء أصحابها ، وإنما تسمى بأسماء آباء أو أجداد أصحاب المذاهب ، فالمذهب الحنبلي مثلا نسبة حنبل وحنبل هذا هو جد أحمد بن حنبل (اسمه أحمد بن محمد بن حنبل) ، والشيخ الفوزان أو الشيخ الفقي رحمه الله ومن تابعهما لا يعترضون على هذه تسمية (الحنابلة) بهذا الاسم ، ولا يطلقون على المذهب الحنبلي (المذهب الأحدي) ، وكذلك المذهب الشافعي نسبة لشافع (وشافع هذا جد الشافعي الرابع فالشافعي اسمه : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع) ، فلماذا لا يطلقون على

المذهب الشافعي (المذهب الحمدي) ا وكذلك الحنفية نسبة لأبي حنيفة ، وحنيفة ليس اسم صاحب المذهب ، وإنما اسمه النعمان بن ثابت ، وكذلك الأشاعرة المنتسبين لأبي الحسن الأشعري ، للأشعر جد جاهلي قدم لقبيلة الأشاعرة كلهم الذين منهم أبو الحسن ... وكذلك (الإباضية) نسبة لعبد الله بن إباض ، ... وهكذا لا تكاد تجد مذهبا يسمى باسم صاحبه إلا في النادر ، كالمالكي نسبة لـ (مالك بن أنس) والزيدية لـ (زيد بن علي) والجعفرية لـ (جعفر الصادق) ، فالذي يطلق الوهابية على مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس أبعد عن الصواب ممن يطلق الحنابلة على أتباع أحمد بن محمد بن حنبل ، فضلا عن غيره .

ثم الشيخ صالح الفوزان مثلا يطلق على أتباع محمد بن سرور بن ناييف زين العابدين كلمة (السرورية) فلماذا لا يسميها (الحمديّة) أيضا ونحن نسعم بين السلفية اليوم القبا يتنازرون بما كالجاهمين والمدخلين والبازين والألبانيين والقطيين والبنانيين ... الخ^(١).

إذا - أعي القارئ الكريم - لقد تبين لك أن مصطلح (الوهّابيّة) ظهر بعد ظهور محمد بن عبد الوهاب ، وهذا ما يعترف به الوهابية أنفسهم ، فلم يكن له ذكر في التراث الإسلامي قبل القرن الثاني عشر الهجري ، القرن الذي ظهر فيه محمد بن عبد الوهاب ، وتبين لك أن عددا من علماء الوهابية يقرون بهذا اللقب والانتماء إليه ، ولا يجدون غضاضة من أن ينسوا إليه ، فكيف بعد هذا كله يردد البعض أن (الوهّبيّة) هم (الوهّابيّة) ؟

في الختام أظن أن الصورة اتضحت جلية الآن ، واتضح أن المصطلح الإباضي (وهّبيّة) إنما هو نسبة للإمام الأول للمحكمة وهو عبد الله بن وهب الراسبي ، وليس في الإباضية مصطلح (وهّابيّة) حتى بالنسبة للذين ينسبون (الوهّبيّة) إلى الإمام عبد الوهاب فلم يقولوا (وهّابيّة) وإنما قالوا (وهّبيّة) .

واتضح أن مصطلح (الوهّبيّة) ضارب بجذوره في عمق التاريخ والتراث الإباضي ، وقد دُكر هذا المصطلح بهذه الصيغة في مختلف المصادر سواء الإباضية وغير الإباضية وحتى مؤلفات المستشرقين ، ولم يذكر أي منها هذا المصطلح بصيغة (الوهّابيّة) ، وإنما هذا المصطلح الأخرس

(١) المالكي ، داعة ولسن نبيا ، ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(الوَهَابِيَّة) ظهر في القرن الثاني عشر الهجري ، نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب الذي يعده الوهابية (السلفية) إماما لهم .

وأما مصطلح (الوَهْبِيَّة) فقد ظهر في القرن الثاني الهجري بسبب الانشقاق الذي اجتاحت صفوف الإباضية في شمال إفريقيا في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بسبب فتنة الثُّكَّار ، فانتمت إباضية شمال إفريقيا الذين وقفوا في صف الإمام عبد الوهاب إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن وهب الرُّاسِي ، معبرين بذلك عن التزامهم بخط الإباضية الأوائل وعدم المحرّاهم عنه كما محرّف الآخرون ، وبعد ذلك وفي القرن الثالث الهجري بدأت المصنفات الإباضية تورد ذكر هذا المصطلح في ثناياها ، وأصبح هذا المصطلح شعارا لكل إباضي التزم بخط سير الإباضية الأوائل أينما كان وفي أي زمان كان ...

(١١)

الْخَوَارِجُ وَزَيْفُ التَّارِيخِ

الْخَوَارِجُ وَزَيْفُ التَّارِيخِ

لقد دأب كثير من كتاب المقالات إلى إلصاق مصطلح الخوارج بالإباضية ، إما لأهواء في أنفسهم خدمة لبعض السياسات كالسياسة الأموية والعباسية ، أو لتعصب مذهبية ، ومصطلح (الخوارج) مبهم عائم يحتاج إلى توضيح المقصود به ، فكل أحد يفسره وفق مبادئه أو مصالحه ، قال الشيخ ناصر السامعي : * ومن خلال ما تقدم يتراءى أن هذا المصطلح كان لكل فريق من مستخدمي وجهه هو موليتها ، فعلى حين يبدو من الربط بين الخوارج والمارقة من قبل الأمويين قصد الدم واللمز ، يتضح من عبارات الأزارقة وأشعارهم إرادة التناء والتمدح ، كما تصرح عبارة عبد الله بن إياض بالتناء على الخوارج في قوله : « ... فهذا خير الخوارج نشهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداء ولن والاهم أولياء بأيدنا وألسنتنا وقلوبنا ... » مع سحبه هذا اللقب عن الأزارقة في قوله : « ... غير أننا نسرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس ... » * (١) .

لمصطلح الخوارج يأتي على عدة تفسيرات تتراوح بين المدح والذم ، فالخروج يأتي بمعنى الخروج في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ وَتَوَّأَزِدُوا الْخُرُوجَ لِأَعْدُوِّكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٣) ؛ إذا فهو مدح بهذا التفسير وهو الخروج في سبيل الله وليس ذمًا . وكذلك يأتي بمعنى الخروج السياسي على الحاكم ، سواء خرجوا على أئمة الحق كما فعل معاوية بخروجه على علي بن أبي طالب ، فمعاوية باغ بخروجه على الإمام علي الذي ارتضت الأمة إمامته ، وقد يكون الخروج بهدف إقامة الحق ؛ وهذا التفسير يفسر الإباضية خروجهم ، وخروج الرعييل الأول لهم وهم أهل الثَّهْرَوَانَ الذين خرجوا عن الإمام علي لما انحرف عن المنهج الصحيح ورضي بالتحكيم في شيء حكم الله تعالى فيه بنص كتابه في قوله : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) السامعي ، الخوارج والحقيقة الغائبة ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) سورة التوبة ، آية رقم : ٤٦ .

(٣) سورة النساء ، آية رقم : ١٠٠ .

اقتُلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦١﴾ ، ومعابرة باغ بخروجه على الإمام علي الذي ارتضته الأمة إماما عليها ، فكان حربا بالإمام علي مواصلة قتاله حتى يفيء إلى أمر الله ويرضخ للحق ، إلا أن رضاه الإمام علي بالتحكيم في أمر الخلافة يعد المحرافا منه عن الجادة ، وهذا ما لم يقبله أهل الثَّهْرَوَان ، فآثروا الخروج عن علي كرم الله وجهه (٦٢) .

فالإباضية في جميع لورائهم يفسرون خروجهم خروجا سياسيا على الظلم ، والأمثلة على ذلك كثيرة كخروجهم على الجورة من حكام بني أمية وبني العباس ، وإقامتهم الدول الإباضية في المغرب والمشرق المطبقة لشرع الله .

والخروج على أمية الجور لم ينفرد به الإباضية وحدهم بل وافقهم على ذلك جمهور الأمة ، قال ابن حزم : " وذهبت طوائف من أهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك ، قالوا : فإذا كان أهل الحق في عصاة يمتكهم الدفع ولا يأسون من الظفر ففرض عليهم ذلك ، وإن كانوا في عدد لا يرجون لقتلهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد ، وهذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكل من معه من الصحابة ، وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وكل من كان معهم من الصحابة ... وهو قول عبد الله بن الزبير ومحمد والحسن بن علي وبقية الصحابة والمهاجرين والأنصار القائمين يوم الحرة رضي الله عن جميعهم أجمعين . وقول كل من قام على الفاسق الحجاج ومن والاه من الصحابة رضي الله عن جميعهم كأئس بن مالك وكل ممن ذكرنا من الماضل التابعين كعبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن جبير وابن البحري الطائي وعطاء السلمي الأزدي والحسن البصري ومالك بن دينار ... " ، وذكر أسماء كثير من التابعين وأبائهم ، ثم قال : " ... وهو الذي تدل عليه أقوال الفقهاء كأبي حنيفة والحسن بن حي

(٦١) سورة الحجرات: آية رقم : ٩ .

(٦٢) السلمي ، الخوارج والحقيقة الغائبة ، ص ٧٠ ، ٨٨ .

وربك ومالك والشافعي وداود وأصحابهم ، فإن كل من ذكرنا من قديم وحديث إما ناطق بذلك في فتواه وإما فاعل لذلك بسلب سيفه في إنكار ما رأوه منكراً^(١) .

إذا فنحروج الإباضية السياسي على الحكام الجائرين ، ليس ذماً لهم بل هو مدح وشفرة يستحقون الشاء عليه ، كذلك لم ينفردوا وحدهم بهذا القول فقد وافقهم عليه جمهور الأمة كما رأينا من كلام ابن حزم .

وبآتي مصطلح (الخوارج) بمعنى الخروج من الملة الإسلامية والمروق من الدين ، وقد حاول البعض إصاق هذه التهمة بالخارجين عن الإمام علي من أهل الثَّهْرَوَان^(٢) ، وبالطبع ينسب الحكم على الإباضية لأن أهل الثَّهْرَوَان هم الرعيل الأول للإباضية ، وقد يجادل بعض الكُتَّاب لتلطيف الجواب بالقول إن الإباضية أكثر فرق الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى أهل السنة والجماعة^(٣) ، وكان أهل السنة والجماعة^(٤) أصبحت هي المقياس والميزان الذي يقاس ويوزن به المسلمون ! ولكن ما الجرم الذي ارتكبه أهل الثَّهْرَوَان حتى يتم إخراجهم من الملة الإسلامية ويتصوا بالمروق والخروج ، ألأنهم خرجوا على الإمام علي ؟ وهل هم وحدهم الذين خرجوا على الإمام علي ؟ ، ألم يخرج عليه الزبير وطلحة وعائشة أم المؤمنين يوم الجَمَل ١٢^(٥) ، وألم يخرج عليه معاوية وأهل الشام يوم صَيِّب ١٢^(٦) فلماذا لا يتعنون بما نعمت به أهل الثَّهْرَوَان ؟ لماذا خص أهل الثَّهْرَوَان بالمروق والخروج دون غيرهم ؟

(١) علي بن أحمد (ابن حزم) الظاهري ، الفصل في المال والأهواء والنحل ، ج ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ١٧١-١٧٢ .

(٢) محمد عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تج : عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ص ١١٥- محمد بن علي الشوكاني ، نيل الأوطار ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ٣١٧/١ ، ٣٥١/٧ .

(٣) للمبرد ، الكامل ، ١٤٨/٢- ابن خلون ، تلويح ابن خلون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ٧٦/٢- الشوكاني ، مصدر سابق ، ٣٤٢/٧ .

(٤) ويقول د/ مسلمي صقر أبو داود : " مصطلح أهل السنة يشير كثيراً من اللبس والتساؤلات وله ظروف نشأة كثيرة ، لعبت فيه المصالح السياسية دوراً مهماً في تعميق الشرح بين المدارس الفكرية الإسلامية سواء في الجانب الفقهي أو العقدي ، فأصبحت بعض المذاهب تحتكر هذا المصطلح وتحمي نفسها شرعية دينية أكثر من غيرها مما أدى إلى شيوع التبذير والتكفير ضد المذاهب المخالفة لها ، لذلك فإنني أدعو الباحثين إعادة النظر فيه من جديد ومعرفة مدى الصدقية التي يحملها أو الشرعية التي تجعله لمذهب دون آخر " (انظر : مسلمي صقر ، الإمام جابر بن زيد ، ص ٣٦ الهامش) .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، مركز التراث ، للتاريخ ، الإصدار الثاني ، ١٤١٦هـ / ٢٠٠٠م ، عمان ، الأردن ، ص ١٨١- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤١/٧- البرادي ، الجواهر المنتقاة (مخ) ، ص ١٠٤ .

(٦) خليفة بن خياط ، مصدر سابق ، ١٩١/١ ، ١٩٢- ابن كثير ، مصدر سابق ، ٢٥٥/٧- البرادي ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

وأما الروايات التي تنسب إلى الرسول ﷺ في الخوارج وأنها تنطبق على أهل التّهزّون فقد تكفل بدراستها الشيخ ناصر السابحي في كتابه القيم (الخوارج والحقيقة الغائبة) ، وبين ما فيها من أوجه الضعف واللبس ، فمن أرادها مجدداً في الكتاب المذكور .

والملاحظ أن الرعيل الأول للإباضية لم يستكف من لقب الخوارج بل كان يعترف به ويفسره كاعتهم الأوائل بالخروج السياسي على أئمة الجور كما مر وليس بالخروج من الدين أو باستباحة دماء المسلمين وسبي ذراريهم وغنم أموالهم كما يرى بعض أصحاب الأهواء ؛ وسنذكر بعد قليل بعض النصوص استخدم فيها أئمة الإباضية مصطلح الخوارج قاصدين بذلك الخروج السياسي ، كص الإمام عبد الله بن إباض ونص الإمام سالم بن ذكوان .

ولكن لما تطور الأمر وزعم الأزارقة والنجدات والصفرية استباحة دماء المسلمين وسبي ذراريهم وغنم أموالهم ، تبرأ الإباضية منهم وردوا عليهم ، وبينوا موقفهم من هذه الفتنة بكل صراحة ووضوح ، وهو أنهم لا يميزون قتل المسلمين بغير حق ولا سبي ذراريهم ولا غنم أموالهم ، فالإمام المؤسس للمذهب الإباضي الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد (ت : ٩٣هـ / ٧١١م) كان يناقش الخوارج وحكمتهم على عامة المسلمين بالشرك واستباحة دمانهم مستكراً ذلك عليهم ومستعظماً تكفيرهم لقبية المسلمين ، فيذكر ضُمام بن السائب (ق : ٢هـ) أن جابر بن زيد كان يأتي الخوارج فيقول لهم : أليس قد حرم الله دماء المسلمين بدين ؟ فيقولون : بلى ، وحرم الله البراءة منهم بدين ؟ فيقولون : بلى ، فيقول : أليس قد أحل الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين ؟ فيقولون : بلى ، فيقول : وحرم الله ولايتهم بدين بعد الأمر بها بدين ؟ فيقولون : بلى ، فيقول : فهل أحل ما عدا هذا بدين ؟ فيسكتون ولا يجيبونه بشيء . ثم يقول أبو سفيان محبوب بن الرحيل (ق : ٢هـ) معلقاً : وهؤلاء أصحاب نافع بن الأزرق ومن قال بقولهم في استحلال أموال المسلمين بدين^(١) .

ومجد الإمام عبد الله بن إباض (ت : ٨٦هـ / ٧٠٥م) في كتابه إلى عبد الملك بن مروان تبرأ من الخوارج عندما انحرفوا فكفروا مخالفتهم واستباحوا دماء المسلمين وغنم أموالهم وسبي

(١) الدرجنبي ، طبقات المشائخ ، ٢٠٨/٢ - ٢٠٩ - الثمناخي ، السير ، ٧٢/١ .

ذراريمهم ، فيقول : " ... هذا خبر الخوارج ^(١) شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداؤنا ولن والاهم أولياؤنا بالمستنا وأيدينا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه عند ربنا . إنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه ، لقد كان حين نخرج ، على الإسلام فيما ظهر لنا ، ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه ، فنبأ إلى الله منهم ... " ^(٢) .

وهذا سالم بن ذكوان الهلالي (حي بين : ٩٩هـ / ٧١٧م - ١٠١هـ / ٧١٩م) في سيرته يوضح الفرق الدقيق بين الخروج السياسي على الجور والظلم والانحراف عن الحق ، وبين الخوارج الذين كفروا مخالفتهم لمخالفوا المبادئ والقيم التي لأجلها خرج أهل التهوران عن الإمام علي ، فيقول : " ثم تابعت على ذلك خوارج المسلمين ^(٣) يحكمون الله وحده ويرضون سبيل من مضى قلبهم من المسلمين ، لا يقتلون ذرية قومهم ، ولا يستحلون فروج نسائهم ، ولا يستعرضونهم ، ولا يجمسون أموالهم ، ولا يقطعون الميراث منهم ، ويؤدون الأمانة إليهم وإلى غيرهم ... ثم خرج من بعدهم ابن الأزرق وأصحابه ، فمكثوا ما شاء الله بسيرة من كان قلبهم من الخوارج ^(٤) ثم أقم جرمهم شنتان قوم أن أنزلوهم بمنازل عبدة الأوثان ، فقطعوا الميراث منهم ، وحرموا مناعتهم وقد ناكحهم من يتولون ووارثهم ، فإن يكن ذلك هدى عمل به من يتولون ، فقد خالفوهم فيه ودانوا اليوم بالبراءة ممن عمل به ، وإن يكن ذلك ضلالة ضلوا بتوليتهم من عمل به واستحلوا سبأ قومهم واستكاح نسائهم وحس أموالهم وقتل ذراريمهم واستعرضهم ... ثم كان من بعدهم أهل اليمامة مجدة وأصحابه ، فشهدوا على قومهم أنهم بمرلة عبدة الأوثان ، ثم استحلوا من نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم ما حرم الله من نساء المشركين وذبائحهم ... " ^(٥) .

وكان الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت : ١٤٥هـ / ٧٦٢م) يعتبر جهاد الخوارج طاعة وذلك لاستحلالهم ما حرم الله من دماء المسلمين وأموالهم ، وكان عدد من أئمة الإباضية يقاتلون الخوارج كجعفر بن السماك (حي بين : ٩٩هـ / ٧١٧م - ١٠١هـ / ٧١٩م) ، والحثائب بن كاتب (حي بين : ٩٩هـ / ٧١٧م - ١٠١هـ / ٧١٩م) ، اللذين استشهدا في

^(١) يقصد الخروج السياسي ضد الظلم والجور كخروج أهل التهوران وكخروج أبي بلاك مرداس بن حدير .

^(٢) كتاب عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان أنظر : محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

^(٣) يقصد الخروج السياسي ضد الظلم والجور .

^(٤) يقصد الخروج السياسي ضد الظلم والجور .

^(٥) سيرة سالم بن ذكوان أنظر : محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٨ .

قتلهم ضد الخوارج^(١) ؛ وكذلك ما قام به الإمام الجندى بن مسعود (ت : ١٣٣هـ / ٧٥٠م) أول إمام مبایع بعمان من مقاتلة شبان الخارجي - من الصفرية - والقضاء عليه في معركة جلفار (رأس الخيمة)^(٢) ؛ ومقاتلة الإمام أبي الخطاب المَعَالِيزِي (ت : ١٤٤هـ / ٧٦١م) للصفرية لما استصره أهل القَيْرَوَان ، فقتل عليهم^(٣) .

ويقول الإمام الربيع بن حبيب (توفي بين ١٧٥هـ / ٧٩١م - ١٨٠هـ / ٧٩٦م) في الخوارج : " دعوهم حتى يتجاوزوا القول إلى الفعل لأن بقوا على قولهم لخطأهم محمول عليهم ، وإن تجاوزوه إلى الفعل حكمنا بهم بحكم الله " ^(٤) .

وقال أبو حنيفة المختار بن عوف الشَّارِي (ت : ١٣٠هـ / ٧٤٧م) في خطبته المشهورة لأهل المدينة مينا فكر الإباضية وعقيدتهم التي جهلها الكثيرون من افرى عليهم : " يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن ، أو كافرا من أهل الكتاب ، أو إماما جائرا ... " ^(٥) .

ومجد الشيخ عُفْرُوس بن فتح الثَّقُوسِي (ت : ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) يرد على الصفرية عندما كَفَرُوا أهل القبلة فيقول : " وقالت الصفرية بتشريك أهل الكباير من أهل التوحيد ، واستحلوا سبي ذراريهم ، وغنمة أموالهم جرأة على الله ، ديننا لم يشرعه الله ولم يسن بسيرته نبي الله عليه السلام ، وتأولوا على ذلك تأويل شبهة خالفت الحق وخرجت من العدل ، فدخل عليهم من الضلال ما لا نهاية له " ^(٦) .

هذا بالنسبة لأنمة الإباضية في القرون الهجرية الثلاثة الأولى ، فهل تغيرت معاملة الإباضية لمخالفيهم وموقفهم منهم في القرون التي تلت ؟ بالطبع لا ، فهذا الإمام أبو الحسن علي بن محمد البِسْتَوِي العَمَّانِي (ق : ٥٥هـ) يقول منكرًا على الخوارج تكفيرهم للمسلمين : " وسأل عما

(١) سلام بن حمد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الإباضية ، دار النشر غير مسجلة ، ص ١٤٠-١٤١- الراشدي ، الإمام أبو عبيدة وفتحه ، ص ٢١٩ .

(٢) السالمي ، تحفة الأعيان ، ٩٢/١ .

(٣) أبو زكرياه ، سير الأئمة ، ص ٦٠-٦٤- للدرجيني ، طبقت المشايخ ، ٢٦٦-٢٩- الشماخي ، السير ، ١١٥/١-١١٨- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٢٧/٤-٢٢٨ .

(٤) إبراهيم طيفيش ، الفرق بين الإباضية والخوارج ، مكتبة الاستقامة ، روي ، مطبعة عمان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٥٠ .

(٥) أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٢ ، دار الفكر ، ط ١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٤٩ .

(٦) عمرو بن ، الدونوة الصالفة ، ص ٦٩ .

انتحل الخوارج من الهجرة واستحلوا من قتل أهل القبلة ، من غير حدث ، وسبهم وتسميتهم بالشرك ؟

قيل له : القائل بذلك من الخوارج ضال عن سواء السبيل ، فاما الهجرة بالاتفاق من السلف أن النبي ﷺ بعد فتح مكة ، قال : لا هجرة بعد فتح مكة . وقال بعد اليوم ، وقد كان بعد ذلك يدخلون في دين الله أفواجا ، ويرجعون إلى بلادهم ويسمون مسلمين ، ولم الولاية والمودة وعليهم النصر ، وقد كان يقبل الإسلام ممن يأتيه ، ومن خرج إليه فأسلم أو صالح أو أعطى الجزية من أهل الذمة ، قُبِلَ منه وأقْرَبُ في بلاده وعلى دينه ؛ فذلك ما يبطل قولهم في الهجرة بعد الفتح ، وقد كانت الهجرة قبل الفتح . وقد عذر الله المستضعفين الذين قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (١) ؛ وقد كان النبي ﷺ يقبل ممن أراد الإسلام وقال : إنه مهاجر حيث ما كان ، مثل خزاعة وغيرهم . وقد كان العباس بمكة ... وقد قبل الله ورسوله منه ذلك ، ومن أقْرَبَهُ الله من الضعفاء الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، دليل على بطلان قولهم : إن كل دار يحكم فيها بغير ما أنزل الله لا يقبل فيها من أحد حسة ... لهذا عطا من الخوارج ، وأما تسميتهم إياهم بالشرك والكفر من غير ذنب ، والارتداد ، فذلك عطا عظيم ؛ وقد قال رسول الله ﷺ خلافا لذلك : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها حرّم عليّ دمازهم وأمواهم إلا بحقها » (٢) ؛ فهذا ما يبطل قولهم في الهجرة ، ولي تحليل أموال أهل القبلة ... (٣) .

(١) الآية كاملة : ﴿ إِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ، سورة النساء ، رقم الآية : ٩٨ .

(٢) رواه الإمام الربيع في مسنده ، كتاب الجهاد ، باب (١٧) ، حديث رقم (٤٦٤) ، عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأمواهم إلا بحقها " ؛ ورواه الإمام البخاري في صحيحه من طريق عبد الله بن عمر بلفظ قريب في كتاب الإيمان ، باب (١٧) ، حديث رقم (٢٥) ، ومن طريق أنس بن مالك بلفظ قريب في كتاب الصلاة ، باب (٢٨) ، حديث رقم (٣٩٢) ، ومن طريق أبي هريرة بلفظ قريب في كتاب الجهاد والسير ، باب (١٠٢) ، حديث رقم (٢٩٤٦) ؛ ورواه الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة بلفظ قريب في كتاب الإيمان ، باب (٨) ، حديث رقم (٢٠) ، ومن نفس الطريق بلفظ قريب في كتاب فضائل الصحابة ، باب (٤) ، حديث رقم (٢٤٠٥) ، (انظر : ربيع بن حبيب ، الجامع الصحيح ، ١٢٢٢/٢ - ابن حجر ، فتح الباري ، ١٠٢/١ ، ٦٥٤ ، ١٣٨/٦ ، النووي ، شرح صحيح مسلم ، ١٧٨/١ - ١٧٩ ، ١٥٠ / ١٥ - ١٤٣ - ١٤٤) .

(٣) علي بن محمد البسوي ، جامع أبي الحسن البسوي ، ج ١ ، وزارة للتراث والثقافة ، مطبعة صان ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

والإمام العلامة أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت : ٥٧٠هـ / ١١٧٥م) من علماء الإباضية في القرن الهجري السادس يؤكد ما قاله أئمة الإباضية الأوائل حيث يقول : " وزلة الخوارج نافع بن الأزرق وذوبه حين تأولوا قول الله في : ﴿ وَإِنْ أَعْطَمْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾^(١) ، فالتبوا الشرك لأهل التوحيد حين أتوا من المعاصي ما أتوا ولو أصغرها "^(٢) ، وقال : " وأما المارقة فإنهم زعموا أن من عصى الله تعالى ولو في صغير من الذنوب وكبير أشرك بالله العظيم ، وتأولوا قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ أَعْطَمْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ، ففصوا بالاسم على جميع من عصى الله عز وجل أنه مشرك ، وعقبوا بالأحكام ، فاستحلوا قتل الرجال ، وأخذ الأموال ، والسبي للعمال ، فحسبهم قول رسول الله ﷺ : « إن ناسا من أمي يبرقون من الدين مروق السهم من الرمية لتنظر في النصل فلا ترى شيئا ، وتنظر في القدح فلا ترى شيئا ، وتتمارى في الفوق »^(٣) ، فليس في أمة محمد ﷺ أشبه شيء بهذه الرواية منهم ، لأنهم عكسوا الشريعة ، قلبوها ظهرا لبطن ، وبدلوا الأسماء والأحكام ، لأن المسلمين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يعصون ولا يجري عليهم أحكام المشركين ... "^(٤) .

هذا بالنسبة لأئمة الإباضية المتقدمين ، ولما نجد أن أئمة الإباضية المتأخرين ساروا على نفس النهج لم ينحرفوا عنه قيد أغلظ ، فنذكر على سبيل المثال الإمام العلامة سعيد بن خلفان الحلي (ت :

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ١٢١ .

(٢) أبو يعقوب الوارجلاني ، الذليل والبرهان ، ٢٨/١ .

(٣) رواه الإمام الربيع في مسنده ، باب (٥) ، حديث رقم (٣٦) ، عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يخرج فيكم قوم تحقرون صلواتكم مع صلواتهم وسلامتهم مع صلواتهم وأصلاكم مع أصلاهم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا ترى شيئا ثم تنظر في الفتح فلا ترى شيئا ثم تنظر في الريش فلا ترى شيئا وتتمارى في الفوق " قال الربيع : النصل حديدية السهم والفتح السهم الذي فيه الحديدية وريش السهم الذي يوضع فيه الوتر ١ ورواه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (٦) ، حديث رقم (٣٣٤٤) ، وكتائب المناقب ، باب (٢٥) ، حديث رقم (٣٦١٠) ، وكتائب المغازي ، باب (١٢) ، حديث رقم (٤٣٥١) ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب (٤٧) ، حديث رقم (١٠٦٣) ، ورقم (١٠٦٤) ، ورواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة (٣٩) ، باب (٢٧ ، ٢٦) ، حديث رقم (٤٧٥١) ، ورقم (٤٧٥٢) ، ورقم (٤٧٥٤) (انتظر : الربيع بن حبيب ، الجامع الصحيح ، ١/١٥١ - ١١٠ - ابن حجر ، فتح الباري ، ١/٤٦٣ - ٤٦٤ ، ٧٦٦ ، ٨٤/٨ - النووي ، شرح النووي ، ١٤١/٧ ، ١٤٢ - أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي ، كتاب السنن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٧٩٨) .

(٤) الوارجلاني ، الذليل والبرهان ، ٤٤/١ - ٤٣/١ .

١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م) حيث يقول : " إياك ثم إياك أن تعجل بالحكم على أهل القبلة بالإشراك من قبل معرفة بأصوله فإنه موضع الهلاك والإهلاك " (١).

ويقول قطب الأئمة محمد بن يوسف الطفتيش (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) : " نجب معرفة تحريم سوق سلب الموحد وسببه للتوحيد مع معرفة تحريم ضرب في بدنه ، أو تحريم قتله ، أو تحريم ما يؤدي إلى موته ، أو تحريم إهراق دمه على التوحيد والإسلام ... ومن أحل مال الموحد أو سلبه أو سببه أشرك ... " (٢).

ويقول الإمام العلامة عبد الله بن حميد السالمي (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) : " وأعلم أن اسم الخوارج كان في الزمان الأول مدحا ، لأنه جمع خارجة ، وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله تعالى ، قال عز وجل : ﴿ وَتَوَلَّوْا أَرْضَ الْيَوْمَ الَّذِي كُنْتُمْ تُعَدُّوْنَ لَهُ عُدَّةً ﴾ (٣) ، ثم صار دما لكثرة تأويل المخالفين أحاديث الذم فيمن اتصف بذلك آخر الزمان ، ثم زاد استباحه حين استبد به الأزارقة والصفورية ، فهو من الأسماء التي اختفى سببها وقبحت لغيتها ، فمن ثم تسرى أصحابنا [يقصد الإباضية] لا يتسمون بذلك وإنما يتسمون بأهل الاستقامة لاستقامتهم في الديانة " (٤).

وله كلام قيم في (تحفة الأعيان) حول نظرة الإباضية لمخالفهم حريّ بنا تأمله ، حيث يقول : " ... وتؤدي الأمانة إلى من استأمتنا عليها من قومنا أو غيرهم ، ونولي بعهود قومنا وأهل الذمة وغيرهم ، ونجبر من استجارنا من قومنا وغيرهم ... ولا نرى الفلتك بقومنا ولا قتلهم في السر وإن كانوا ضلالا ، لأن الله لم يأمر به في كتابه ، ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين ، فكيف نفعله نحن بأهل القبلة ؟ ... ونرى أن تناكحة قومنا وموارثتهم لا تحرم علينا ما داموا يستقبلون قبلتنا ... ولا نرى أن نقذف أحدا ممن يستقبل قبلتنا بما لم نعلم أنه فعله خلافا للخوارج الذين يستحلون قذف من يعلمون أنه بريء من الزنا من قومهم وهم بذلك مضلون ... ولا نرى استعراض قومنا بالسيف ما داموا يستقبلون القبلة ، ولا نرى قتل الصغير من

(١) سعد بن خلفان الخليلي ، تمهيد قواعد الإيمان ، ٢٤٤/١ نقل عن : القوي ، السيف الحد ، ص ٤١ .

(٢) محمد بن يوسف الطفتيش ، الذهب الخالص المنوه بالعلم القاصم ، مكتبة الضمائر ، مطبعة عمان ، ص : ٢٤ .

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص ٤٦ .

(٣) سورة التوبة ، آية رقم : ٤٦ .

(٤) عبد الله بن حميد السالمي ، شرح الجامع الصحيح ، ج ١ ، المطبع الذهبية ، روي ، مطبعة عمان ، ١٩٩٣م ، ص ٥٩ .

أهل قبلتنا ولا غيرهم ... ولا نرى انتحال الهجرة من دار قومنا لهجرة النبي وأصحابه من دار قومه ... * (١)

ولجده يقول في جوهر النظام (٢) :

وَمَالَ أَهْلِ النَّبِيِّ لَا يَحِلُّ
خَوَارِجٌ غَلَّتْ وَصَارَتْ مَارِقَةً
فَحَكْمُوا بِحُكْمِ الْمُشْرِكِينَ
فَعَرَضُوا لِلنَّاسِ بِالسَّيْفِ كَمَا
وَأُمَّةُ الْمُخْتَارِ فَارْتَقَتْهُمْ
وَوَزَدَتْ فِيهِمْ عَنِ الْمُخْتَارِ
وَلِيهِمُ الْمُرُوقُ يُعْرِقُهَا
وَيَقُولُ فِي كَشْفِ الْحَقِيقَةِ (٣) :

وَلتَحْسُنْ لَا تُطَالِبُ الْعِبَادَةَ
فَمَنْ أَنَّى بِالْمُؤْمِنِينَ قُلْنَا
إِلَّا إِذَا مَا نَقَضُوا الْمُقَالَاتِ
فَعَمَّا يُبَيِّنُ الصُّوَابَ لَهُمْ
فَسَوْقَ شَهَادَتِهِمْ اغْتِصَادًا
إِخْوَانًا وَبِالْحُقُوقِ قُمْنَا
وَاعْتَقَدُوا فِي دِينِهِمْ ضَلَالًا
وَلتَحْسُنْ ذَلِكَ مِنْ حَقِّهِمْ

ولجده الشيخ أبا إسحاق إبراهيم الطفيش (ت : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) يقول : " وأرى أن الخلاف بين الأمة في الاصطلاحات ليس إلا ، سوى الأزارقة والصفرية فعندهم الكبائر كلها شرك . لذلك استحلوا الدماء والأموال والسي لأبناء المسلمين ونسائهم وخرّبوا البلدان بوقائعهم التاريخية المهولة " (٤) ؛ وقد ألف - رحمه الله - رسالة مختصرة قيمة تحت عنوان (الفرق بين

(١) السلمي ، تحفة الأعيان ، ٧٨/١ - ٧٩ .

(٢) عبد الله بن حميد السلمي ، جوهر النظام في علمي الأحكام والأدين ، ج ٣ ، مطبعة الألوان الحديثة ، سلطنة عمان ، ص ٢٣١ .

(٣) عبد الله بن حميد السلمي ، منظومة كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة ، نشرت ضمن كتاب مفتاح السعادة إلى صحیح العباد ، مكتبة الإمام نور الدين السلمي ، السبب ، سلطنة عمان ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٤) بكر بن سعيد أعروش ، أضواء إسلامية على المعالم الإباضية ، الدار العمانية للنشر والتوزيع ، سلطنة عمان ، ص ٦٨ .

الإباضية والحوارج) وهي منشورة ومتداولة ^(١) ، وكذلك معروضة في بعض مواقع الشبكة العالمية (الإنترنت) ^(٢) .

ومرجع الإباضية في هذا الوقت سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الحلي حفظه الله ، مجده في العديد من المناسبات وفي مؤلفاته ومحاضراته يبرز نظرة الإباضية إلى إخوانهم أتباع المدارس الإسلامية الأخرى ، ومنهجهم في التعامل معهم ، والفرق بين الإباضية والحوارج ، فمن ذلك مثلا قوله : " إن الحوارج طوائف عرفت بتشدها وغلوها في حين أن الإباضية طائفة معتدلة ليس فيها إسراف في التشدد وليس في أمرها غلو ، والحوارج كما عرف عنهم أنهم يحكمون على أهل التوحيد بأنهم مشركون ، وترتب على ذلك استباحتهم لدمانهم وأموالهم وسبي ذريتهم ، بينما الإباضية أعف الناس عن ذلك ، كما عرف من تاريخهم " ^(٣) .

وقال فضيلة الشيخ العلامة سعيد بن مبروك الفتوي حفظه الله : " ظن كثير من الناس أن الإباضية أهل الحق والاستقامة فرقة من فرق الحوارج ... والحق أن الإباضية لا علاقة لهم بالحوارج ، ومن تصفح كتبهم - أعني الإباضية - تبين له ذلك من أول نظرة ، وذلك أن الإباضية قد حكموا بضلال الحوارج وفسقوهم بسب وحرابوهم ، والنصوص على ذلك كثيرة جدا ... " ^(٤) .

إذا هذه هي أقوال أئمة الإباضية - على مر القرون - في إخوانهم من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى ، هم إخوانهم في الدين ، لا يجوز استباحة دمانهم ولا سبي ذريتهم ولا غنم أموالهم ، حقوقهم مصانة ، يعبدون وهم وفق المذهب الذي اتبعوه لا أحد يضيق عليهم أو يجبرهم على أن يتخلوا عن معتقداتهم ، هذا في الجانب النظري ، فماذا عن الجانب العملي ، هل خالف الإباضية عمليا ما سطره في بطون مؤلفاتهم ؟ هل كفروا من سكن بين ظهرانيهم من غير الإباضية ؟ هل استباحوا دمه وغنموا ماله وسبوا ذريته ؟

^(١) نشرتها مكتبة الاستقامة ، روي ، مطبعة عمان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

^(٢) انظر مثلا موقع الأمل المشرق (www.alami.net) ، قسم التاريخ .

^(٣) عمر بن الحاج محمد صالح با ، دراسة في الفكر الإباضي ، مكتبة الاستقامة ، مطبعة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ٩٢ .

^(٤) سعيد بن مبروك الفتوي ، السيف الحاد ، مطابع النهضة ، مطبعة عمان ، ط ٢ : ١٤١٨هـ ، ص ٤٢ .

الجواب : لا أبدا ، لم يخالف الإباضية عمليا في عصر من العصور ما سطره في كتبهم من الأقوال وأحكام ؛ وسانقل بعض النماذج للتمثيل وليس الحصر ؛ يقول المقدسي - وهو غير إباضي - في وصف تَهْرُتْ عاصمة الدولة الرستمية : " ... هي بلخ المغرب ، قد أجدت بها الأنهار ، وانتفت بها الأشجار ، وغابت في البساتين ، ونبتت حولها العين ، وجل بها الإقليم ، وانتش فيه الغريب ، واستطابها اللبيب ، يفضلونها على دمشق وأخطاوا ، وعلى قرطبة وما أظهم أصابوا ، هو بلد كبير ، كثير الخمر رحب ، رقيق طيب ، رشيق الأسواق ، غزير الماء ، جيد الأهل ، قدم الوضع ، محكم الرصف ، عجب الوصف ... " (١) .

ويقول ابن الصغور - ذكرت أنه شيعي وقيل مالكي - مؤرخ الدولة الرستمية وعاش في عاصمتها تهرت : " ... ليس أحد يزل بهم من الغبراء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم ، لما يرى من رخاء البلد وحسن ميرة إمامه وعطله في رعيته ، وأمانته على نفسه وماله ، حتى لا ترى دارا إلا قبل هذه للفلان الكوفي ، وهذه للفلان البصري ، وهذه للفلان القروي ، وهذا لمسجد القرويين ، ورحبتهم ، وهذا لمسجد البصريين ، وهذا لمسجد الكوفيين ... " (٢) .

وكانت تحدث مناظرات بين أتباع مختلف المذاهب بكل حرية يقول ابن الصغور عن ذلك : " من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم ، فربوه وناظروه ألطف مناظرة ، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سيله كذلك " (٣) .

هذا بالنسبة لإباضية المغرب ، فماذا عن إباضية المشرق ؟

لو أردت ضرب الأمثلة لطال بنا المقام ، ولكن سأكتفي بنموذجين وعليهما فقس ؛ ما قام به الإمام عبد الله بن يحيى الكندي طالب الحق (ت : ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) عندما دخل صنعاء وحررها من جور بني أمية فأعاد الأموال المكدسة في خزائن ولادة بني أمية إلى فقراء صنعاء ولم يأخذ منها درهما واحدا بالرغم من حاجته هو وأصحابه إلى المال ليقتنوا به (٤) .

(١) المتقسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٢٨ .

(٢) ابن الصغور ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٦ .

(٣) ابن الصغور ، مصدر سبق ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) الشماخي ، السير ، ٩١/١ - ٩٢ - مهدي هاشم ، الحركة الإباضية ، ص ١١٦ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٢١ .

وما قام به الإمام ناصر بن مرشد اليُرُبِّي (حكم عُمان : ١٠٢٤هـ / ١٦٦٥م - ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م) الذي أعاد إلى الشيعة بصُخَّار من عُمان أموالهم بعد أن فكها من أيدي البرتغاليين^(١) .

ثم أسأل عن الإباضية اليوم في مقدم ودولهم ببلاد المغرب والشرق ، كيف هي معاملتهم لمُساكِينِهِم في بلدانهم التي هم فيها الأغلبية ؟ لتعرف أن ما ذكره ابن الصغير عن الأقليات في تَهَرَّتْ في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، لا يزال قائما كما هو لم يتغير ، فهذا هو المذهب الإباضي وهذا هو منهجه وسلوكه في معاملة الآخرين .

إذا أخي القارئ الكريم ، هذه هي سرّة الإباضية وهذا هو فكرهم وهذه هي أوقالهم والعالم شاهدة عليهم ، ينظرون إلى مخالفيهم نظرة احترام وتقدير ، لا يكفروهم ولا يستيحيون دماءهم أو يفتنون أموالهم أو يسبون ذراريتهم ، بل وجدناهم يعيدون لهم أموالهم ، هم إخوانهم في الدين ، يعيشون في دول الإباضية بكل حرية حقوقهم مصانة ، يعيدون لهم وفق المذهب الذي اختاروه واقتنعوا به ، بل وتجد لهم مساجدهم الخاصة بهم في دول الإباضية ، ويختلطون مع الإباضية ويتبادلون الحوار والنقاش العلمي بكل حرية وسلاسة ، لا يخالفون على حياتهم وأموالهم وأسرتهم إن هم صرحوا بمعتقداتهم ومذاهبهم ، ووجدنا الإباضية يتزوجون من مخالفيهم ويزوجونهم ، فإن زرت بلدان الإباضية سواء في الماضي أم الحاضر تجد السكان مختلطين معا فلا تميز بين الإباضي وغير الإباضي ، بل تجد الإباضي يصلي في مساجد السنة أو الشيعة والعكس صحيح ، تجدهم في الأفراح يتبادلون التهاني وفي الأتراح التعازي ، ويمد الإباضي يد العون إلى أخيه السني أو الشيعي والعكس صحيح ، فهل بعد ذلك نقول إن الإباضية من الحوارج ؟!

(١) السلمي ، تحفة الأعيان ، ١٠/٢ .

الخاتمة

بعد هذا الترحال عبر القرون مقلين أوراق الماضي ، نالضين العبار عن تاريخ مدرسة إسلامية هي من أوائل المدارس الإسلامية نشأة وظهورا ، ألا وهي المدرسة الإباضية ، مستخرجين نفايس ودرر سير وآثار أئمتها وعلمائها ودولها التي قامت ، فقد آن الأوان أن نلجم عنان القلم ، ونضع عصا الترحال .

وهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ الكريم إنما هو مجرد إضاءات متفرقة من قرون عدة لتاريخ وسير الإباضية ، إذ إن التاريخ والتراث الإباضي يحتاج إلى جيش من الباحثين لإخراجه إلى النور ، ويحتاج إلى جهد وعمل دائبين مع توفير الإمكانيات اللازمة من أجهزة ودعم مادي لإخراج التراث الإباضي إلى القراء محققا تحقيقا وصينا بتوب قشيب .

ولكن وكما يقال : ما لا يدرك جله لا يترك كله ، فقد حاولت في هذا الكتاب وما تضمنه من بحوث أن أعطي القارئ الكريم صورة للتراث والتاريخ الإباضي ، وغاذج من دولهم التي قامت وأئمتهم الذين ظهوروا ، وأهم ما قدموه من خدمات للأمة الإسلامية ، كذلك حاولت أن أسلط الضوء على التراث الإباضي من مؤلفات علمية ، حيث كانت لهم بصمتهم الواضحة وأثرهم الواسع في دائرة التراث الإسلامي ، وحاولت أيضا تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة حول الإباضية علققت في عقول البعض بسبب التشويه الذي لحق بالإباضية من قبل بعض كتاب المقالات القدماء ، وتبعهم بعض الكتاب المعاصرين بعضهم عن غير قصد وعن جهل منهم ، والبعض الآخر عن قصد لتحقيق مآرب معينة .

وأهم النتائج التي يمكن أن نخرج بها من خلال هذا الكتاب هي :

انتشر المذهب الإباضي في المغرب على يد دعاة الإباضية وعلى رأسهم سلمة بن سعد الحَضْرَمِي (حي : ١٣٥هـ / ٧٥٢م) ، الذي قدم من المشرق تحديدا البصرة ، بعد أن أخذ العلم والمذهب الإباضي على يد إمام الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (ت : ١٤٥هـ / ٧٦٢م) .

في سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م بايع الإباضية بالمغرب الإمام أبا الخطاب عبد الأعلى بن السّمح المَعْفاري بالإمامة ، وأعلنوا ظهور دولتهم الإباضية الجديدة ، وبعد سقوط دولة أبي الخطاب بايع الإباضية الإمام أبو حاتم يعقوب بن حبيب المَلْزُوزِي في سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م بالإمامة ، وأعلن ثورته في سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م .

كان الشيخ مهدي التّفُوسِي الإبُلُوي من علماء الإباضية الذين برعوا في المناظرة ، فكان له الفضل في تفنيد شبه المعتزلة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، الإمام الثاني من أئمة الدولة الرستمية (حكم من ١٧١هـ / ٧٨٧م - ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) .

اعتنت الدولة الرستمية (١٦٠هـ / ٧٧٦م - ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) بالقضاء ، وجعلته من أولى اهتماماتها بعد الإمامة ، فظهر لها عدد من القضاة المرموقين ، منهم الشيخ مُحَكِّم بن هُود المُوَارِي (حي : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨هـ / ٨٧١م) .

لقد اعتنى علماء الإباضية بتفسير القرآن الكريم منذ القرون الهجرية الأولى ، فمن علمائهم الذين عنوا بهذا الجانب الشيخ العلامة المفسر هُود بن مُحَكِّم بن هُود المُوَارِي (ت : ٢٨٠هـ / ٨٩٣م) ، الذي ترك لنا تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم عنونه بـ (تفسير كتاب الله العزيز) ، ولقد قام الأستاذ الباحث بالباحث بن سعيد شريفني بتحقيق هذا السفر الثمين ، فظل يعمل فيه لما يقارب من عشرين سنة ، وقد طبع في أربعة مجلدات بدار الغرب الإسلامي .

الشيخ العلامة عَمْرُوسُ بن فَتْحِ المَسَاكِينِي التّفُوسِي (ت : ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) هو أحد أعلام الإباضية الذين نبغوا فركوا سيرة عطرة وتراثاً يجلد ذكراهم ، فكان يعد أعلم أهل زمانه ، من مؤلفاته : كتاب (العَمْرُوسِي) ، وكتاب (أصول الذّيُوتة الصّافِيَة) ، وكتساب (الحكم والمعارف) ، وكتاب (أعلام الملة) ، وكتاب (عَمْرُوس بن فتح) ، وكتابان في الأصول والفقه ، وكتاب (ي الرد على الثاكنة وأحمد بن الحسين) .

الشيخ المُرُوح سالم بن محمد بن يعقوب (ت : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) يعد من أشهر الخفّيقين المعاصرين في التاريخ ، وبخاصة في سر الإباضية ، فاتخذه الباحثون قبلة ينهلون من علمه ويستفيدون منه ، ومن أبرز تلاميذه : الدكتور فرحات الجعبري ، وقاسم فوجة ، والصادق بن مرزوق ، ويوسف الباروني ؛ وبعد الشيخ سالم آخر عضو من أعضاء حلقة العزّابة بجرّمة ، له

العديد من الأعمال والمؤلفات منها : (تاريخ جزيرة جربة) يقع في ثلاثة أجزاء ، ومن أعماله تحقيقه لكتاب (بدء الإسلام وشرائع الدين) لابن سلام ، وقد اشترك معه في ذلك المستشرق الألماني شفارتز ، وله (دروس عن تاريخ جربة) ألفت في سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ولا يزال مخطوطاً ، ومن أعماله كذلك (تقييدات عن نشأة الإباضية) ، (وتقييدات عن تراجم بعض علماء الإباضية) ، (وتقييدات عن المدارس العلمية بجزيرة) ، وهذه الأعمال الثلاثة لا تزال مخطوطة ؛ وله أعمال أخرى .

أنجبت الدولة الرسمية العديد من الأعلام الذين نبغوا في مختلف الجوانب ، ومن هذه الجوانب الساحة الشعرية والأدبية ، ومن شعرائها المشهورين بكر بن حماد التَّيْهَرْتِي (ت : ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) ، كان عالماً بالحديث وتمييز الرجال ثقة مأموناً لنا صدوقاً إماماً حافظاً ، وقد نبغ بكر بن حماد في الشعر أيما نبوغ ونظم قصائد جيدة في أغراض مختلفة كالوصف والمدح والهجاء والثناء والاعتذار والزهد والوعظ .

استطاع الإباضية تكوين عدد من الدول ، ومن هذه الدول الدولة الرسمية في المغرب ، التي نشأت في سنة ١٦٠هـ / ٧٧٦م ، واستمرت إلى سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ، والمؤسس لها هو الإمام عبد الرحمن بن رستم ، فازدهرت عاصمتها تَهْرْتٌ وبلغت شهرتها الآفاق ، وشُدَّت إليها الرحال للتجارة والسكن والعيش الرغيد الآمن ، مما جعل الكتاب والرحالة يقصدونها ويشيدون بها ، وقد تولى الحكم فيها عدد من الأئمة العدل ، يتم اختيارهم من قبل العلماء والرعية ، فكانت سائرة على نهج الخلافة الراشدة ، وقد اشتهرت هذه الدولة بنظام الشورى المطبق فيها ، وبعدالة أئمتها ، وصلاحتهم وتقواهم وعلمهم ، وبازدهارها ، وقد كان يعيش تحت ظلها أنواع كل المذاهب الإسلامية ، وكانوا يمارسون عبادتهم بكل حرية وأمان ، وكانت لهم مساجدهم ويومهم الخاصة التي يعشون فيها ، مصانة حقوقهم ، محفوظة حرياتهم ؛ بل كان يعيش فيها أصحاب الديانات الأخرى كاليهود والنصارى ، وقد اهتمت أئمتها بالجانب الاقتصادي والعلمي والاجتماعي .

لقد اعتنى أئمة عمان وعلمائها بالتأليف منذ القرون الهجرية الأولى ، فأبدعت عقولهم الكثير من المؤلفات ، ومما يتميز به التراث العماني التنوع والاتساع في التأليف ، فقد اهتم العمانيون

بالكثير من فنون العلم ، فظرقوا أبواها ورجلوا مبادئها وتسموا ذراها ، فأبدعوا في التأليف وأضافوا الجديد على ما تركه من سبقهم من العلماء ، فآلفوا في الشريعة واللغة والأدب والطب والفلك وعلوم البحار وغيرها ، ولما يتميز به البراع العماني أنه يراعى ناقد فاحص معلق ، يأخذ المفيد ويترك السقيم بعد أن يعلق عليه ويتعقبه .

يوجد فرق شاسع بين مصطلحي (الوُهَيْبِيَّة) و(الوُهَابِيَّة) ، فمصطلح (الوُهَيْبِيَّة) ينسب إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن وهب الرُّاسِي الذي استشهد في معركة التَهْرَوَان سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م ، بينما مصطلح (الوُهَابِيَّة) نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب التميمي (ت : ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م) ، الذي ظهر بِنَجْد في القرن الثاني عشر الهجري ، ويعدّه الوهابية السلفية إماماً لهم ؛ وقد ورد مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) بهذه الصيغة في مصادر المسلمين المتقدمة والمتأخرة سواء كانت إباضية أو غير إباضية ، بل وورد بهذه الصيغة في العديد من مؤلفات وبحوث المستشرقين الذين عنوا بالكتابة حول المسلمين عامة والإباضية خاصة في شمال إفريقيا ؛ وقد وقع الخلاف في نسبة هذا المصطلح ، فقبل نسبة إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) الإمام الثاني للدولة الرستمية ، وقبل نسبة إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن وهب الرُّاسِي ، وعلى القول الثاني أغلب أئمة الإباضية وهو الصحيح ؛ والذي يظهر أن تداول مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) بدأ في القرن الثالث الهجري ؛ وأما مصطلح (الوُهَابِيَّة) فهو متأخر جداً فلم يكن له وجود في أوساط المسلمين قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب ، حيث بدأ تداول مصطلح (الوُهَابِيَّة) على ألسنة أهل العلم وفي مصنفاتهم ، والوهابية أو السلفية يعترفون بأن مصطلح (الوُهَابِيَّة) ظهر مع ظهور محمد بن عبد الوهاب ، وأن هذا المصطلح هو نسبة إلى إمامهم محمد بن عبد الوهاب ، بل نجد بعضهم تقبل هذا المصطلح والانساب إليه ولم يجد غضاضة في ذلك .

مصطلح الخوارج يأتي على عدة تفسيرات تتراوح بين المدح والذم ، فالخروج يأتي بمعنى الخروج في سبيل الله ، ويأتي بمعنى الخروج السياسي على الحاكم ، ويأتي بمعنى الخروج من الملة الإسلامية ؛ والإباضية في جميع ثوراتهم يفسرون خروجهم خروجاً سياسياً على الظلم ، والأمنلة على ذلك كثيرة كخروجهم على الجورة من حكام بني أمية وبني العباس ، وإقامتهم الدول الإباضية في المغرب والمشرق المطبقة لشرع الله ؛ والخروج على أئمة الجور لم يتفرد به الإباضية

وحدهم بل وفقهم على ذلك جمهور الأمة ؛ والرعي الأول للإباضية لم يستكف من لقب الخوارج بل كان يعترف به ويفسره أنتمهم الأرائل بالخروج السياسي على أئمة الجور كما مر وليس بالخروج من الدين أو باستباحة دماء المسلمين وسي ذراريهم وغنم أموالهم كما يرى بعض أصحاب الأهواء ، ولكن لما زعم الأزارقة والنجدات والصفرية استباحة دماء المسلمين وسي ذراريهم وغنم أموالهم ، تبرا الإباضية منهم وردوا عليهم بل وقتلواهم ، وبينوا موقفهم من هذه الفتنة بكل صراحة ووضوح ، وهو أنهم لا يجيزون قتل المسلمين بغير حق ولا سي ذراريهم ولا غنم أموالهم .

هذه هي أهم النتائج التي يمكن أن نخرج بها من خلال هذا الكتاب ، الذي أرجو أن أكون من خلاله قدمت مساهمة جديدة تضاف إلى المكتبة الإسلامية ، يجد فيها القارئ معلومة مفيدة يضيفها إلى رصيده ، فإن أصبت في هذا العمل فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾^(١) ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٨٦ .

(٢) - الإمام أبو حاتم الملقب بالمزوف إلى الموت :

- ١- أحمد بن حمد الخليلي ، إعادة صياغة الأمة ، الحلقة الأولى ، ط١ ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان .
- ٢- أحمد بن حمد الخليلي ، شرح منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدين السالمي ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- ٣- أحمد بن حمد الخليلي ، محاربة الخرافة والأعداء بالأسباب ، محاضرة ضمن سلسلة الدروس الفكرية التي يلقيها سماحه بجامعة السلطان قابوس ، أقيمت في يوم الإثنين ٢٣ من رجب ١٤٢٣هـ / ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٢م ، ومحاضرة منشورة بموقع الأمل المشرق (www.alami.net) .
- ٤- أحمد بن سعيد الدرجيني ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج٢ ، تح : إبراهيم طلاي .
- ٥- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السر ، ج١ ، تح : أحمد بن سعود السبائي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٦- أحمد بن علي القلقشندي ، فتاوى الأرب في معرفة أنساب العرب ، موقع لنداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٧- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٣ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٨- ابن الصفر ، أخبار الأئمة الرستمين ، ت : محمد ناصر وإبراهيم مجاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٩- ابن عدي المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج١ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٩٨٣م .
- ١٠- مجاز إبراهيم بكور ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، ط٢ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ١١- مجاز إبراهيم بكور وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٢- حميس بن راشد العدوي ، رؤية تاريخية ، ط١ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، الأجيال للتسويق ، روي ، سلطنة عمان .
- ١٣- خواص السوائل الساكنة ، موقع سوزان مبارك الاستكشافي للعلوم ، على هذا الرابط : <http://www.smsec.com/encyc/phys/٢.htm>

- ١٤- غير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج ٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ٧ : ١٩٨٦ م .
- ١٥- الربيع بن حبيب الأزدي ، الجامع الصحيح ، مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- ١٦- سالم بن يعقوب ، تاريخ جزيرة جربة ، دار الجويني ، تونس ، ١٩٨٦ م .
- ١٧- سامي صقر أبو داود ، الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ، ط ١ : ٢٠٠٠ م ، مطابع النهضة ، مسقط ، سلطنة عمان .
- ١٨- سليمان الباروني أبو الربيع ، مختصر تاريخ الإباضية ، جهة النشر غير مسجلة .
- ١٩- سليمان داود بن يوسف ، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي ، مطبعة أبو داود ، ١٩٩٣ م .
- ٢٠- عبد الرحمن بن أبي بكر السبوطي ، لب اللباب في تحريص الأنساب ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٢١- عبد الرحمن بن محمد بن غلardon ، تاريخ ابن غلardon ، ج ٢ ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) . ج ٣ ، ٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- ٢٢- عبد الكريم بن محمد السمعي ، الأنساب ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ٢٣- عبد الله بن يحيى الباروني ، رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين ، مكتبة الضامري ، السيب ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- ٢٤- علي بن محمد الحجري ، الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات ، مكتبة الجيل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- ٢٥- علي بن محمد الشيباني ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ت : د/ عمر عبد السلام لدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٢٦- علي يحيى معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٣ : ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
- ٢٧- علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الأول : الحلقة (١) ، (٢) ، مكتبة الضامري ، السيب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٣ م .
- ٢٨- عمر بن جميع أبو حفص ، مقدمة التوحيد وشرحها ، شرح : أحمد بن سعيد الشامي وداود بن إبراهيم التلاني ، تعليق : إبراهيم اطقيش أبو إسحاق ، طبعة مسقط ، سلطنة عمان .
- ٢٩- عمر محمد صالح با ، دراسة في الفكر الإباضي ، ط ٢ : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، مكتبة الاستقامة ، روي ، سلطنة عمان .

- ٣٠- عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، عمّان ، الأردن ، ١٩٧٨م .
- ٣١- فرحات الجعيوي ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، المطابع العالمية ، روي ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩١م .
- ٣٢- لقاء مع د/ إبراهيم بكر مجاز ، الرستاق ، سلطنة عمان ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م .
- ٣٣- لوباب بن سلام ، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين ، ت : شفاقرت وسالم بن يعقوب ، الناشر دار فرائز شتايز بفسيدان ، ألمانيا ، طبع بمطابع دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣٤- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، قرص مدمج ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م .
- ٣٥- محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ت : مصطفى بن الناصر وينان ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، ط ١ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- ٣٦- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٣٧- محمد علي دبوذ ، تاريخ المغرب الكبير ، ج ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- ٣٨- مدرسة علمية عبر الهاتف مع د/ مجاز إبراهيم بكر ، الأحد ١ من محرم ١٤٢٥هـ / ٢٢ من فبراير ٢٠٠٤م .
- ٣٩- مقرين بن محمد البغطوري ، كتاب سير أهل نفوسة ، مخطوط .
- ٤٠- مهنا بن راشد بن حمد السعدي ، أئمة المغرب الأوائيل ، أنظره في موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) ، قسم التاريخ .
- ٤١- يحيى بن أبي زكرياء (أبو زكرياء) ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٤٢- يحيى بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

(٣) - العلامة مهدي النفوسي إمام المناظرين :

- ١- أحمد بن سعيد الدرعي ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ١ ، ص ٢ ، ت : إبراهيم طنجي .
- ٢- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، تلح : محمد حسن ، كلية الآداب العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، شركة أوربيس للطباعة ، تونس ، ١٩٩٥ .
- ٣- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ١ ، تلح : أحمد بن سعود السباي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٤- مجاز إبراهيم بكرة ، القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، دار البحوث ، عمان الأردن ، ط ١ : ٢٠٠١م .
- ٥- مجاز إبراهيم بكرة وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٦- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار بوسلام للطباعة والنشر ، شارع فرنسا ، تونس ، ط ١ : ١٩٨٦ .
- ٧- مقرين بن محمد البوطوري ، سر أهل نفوسة ، مطوط .
- ٨- يحيى بن أبي بكر (أبو زكرياء) ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، ت : إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٤) - العلامة مُحَكَّم بن هُوْدِ الْهُوَارِي قَاضِي (تَيْهَرْت) :

- ١- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ١ ، تلح : أحمد بن سعود السباي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٢- ابن الصفيح ، أخبار الأئمة الرستمين ، تلح : د/ محمد ناصر ، إبراهيم مجاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣- مجاز إبراهيم بكرة ، القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، دار البحوث ، عمان الأردن ، ط ١ : ٢٠٠١م .
- ٤- مجاز إبراهيم بكرة وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

- ٥- سلطان بن مبارك الشيباني، الإنتاج الإباضي في علم التفسير، الحلقة (١٣)، مخطوط بخط المؤلف، وقد تم نشر هذه الحلقات في جريدة (الوطن) العمانية بين عامي ١٤١٩هـ / ١٤٢٠هـ.
- ٦- علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، المجلد الثالث، الحلقة الرابعة، مكتبة الضامري، السب، سلطنة عمان، ط٢: ١٩٩٣م.
- ٧- فرحات الجعيري، البمد الحضاري للمقيدة الإباضية، مطبعة الألوان الحديثة، مسقط، سلطنة عمان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- ٨- هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، ج١، تح: بالحاج بن سعيد شريفني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١: ١٩٩٠م.

(٥) - العلامة هُودُ بنُ مُحَكَّمِ الهُوَارِيِّ مُفسِر القرآن العزيز :

- ١- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المتقاة، مخطوط.
- ٢- أحمد بن سعيد الدرجمي، كتاب طبقات المشايخ بالغرب، ج٢، تح: إبراهيم طلاي.
- ٣- أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، ج٢، تح: أحمد بن سعود السبائي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط٢: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٤- مجاز إبراهيم بكير، محاضرة نظام العزابة وأثره في المجتمع الميزابي، شريط سمعي، ألقاها في سلطنة عمان، ولاية السويق، الأربعاء ٤ من محرم ١٤٢٥هـ / ٢٥ من فبراير ٢٠٠٤م، وقد نشرت هذه المحاضرة في موقع الشبكة العمانية (سبلة الدين) على هذا الرابط:
- <http://www.omania.net/avb/showthread.php?t=١٣٣٣٢.&page=١>
- ٥- مجاز إبراهيم بكير وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٦- سلطان بن مبارك الشيباني، الإنتاج الإباضي في علم التفسير، الحلقة (١٣)، مخطوط بخط المؤلف، وقد تم نشر هذه الحلقات في جريدة (الوطن) العمانية بين عامي ١٤١٩هـ / ١٤٢٠هـ.
- ٧- سليمان داود بن يوسف، مساهمة علماء الإباضية في علم التفسير والحديث والفقه والبيان، مطبعة أبو داود، ١٩٩٢م.
- ٨- صالح باجيح، الإباضية بالمخريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة، تونس، ط١: ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

- ٩- عبد الله بن حيد السالمي ، اللعمة المرضية من أشعة الإباضية ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٨٣ م .
- ١٠- علي أكبر ضيائي ، معجم مصادر الإباضية ، مؤسسة الهدى ، طهران ، إيران ، ط ٢ : ١٤٢٤ هـ .
- ١١- علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الثالث : الحلقة (٤) ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٣ م .
- ١٢- عمرو خليفة النامي ، حراسات عن الإباضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ٢٠٠١ م .
- ١٣- فرحات الجصيري ، نظام العزابة عند الإباضية الوهبة في جربة ، المعهد القومي للآثار والفنون ، المكتبة التاريخية ، تونس ، ١٩٧٥ م .
- ١٤- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- ١٥- محمد ناصر ، الشيخ إبراهيم أقبش في جهاده الإسلامي ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- ١٦- مناقشة علمية عبر الهاتف مع الأستاذ سلطان بن مبارك الشيباني ، ربيع الأول ١٤٢٥ هـ / مايو ٢٠٠٤ م .
- ١٧- مناقشة علمية عبر الهاتف مع د/ مجاز إبراهيم بكر ، السبت ٢٥ من ربيع الأول ١٤٢٥ هـ / ١٥ من مايو ٢٠٠٤ م .
- ١٨- هوارى بومدين أكبر مساند لجهة البوليساريو في السبعينات ، موقع قناة الجزيرة على هذا الرابط : <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/١CEC١C١D-E١٧٥-٤٨C٢-١D٤٨-EB٧FE٨BBFDC٨.htm>
- ١٩- هود بن محكم الهوارى ، تفسير كتاب الله العزيز ، ج ١ ، تح : بالحاج بن سعيد شريفي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٩٩٠ م .
- ٢٠- يحيى بن أبي الخثر الجنائوي ، كتاب الوضع ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٦ .
- ٢١- يحيى بن أبي بكر أبو زكرياء ، كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، تح : عبد الرحمن أيوب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٦) - العلامة عمرو بن قنقش النفوسى (قصة إمام) :

- ١- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنفأة ، مخطوط .
- ٢- أحمد بن سعيد الدرجي ، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، ج ٢ ، تح : إبراهيم طلاي .
- ٣- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ٢ ، تح : أحمد بن سعود السباي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٤- إسماعيل بن موسى الجبظي ، قواعد الإسلام ، تح : بشر بن موسى الحاج موسى ، ج ١ ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، ط ١ : ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .
- ٥- إسماعيل بن موسى الجبظي ، كتاب قواعد الإسلام ، ج ١ ، تح : بكلي عبد الرحمن بن عمر ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ٦- مجاز إبراهيم بكر وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٧- جتاو بن فقي وعبد القاهر بن خلف ، أجوبة علماء فزان ، تح : عمرو خليفة التامي ، مطابع دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر .
- ٨- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار بوسلام للطباعة والنشر ، شارع فرنسا ، تونس ، ط ١ : ١٩٨٦ .
- ٩- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن غلبدون ، تاريخ ابن غلبدون ، ج ٢ ، موقس لسداء الإيمان (www.al-eman.com) . ج ٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ١٠- عبد الله بن حيد السالمي ، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٨٣م .
- ١١- علي يحيى مصر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الأول : الحلقة (٢) ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٣م .
- ١٢- عمرو خليفة التامي ، وصف مخطوطات إباضية مكتشفة حديثا في شمال إفريقيا ، مخطوط ، مقال منشور في المجلد (١٥) العدد (١) من مجلة (الدراسات السامية) ، ١٩٧٠م ، ترجمة سلطان بن مبارك الشيباني ، مخطوط بخط المترجم .
- ١٣- عمرو بن فتح النفوسى ، أصول الدينونة الصافية ، تح : أحمد جو كروم ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

- ١٤- فرحات الجمعي ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوان الحديثة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ١٥- فرحات الجمعي ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، المطابع العالمية ، روي ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ١٦- محمد بن يوسف اطقيش ، شرح كتاب النبل وشفاء العليل ، ج ١٢ ، مكتبة الأرشاد ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط ٣ : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١٧- مقرين بن محمد البطوري ، كتاب سر أهل نقوسة ، مخطوط .
- ١٨- مهنا بن راشد بن حمد السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والمقدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصافية ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .
- ١٩- يحيى بن الخير بن أبي الخير الجنائوي ، كتاب النكاح ، تعليق : علي يحيى معمر ، المطابع العالمية ، روي ، سلطنة عمان .

(٧) - الشيخ سالم بن يعقوب مؤرخ في سطور :

- ١- اتصال هانفي مع الشيخ أحمد مهني مصلح مدرس بمعهد العلوم الشرعية بسلطنة عمان ، الثلاثاء ٤ من شعبان ١٤٢٤هـ / ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٣م ، الأربعاء ٥ من شعبان ١٤٢٤هـ / ١ من أكتوبر ٢٠٠٣م .
- ٢- مجاز إبراهيم بكور وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٣- سالم بن يعقوب ، تاريخ جزيرة جربة ، دار الجويني للنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦م ، ص ١٢ .
- ٤- سليمان بن أحمد الخليلاني الجري ، علماء جربة ، ت : محمد فوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٩٩٨م ، III هامش رقم (١) .
- ٥- سيف بن ناصر بن سليمان الخروصي ، الإرشاد في شرح مهمات الاعتقاد ، ج ١ ، مكتبة المستشار الخاص بولاية السلطان للشؤون الدينية والتاريخية ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٦- فرحات الجمعي ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوان الحديثة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) .

(٨) - المحدث بكر بن حماد شاعر (تَيْهَرْت) :

- ١- أبو القاسم بن إبراهيم الرادي ، الجواهر المتفأة ، مخطوط .
- ٢- أحمد بن سعيد الدرجيني ، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، ج ١ ، تح : إبراهيم طلاي .
- ٣- أحمد بن عبد الله المعجلي الكوفي ، معرفة النقات ، تح : عبد العليم السوسي ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ٤- أحمد بن علي بن حجر ، لسان الميزان ، ج ٢ ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ٥- إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، مركز التراث للحاسب الآلي ، عمان ، الأردن ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٦- حماد إبراهيم بكر ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعة التراث ، القراة ، الجزائر ، ط ٢ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ٧- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار البعث ، الجزائر ، ط ٣ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ٨- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار بوسلام للطباعة والنشر ، شارع فرنسا ، تونس ، ط ١ : ١٩٨٦ .
- ٩- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن غلبدون ، تاريخ ابن غلبدون ، ج ٢ ، موقع لسداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ١٠- محمد بن طاهر بن القسراي ، تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ١١- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، قرص مدمج ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م .
- ١٢- بالوت الحموي ، معجم البلدان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ١٣- يوسف بن إبراهيم الوارجلاني ، الدليل والرهان ، ج ٢ ، تح : سالم بن حمد الحارثي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

(٩) - الدولة الرستميّة دولة إسلامية تجاهلها التاريخ :

- ١- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنقاة ، مخطوط .
- ٢- أبو القاسم بن حوقل النصبي ، كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م .
- ٣- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح يعقوبي ، كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ٤- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح يعقوبي ، كتاب البلدان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٥- أحمد بن حمد الخليلي ، موقف الإباضية من الخلفين عثمان وعلي ، شريط سمعي ، تسجيلات مشارق الأنوار ، روي ، سلطنة عمان .
- ٦- أحمد بن سعيد المدرجيني ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ١ ، ٢ ، ٣ : إبراهيم طلاي .
- ٧- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، ج ٢ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ٣ : أحمد بن سعود السبائي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان .
- ٨- أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية ، منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية ، ج ٧ ، ٨ : محمد أيمن الشيرازي ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ٩- أحمد بن علي القريزي ، التعاط الحفشاء بأخبار الأئمة الفاطميين الحفشاء ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ١٠- أحمد بن محمد بن محمد ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ١١- أحمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ٦ : عبد المجيد النرحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ١٢- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٢ ، ٣ : دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ١٣- ابن الصغور ، أخبار الأئمة الرستمين ، ١ : د/ محمد صالح ناصر و إبراهيم مجاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٣٦ .
- ١٤- ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، ٢ : ج . س . كولان و ١ : ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٩٨٣م .
- ١٥- مجاز إبراهيم بكور ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، ط ٢ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

- ١٦- مجاز إبراهيم بكير وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٧- خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج١ ، مركز التراث ، التاريخ ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، عمّان ، الأردن .
- ١٨- سليمان الباروني أبو الربيع ، مختصر تاريخ الإباضية ، جهة النشر غير مسجلة .
- ١٩- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج٢ ، دار أبو سلام للطباعة والنشر ، شارع فرنسا ، تونس ، ط١ : ١٩٨٦ .
- ٢٠- عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٥ ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
- ٢١- عبد الرحمن بن محمد بن مخلدون ، تاريخ ابن مخلدون ، ج٣ ، موقع لنداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٢٢- عبد الله بن حيد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج٢ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٣- عبد الله بن يوسف الزبيدي ، نصب السراية لأحداث الهداية ، ج١ ، موقع لنداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٢٤- عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (أبو القاسم) ، المسالك والممالك ، تح : محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ٢٥- علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير) ، الكامل في التاريخ ، ج٦ ، ٧ ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٦- علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج٣ ، مكتبة الضامري ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط٢ : ١٩٩٣م .
- ٢٧- عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، عمّان ، الأردن ، ١٩٧٨م .
- ٢٨- لقاء مجلة جبرين مع سماحة الشيخ الخليلي حول الصحوة الإسلامية ، مجلة جبرين : مجلة نصف سنوية تصدرها اللجنة الثاقبة بتأييد طلبة عمان في الأردن ، موقع مكتبة الندوة ، صفحة سماحة الشيخ ، لقاءات وحوارات ، على هذا الرابط (http://www.alnadwa.net/alkhalili/jabreen.htm) .
- ٢٩- لقاء مع الشيخ أحمد بن سعود السبائي في سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ٣٠- لقاء مع خالد بن مبارك الوهبي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٤ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٨ من سبتمبر ٢٠٠٥م .

- ٣١- لوباب بن سلام ، كتاب فيه بدء الإسلام وشرايع الدين ، ت : شقرا ترمز وسالم بن يعقوب ، الناشر دار فرانز شتاينر بفيسبادن ، ألمانيا ، طبع بمطابع دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣٢- مجموعة علماء ، السير (مخ) : كتاب الإمام أبي عبيدة مسلم وحاجب الطائي إلى أهل المغرب في قضية الحارث وعبد الجبار .
- ٣٣- مجموعة علماء ، السير والجوابات : سورة أبي لحيان خالك بن لحيان ، ج ١ ، تلح : سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
- ٣٤- مجموعة علماء ، السير والجوابات : سورة الشيخ محمد بن محبوب إلى أهل المغرب ، ج ٢ ، تلح : سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣٥- محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ٣٦- محمد بن أحمد اللهبي ، تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٧- محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٣ ، مركز التراث ، التاريخ ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، عمان ، الأردن .
- ٣٨- محمد بن شامس البطاشي ، الكشف عن الإصابات في اختلاف الصحابة ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- ٣٩- محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، ج ١٠ ، تلح : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ٤٠- محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ابن بطوطة) ، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار) ، تلح : طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٤١- محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٤٢- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، قرص مدمج ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م .
- ٤٣- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٤٤- محمد بن يزيد المرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج ٢ ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

- ٤٥- محمد بن يوسف اطفيش قطب الأئمة ، شرح عقيدة التوحيد ، تح : مصطفى بن الناصر وينن ، جمعية التراث ، غرداية ، الجزائر ، ط ١ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- ٤٦- محمد صالح ناصر ، دور الإباضية في نشر الإسلام بفسر إفريقيا ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان .
- ٤٧- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٤٨- محمد علي دبوذ ، تاريخ المغرب الكبير ، ج ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- ٤٩- محمد ناصر بوحجاج ، العلاقات الطائفية بين عمان والجزائر (تبادل الرسائل نموذجاً) بحث مقدم في ندوة " الملقي العلمي حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديماً وحديثاً " ، تحرير : د/ إبراهيم مجاز و د/ حسن الملقح ، منشورات جامعة آل البيت ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، جمعية عمال المطابع ، الأردن ، عمان .
- ٥٠- مكالمة هاتفية مع الشيخ عبد الله بن مبارك العبري ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م .
- ٥١- ناصر بن سليمان السابعي ، الحواج والحقيقة الغائبة ، مكتبة الجليل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٥٢- هاشم بن غيلان ، السر : سيرة هاشم بن غيلان إلى الإمام عبد الملك بن حيد ، مخطوط .
- ٥٣- يحيى بن أبي بكر (أبو زكرياء) ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، ت : إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٥٤- يحيى صالح بوتردين ، نموذج للعلاقات العلمية بين الجزائر وعمان (من خلال بعض مراسلات القطب اطفيش) بحث مقدم في ندوة " الملقي العلمي حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديماً وحديثاً " ، تحرير : د/ إبراهيم مجاز و د/ حسن الملقح ، منشورات جامعة آل البيت ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، جمعية عمال المطابع ، الأردن ، عمان .

(١٠) - حركة التأليف عند العمانيين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى :

- ١- إبراهيم بن أحمد الكندي ، جابر بن زيد كإمام من أئمة الحديث ، لدرة من أعلامنا الأولى ، المديرية العامة للششاط الثقافي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- ٢- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنقاه ، مخطوط .
- ٣- أحمد بن سعيد الدرجمي ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ١ ، تح : إبراهيم طلاي .
- ٤- أحمد بن علي ابن حجر ، قلب الهديب ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٥- أحمد بن علي ابن حجر ، لسان الميزان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٦- أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٧- أحمد بن محمد ابن علكسان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٨- إسماعيل بن موسى الجبلي ، قواعد الإسلام ، ج ١ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ٩- مجاز إبراهيم بكرو وحسن المنخ ، الملحق العلمي حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديماً وحديثاً ، بحث " تطور علم الأصول في المصادر العمانية " ، د/ مصطفى باجو ، منشورات جامعة آل البيت ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، جمعية عمال المطابع ، الأردن ، عمان .
- ١٠- مجاز إبراهيم بكرو وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ١١- جميل بن حميس السعدي ، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيطة ، ج ١ ، تح : عبد الحفيظ شلي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ١٢- حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ١٣- سامي صقر أبو داود ، الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ، مكتبة الجبل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ٢٠٠٠م .
- ١٤- سعيد بن مبروك الفنوي ، الإمام الربيع بن حبيب مكانته ومسئله ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- ١٥- سلطان بن مبارك الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم الفصيح (مخ) ، الحلقة ١٤ .

- ١٦- سيف بن حمد البطاشي ، إنغاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان ، ج ١ ، مكتبة المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية ، سلطنة عمان ، مسقط ، ط ٢ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ١٧- صالح بن أحمد أبو سعيدي ، رواية الحديث عند الإباضية ، مكتبة الجليل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٨- عبد الله بن حمد السالمي ، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٨٣م .
- ١٩- عبد الله بن حمد السالمي ، جوهر النظام في علمي الأحكام والأديان ، ج ١ ، تح : الشيخ إبراهيم العري والشيخ أبي إسحاق إبراهيم الطفيش ، مطبعة الألوان الحديثة ، سلطنة عمان .
- ٢٠- علي أكبر ضيائي ، معجم مصادر الإباضية ، مؤسسة الهدى ، طهران ، إيران ، ط ٢ : ١٤٢٤هـ .
- ٢١- عمرو خليفة النامي ، دراسات عن الإباضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ٢٠٠١م .
- ٢٢- عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، عمّان ، الأردن ، ١٩٧٨م .
- ٢٣- فرحات الجعبري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوان الحديثة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ٢٤- فرحات الجعبري ، تحليل رسائل الإمام جابر بن زيد تمهيدا لتحقيقها ، الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان ، جامعة آل البيت ، وحدة الدراسات العمانية ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ٢٥- فرحات الجعبري ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، المطابع العالمية ، روي ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ٢٦- لقاء مع خالد بن مبارك الوهبي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٢٢ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٢٦ من سبتمبر ٢٠٠٥م .
- ٢٧- مبارك بن عبد الله الراشدي ، الإمام أبو عبيدة مسلم وفقهه ، مطابع الوفاء ، المنصورة ، مصر ، ط ١ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- ٢٨- مجموعة علماء ، السير والجوابات : سيرة محبوب بن الرحيل إلى أهل حضرموت في أمر هارون بن اليمان ، ج ١ ، تح : سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان .
- ٢٩- محمد بن إبراهيم الكندي ، بيان الشرع ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ج ٣ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج ٥١-٥٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ٣٠- محمد بن أحمد الذهبي ، العبر في خبر من غير ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣١- محمد بن إسحاق ابن الندم ، الفهرست ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٢- محمد بن إسماعيل البخاري ، التاريخ الكبير ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .

- ٣٣- محمد بن أحمد الذهبي ، تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٤- محمد بن جعفر الإزكري ، الجامع لابن جعفر ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان .
- ٣٥- محمد بن حبان ، الثقات ، موقع مكتبة يعقوب السدين ، (http://www.yasoob.com/books/html/m.٢١١/٢٤/نو٢٤٥٨.html) .
- ٣٦- محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٧- محمد بن محمود الرحي ، محبوب بن الرحيل حياته وآثاره ، نسخة مرفونة ، معهد العلوم الشرعية ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٢٠٠١ م .
- ٣٨- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، قرص مدمج ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢ م .
- ٣٩- محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .
- ٤٠- محمد صالح ناصر ، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) ، قرص مدمج ، جمعية التراث ، القنطرة ، الجزائر .
- ٤١- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م .
- ٤٢- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٤٣- يحيى بن أبي بكر (أبو زكرياء) ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .
- ٤٤- يحيى محمد بكوش ، فقه الإمام جابر بن زيد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ م .
- ٤٥- يوسف بن إبراهيم الواجبلاني ، الدليل والبرهان ، ج ٢ ، تح : سالم بن حمد الحارثي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م .
- ٤٦- يوسف بن عبد الرحمن المسزي ، قديب الكمال في أسماء الرجال ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .

(١١) - (الْوَهَّابِيَّةُ) وَ(الْوَهَّابِيَّةُ) النشأة والنسبة :

- ١- إبراهيم بن القاسم بن الرقيق القرواني، تاريخ إفريقيا والمغرب، تح: المنجي الكمي، تونس، ١٩٦٨م.
- ٢- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المتناه، مخطوط.
- ٣- أحمد بن سعيد الدرجمي، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، ج ١، تح: إبراهيم طلاي.
- ٤- أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، ج ١، تح: أحمد بن سعود السبائي، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط ٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٥- أحمد بن عبد الوهاب النويري، غاية الأرب في فنون الأدب، موقع الوراق (www.alwaraq.com).
- ٦- أحمد بن علي بن حجر الصقلي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٧- أحمد بن يحيى الوترسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب، ج ١١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- ٨- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ت: عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٨٧م.
- ٩- ابن الصغور، أخبار الأئمة الرسميين، تح: د/ محمد ناصر، إبراهيم مجاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ١٠- مجاز إبراهيم بكور، الدولة الرسومية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، القنطرة، الجزائر، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ١١- مجاز إبراهيم بكور وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ج ٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ١٢- تاديبوس ليفتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: ماهر جزرار ورمما جزرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ١٣- جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرسومية، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زبروت يوسف، الجزائر، ١٩٨٤م.
- ١٤- حسن بن علي السقاف، السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية، دار الإمام الرواس، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ١٥- حسن بن فرحان المالكي، داعية وليس ليبا، دار الرازي، عمّان، الأردن، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

- ٣١- ماورئوس كثار ، أعمال تادئوس ليفتسكي عن المغرب والإباضين بصورة خاصة ، ملحق بكتاب : تادئوس ليفتسكي ، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : ماهر جزائر وربما جزائر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ٢٠٠٠ م .
- ٣٢- محمد بن سعد الشوير ، تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية ، موقع صيد الفوائد على هذا الرابط : <http://saaaid.net/book/open.php?cat=٨٨&book=١٣٠٣>
- ٣٣- محمد بن سعيد الفلهائي ، الكشف والبيان ، مخطوط ، رقم : ٧٧٧ ، الباب السادس والأربعون ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي المستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية ، مسقط ، سلطنة عمان . وانظر السخة المطبوعة من كتاب الكشف والبيان بتحقيق : سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ٤٢٣/٢ .
- ٣٤- محمد بن عبد الله الحميري ، السروض المعططار في غمير الأقطار ، مسوق السوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٥- محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مسوق السوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٦- محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، تلح : مصطفى بن الناصر ويتن ، جمعة التراث ، غرداية ، الجزائر ، ط١ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- ٣٧- محمد بن يوسف اطفيش ، شرح كتاب النبيل وشفاء العليل ، ج١٧ ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط٣ : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٣٨- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٣٩- مسعود الندوي ، محمد بن عبد الوهاب مُصلح مظلوم ومفتري عليه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية ، ط٢ : ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- ٤٠- مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ، لبنان ، ط٦ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٤١- مهدي طالب هاشم ، الحركة الإباضية في المشرق العربي ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، كتيبة الأزمن ، شارع المجلس ، ط١ : ١٤٠٩هـ / ١٩٨١م .
- ٤٢- مهنا بن راشد بن حد السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصالبة ، مكتبة الجليل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .
- ٤٣- ناصر بن سالم البهلائي ، العقيدة الوهابية ، تلح : صالح بن سعد الفتوي وعبد الله بن سعد الفتوي ، مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط٥ : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

- ٤٤- ناصر بن سالم البهلاوي، العقيدة الوهية، مراجعة: سلطان الشيباني، مكتبة مسقط، مسقط، سلطنة عمان، ط١: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٤٥- ناصر بن سليمان السابعي، الحوارج والحقيقة الغائبة، مكتبة الجبل الواحد، مسقط، سلطنة عمان، ط١: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

(١٢) - الخوارج وزُيْفُ التاريخ :

- ١- إبراهيم اطفيش (أبو إسحاق)، الفرق بين الإباضية والحوارج، مكتبة الاسقامة، روي، سلطنة عمان. وتم نشر هذا الكتاب كذلك في موقع الأمل المشرق (www.alaml.net)، قسم التاريخ.
- ٢- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنقاه، مخطوط.
- ٣- أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، ج٢٣، دار الفكر، ط١: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- ٤- أحمد بن سعيد الدرجمي، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، ج٢، ت: إبراهيم طلاي.
- ٥- أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، ج١، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.
- ٦- أحمد بن علي بن حجر الصفلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١، ج٦، ج٨، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٧- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، ج٣، مركز التراث للحاسب الآلي، عمان، الأردن، الإصدار الثاني، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- ٨- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين، قح: د/ محمد ناصر، إبراهيم مجاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٩- بكوي بن سعيد أعوش، أضواء إسلامية على العالم الإباضية، الدار العمالية للنشر والتوزيع، سلطنة عمان.
- ١٠- خليفة بن عياط، تاريخ خليفة بن عياط، ج١، مركز التراث، التاريخ، الإصدار الثاني، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، عمان، الأردن.
- ١١- الربيع بن حبيب الأزدي، الجامع الصحيح، ج١، ج٢، مكتبة مسقط، مسقط، سلطنة عمان، ط١: ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ١٢- سالم بن حمد الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، جهة النشر غير مسجلة.
- ١٣- سامي صقر أبو داود، الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية، مكتبة الجبل الواحد، مسقط، سلطنة عمان، ط١: ٢٠٠٠م.
- ١٤- سعيد بن مروك القنوي، السيف الحاد، مطابع النهضة، مسقط، سلطنة عمان، ط٣: ١٤١٨هـ.

- ١٥- سليمان بن الأشعث الأزدي أبو داود ، كتاب السنن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٦- عبد الرحمن بن محمد بن خالدون ، تاريخ ابن خالدون ، ج ٢ ، موقع لنداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ١٧- عبد الله بن حيد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، ج ١ ، ط ٢ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ١٨- عبد الله بن حيد السالمي ، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام ، ج ٣ ، مطبعة الألوان الحديثة ، سلطنة عمان .
- ١٩- عبد الله بن حيد السالمي ، شرح الجامع الصحيح ، ج ١ ، الناشر : سعود بن حمد بن نور الدين السالمي ، المطابع الذهبية ، روي ، سلطنة عمان ، ١٩٩٣م .
- ٢٠- عبد الله بن حيد السالمي ، منظومة كشف الحقيفة لمن جهل الطريقة ، نشرت ضمن كتاب مفتاح السعادة إلى صحيح العبادة ، مكتبة الإمام نور الدين السالمي ، السب ، سلطنة عمان .
- ٢١- علي بن أحمد الظاهري (ابن حزم) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٢٢- علي بن محمد البسيوي ، جامع أبي الحسن البسيوي ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ٢٣- علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير) ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ت : د/ عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٤- عمر بن الحاج محمد صالح با ، دراسة في الفكر الإباضي ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ٢٥- عمروس بن فتح النفوسي ، أصول الدينونة الصافية ، تح : أحمد جو كزوم ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٢٦- عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، عُمان ، الأردن ، ١٩٧٨م .
- ٢٧- مبارك بن عبد الله الراشدي ، الإمام أبو عبيدة مسلم وفقهه ، مطابع الوفاء ، المنصورة ، مصر ، ط ١ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- ٢٨- محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ٢٩- محمد بن علي الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج ١ ، ط ١ ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عُمان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

- ٣٠- محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٣١- محمد بن يوسف اطيّش ، الذهب الخالص المنوه بالعلم الفاضل ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط٢ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ٣٢- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٣٣- محمد عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تح : عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان
- ٣٤- مهدي طالب هاشم ، الحركة الإباضية في المشرق العربي ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، كتبة الأيمن ، شارع المجلس ، ط١ : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٣٥- ناصر بن سليمان الساهي ، الحوار والحقيقة الغائبة ، مكتبة الجبل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٣٦- يحيى بن أبي بكر (أبو زكرياء) ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٣٧- يحيى بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج١ ، ج٧ ، ج١٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- ٣٨- يوسف بن إبراهيم الواججاني (أبو يعقوب) ، الدليل والبرهان ، ج١ ، تح : سالم بن حمد الحارثي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتب وبحوث وأعمال للمؤلف :

- ١ - أئمة الإباضية الأوائل بالمغرب .
- ٢ - الإمام القطب محمد بن يوسف اطفيش حياته وأثاره .
- ٣ - استغلال شهر رمضان .
- ٤ - الحسد الداء والدواء .
- ٥ - دليلك عبر المواقع الإباضية (دليل مرشد للوصول إلى الكتب والبحوث والمقالات والمحاضرات في مختلف مواقع الإباضية بشبكة المعلومات الإنترنت) .
- ٦ - الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصافية .
- ٧ - قراءة في سيرة الشيخ محمد بن محبوب بن الرُّحيل .
- ٨ - مدارس إباضية عبر التاريخ .
- ٩ - الوجود الإباضي باليمن .